الكَشْفُ الجَلِيّ

لِحَقِيقَةِ المُشَبِّهَةِ:

١.ابنِ بَطَّةَ
٢.وابنِ عَبدِ البَرّ
٣.والذَّهَبِيّ

وهُوَ بَحْثٌ مُوَثَّقٌ منْ كُتُبِهِمْ يكْشِفُ حَقِيقَتِهِم الَّتِيْ خَفِيَتْ على كثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وأنَّهُمْ على عَقِيْدَةِ التَشْبِيْهِ والتَجِسِيمِ

الشيخ جميل بن محمَّد علي حليم
دكتور محاضر في العقائد والفرق

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٨م



بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،
بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤(١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان



يقولُ الإمامُ الـمُزَنِيُّ:

«قرأتُ كتابَ الرسالةِ على الشَّافعيّ ثمانين مرة، فَمَا مِن مرةٍ إلَّا وكان يقفُ عَلَى خطأ، فقالَ الشَّافعيُّ: هِيه، أَبَى اللهُ أن يكونَ كِتابًا صحيحًا غير كِتَابِهِ».

أَخِي القارئ الكريم،

مَا كَان من خطأ في كتابنا أَرْشِدنا إليهِ

فَإنَّنا لَا نَدَّعي العِصمة،

ونحن لكَ من الشَّاكرين.

التوطِئة

الميزان في بيانِ عقيدة أهل الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العالي القدرِ طه الأمين، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغرِّ المحجَّلينَ، وعلى ذُرِّيته وأهلِ بيته الميامين المكرّمين، وعلى زوجاته أمَّهات المؤمنين البارّات التقيَّات النقيَّات الطاهرات الصفيَّات، وصحابته الطيِّبين الطَّاهرين، ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعْرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمينَ، وهي ميزان الحقِّ الذي يَكْشِفُ زيْفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمّ لخصوصِ الغَرضِ وعمومِ النَّفْعِ؛ وعليه:

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنهُ يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمـٰواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا.

جميعُ الخلائِقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ. أحاطَ بكلِ شيء علمًا وأحصَى

كلّ شيءٍ عددًا، فعالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنى، وله العِزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يَفْعَلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ، لا يَرجُو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليهِ حقٌّ يلزَمُهُ ولا عليهِ حُكْمٌ، وكُلُّ نِعْمةٍ منْهُ فَضْلٌ وكل نِقْمةٍ منه عَدْلٌ، لا يُسألُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ.
مَوجودٌ قبلَ الخَلْقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كُلٌّ ولا بعضٌ، ولا يقالُ متَى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقَيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأْنٌ عن شأْنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتَصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تَلْحَقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى] نقولُ جازمين معتقدِين صادِقين مخلِصين، بأنّا نشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، الواحدُ الأحدُ، الفردُ الصّمدُ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، الذي لم يتخذْ صاحبةً وليس له والدٌ ولا والدةٌ، الأولُ القديمُ الذي لا يُشبِه مخلوقَاته بوجهٍ من الوجوه، لا شبيهَ ولا نظيرَ له، ولا وزيرَ ولا مُشيرَ له، ولا مُعينَ ولا ءامِرَ له، ولا ضِدَّ ولا مُغالِبَ ولا مُكْرِهَ له، ولا نِدَّ ولا مِثلَ له، ولا صورةَ ولا أعضاءَ ولا جوارِحَ ولا أَدواتَ ولا أَركانَ له، ولا كيفيةَ ولا كميَّةَ صغيرةً ولا كبيرةً له فلا حَجْمَ له، ولا مِقدارَ ولا مِقياسَ ولا مِساحةَ

ولا مَسافةَ له، ولا امتدادَ ولا اتِّساعَ له، ولا جهةَ ولا حَيِّزَ له، ولا أَينَ ولا مكانَ له، كان اللهُ ولا مكان وهو الآنَ على ما عليهِ كانَ بلا مكان.

تنزَّه ربِّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرَّحمٰنُ على العرشِ استوى استواءً منزهًا عن المماسةِ والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرتِهِ ولم يتَّخِذه مكانًا لذاتِهِ، ومن اعتقدَ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرَّحمٰنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتَصرِّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربِّي عن الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسِّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزّوالِ والانتقالِ، جلَّ ربِّي لا تُحيطُ به الأَوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، لا إلـٰـه إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِمَاتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسِّ ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسِّم كافر بالإجماع وإن قال «اللهُ جسمٌ لا كالأجسام» وإن صام وصلى صورةً، فاللهُ ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ، لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء،

ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمن زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام. كلامُه صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾ ومن زعم أن إلـهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما دخل في الوجود من الأجسام والأجرام والأعمال والحركات والسّكنات والنّوايا والخواطر وحياة وموت وصحة ومرض ولذّة وألم وفرح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبرودة وليونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم، وهم وأعمالهم خلق لله، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعينِنا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة، صلى الله عليه وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشرين بالجنة

الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفضل والمِنَّة أن هدانا لهذا الحق الذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكل الأمة الإسلامية، والحمد لله رب العالمين.

نُبْذَة تعريفِيَّة عن حياةِ الشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم

بقلم الناشر

من منارة الشرق ومهد العلم، بيروت مدينة العلم والعلماء، سطر المجد كتابًا بأحرفٍ ذهبيةٍ تسرد سيرةَ رجلٍ عرف قدرَ الآخرة فسعى لأجلها. هو السيد الشريف الحسيب النسيب رئيس جمعية المشايخ الصوفية الشيخ الدكتور عماد الدين أبو الفضل جميل بن محمد حليم، الحسينيُّ نسبًا، الأشعري عقيدةً، الشافعي مذهبًا، الرفاعي القادريّ طريقةً، خادم الآثار النبوية الشريفة.

هي حكايةٌ بدأت بيتيمٍ الْتَقى ـ وهو ابن عشرٍ تقريبًا لا أمَّ له ولا أبَ ـ بعلَّامة العصر وقدوة المحققين، محدث الزمان الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الشيبي العبدري الذي قدم إلى بيروت عام ألفٍ وتسعمائةٍ وخمسين رومية، وقد رأى الشيخ في ذاك اليتيم ما أعجبه من حسن الإقبال على العلم والشجاعة في قول الحق والجرأة في الإقدام، فكفله.. ورأى فيه فارسًا من فرسان الدعوة المحمدية فاعتنى بهذا الغرس، فها هو ذاك اليتيم اليوم سهم في كنانة أهل الحق وعلم من أعلام الدعوة. أقبل المؤلف أحسن الإقبال يتابع دروس العالم الحافظ، لا ينقطع عن مجلسه ولا يترك مدارسة العلم وينقل ما سمعه عن الشيخ فكان تحت نظر شيخه وسمعه، ثم ما زال هذا الشاب المقبل على العلم يتردد على المجالس فلا يفوته منها خير إلا حصّله ولا يأخذ مسألة إلا تدارسها مع أقرانه حتى حضر مع الشيخ في

إقراء وشرِح كتبه وكتب غيره من العلماء في شتى العلوم والفنون، وسمع منه ءالاف المسائل والإملاءات. وكان الشيخ كثيرًا ما يُعطي الدرسَ ثم يأمر المؤلفَ بإعادته، فشبَّ ينهل المعارف ويسلك سبل السلام متمسكًا بمنهاج شيخه متخلِّقًا بأخلاقه، ءامرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، ذا عزم وهمة، ومنتصرًا لقضايا الأمة.

وفي سنة ١٩٧٩ر استلم الخَطابة في مساجد بيروت وأجاد بذلك، حتى إنه كان له تأثيرٌ كبيرٌ في نفوس المصلين، فالتَفَّت القلوب حوله تجمعهم المحبة في الله والأخوة الحقة.

وكان الشيخ يُرسله إلى العديد من البلاد لنصرة دين الله وتعليم الناس ونشر المفاهيم السليمة، فاستقبله أهلها وعلماؤها بالترحاب، وأجازه كثيرٌ من العلماء والمحدّثين والفقهاء والمشايخ إجازةً عامةً مطلقةً بكل ما تجوز لهم روايته، وممن أخذ عنهم وأجازه:

- الشيخ الإمام الحافظ المجتهد عبد الله بن محمد الهرري المعروف بالحبشي.

الشيخ المعمر ملا حسن سيد أفندي مستك أوستوران الحنفي القادري النقشبندي القونوي التركي.

- مفتي وشيخ العراق الفقيه المفسر المُعَمَّر عبد الكريم محمد المدرس بمدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني الشافعي النقشبندي.

- مسند عصره المحدث الشيخ أبو الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني الأندنوسي ثم المكي.

- محدث الهند الشيخ حبيب الرحمن بن الشيخ صابر الأعظمي الحنفي.
- المحدّث المعمَّر الفقيه عبد الرحمٰن بن شيخه أبي الإسعاد وأبي الإقبال خادم السنة محمد عبد الحي بن شيخه أبي المكارم عبد الكبير بن شيخه أبي المفاخر محمد بن عبد الواحد الحسيني الحسني الإدريسي الكتّاني.
- محدث البلاد التونسية الشيخ محمد الشاذلي بن الشيخ محمد الصادق ابن الشيخ محمد الطاهر النّيفر.
- الشيخ مفتي البلاد التونسية كمال الدين بن الشيخ محمد العزيز جعيط.
- المحدث الفقيه الحنفي محمد عاشق إلهي البرني ثم المدني المفتي في دار العلوم ـ كراتشي.
- الشيخ الفقيه الشافعي أحمد نصيب المحاميد الحوراني ثم الدمشقي تلميذ محدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين الحسني.
- الشيخ الزاهد محمد علي الحريري الرفاعي الحوراني ثم الدمشقي.
- الشيخ الولي الصالح محمد سليم الرفاعي القاري.
- مفتي محافظة الرقة السورية محمد السيد أحمد.
- الشيخ المعمَّر الصالح صاحب الأحوال السنية محمد ياسين حزوري التركماني ثم الحمصي.
- الشيخ الفرضي نور الدين خزنه كاتبي الدمشقي.
- الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد هاشم المجذوب الرفاعي.

- الشيخ الفقيه المعمَّر محمد زين العابدين بن الشيخ محمد عطاء الله بن الشيخ إبراهيم الجذبه.
- مؤرخ الشام الفقيه الحنفي الشيخ محمد رياض المالح.
- مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد الرقيمي الأشعري.
-المفتي الشيخ عمر جيلاني الأشعري.
- الشيخ المسند المقرئ إدريس منديلي الشافعي.
-الشيخ المعمَّر الفقيه الشافعي أبو عمر عبد السلام القصيباتي العاتكي الدمشقي.
-الشيخ محمد رجائي بن الشيخ كمال الدين المشهور بشهيد ميسلون الحسني الدمشقي.
-الشيخ يحي بن سعيد الخطيب مفتي مدينة الرستن السورية.
-الشيخ الدكتور أكرم عبد الوهاب الملّا يوسف محمد سعيد الموصلي الشافعي.
- الشيخ المعمر يوسف محمود عمر العتوم الأردني.
-الولي الصالح الهائم السائح نورين تندلكي السوداني القادري خليفة قطب السودان المعمَّر عبد الباقي بن الحاج عمر بن أحمد الحسيني المكاشفي.
- المعمَّر الفقيه حامد بن علوي بن سالم بن أبي بكر الكاف الحسيني.
- الشيخ سهيل بن محمد الزبيبي الدمشقي الحنفي.
- الفقيه الأصولي المحدث عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري

الطنجي.

- المتبحر في فنون الحديث محمد بن المفتي محمد سراج بن محمد سعيد بن أبي بكر بن ءادم الآني الجبرتي.

- الشيخ العابد الزاهد محمد أمين الودي المشتهر بشيخ كَسر شيخ نحاة الحبشة.

- المعمَّر الشيخ عبد الصمد بن سادو قلتو الأوكولشي العروسي الأورومي.

- المفتي الشيخ خطاب بن المفتي عمر الفقيري التلوي ثم الإسطنبولي التركي.

- الفقيه ملا طيب بن عبد الله بن سليمان بن محمد البحركي.

- العلّامة الفقيه الحبيب علي بن حسين بن عبد الله عيديد.

- الشيخ المشهور محمد رشاد بن عبد الله الطرطري الهرري الأورومي الشافعي.

- الوجيه الشيخ السيد حسين بن السيد عبد الرحمٰن بن السيد عبد الصمد بن السيد الفقيه جمال الدين محمد الآني الشافعي الحبشي.

- الشيخ المسند محمد عبد الرشيد النعماني الحنفي.

- الشيخ الفاضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر الملا الإحسائي.

- الشيخ المعمَّر محمد عثمان بلال مفتي مدينة حلب.

- الشيخ الشريف السيدا محمد علي الجيلانباري.

- الشيخ الأستاذ المتفنن في العلوم محمد سعيد أرواس ألواني.

- الشيخ الفقيه الجبل الراسخ عبد العزيز بن الشيخ إبراهيم بن بلال.

- الشيخ الفقيه الحنفي خطيب المسجد الأموي في دمشق الشيخ نزار محمد الخطيب.

- الشيخ الحاج علي ولي حفيد ولي الله المشهور بالشيخ بشرى.

- الشيخ المسند الرابغي عبد القادر البخاري.

- الشيخ المسند عبد الحميد عبد الحليم الداري.

- السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ جمال بن الشيخ إسماعيل بن الشيخ إبراهيم الراوي الرفاعي نسابة العالم الإسلامي.

- العلامة الفقيه عبد الرحمـٰن كنج كويا تنكل قاضي بلال وعميد كلية السيد مدني العربية ومرشد جمعية علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهند عبد الرحمـٰن البخاري.

- الشيخ المعمر محمد طاهر ءايت علجت الجزائري.

- الشيخ الفقيه اللغوي المفتي الأمين عثمان الأمين.

- الشيخ العلّامة المعمر الفقيه الحبيب حسين بن محمد بن هادي السقاف.

- الشيخ المعمر محمد بن عمر المختار شيخ المجاهدين.

- الفقيه الأصولي المحدث أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الحسني الغماري.

وبالإجمال فإجازاته فاقت السبعمائة إجازة، ومن أراد زيادة تفصيلٍ فلينظر في ثبتيه: «جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي»، والثبت الكبير «المجد والمعالي في أسانيد الشيخ جميل حليم

العوالي».

وفي سنة ١٩٨٥ر تزوج بالسيدة الفاضلة عائشة علي وأعقب منها السيد محمدًا والسيد عبد الرحمن والسيد زكريا والسيد يوسف والسيدة نور الهدى والسيدة هاجر.

وفي سنة ١٩٩٥ر حج بيت الله الحرام، ثم زار قبر النبي المصطفى ﷺ واستوطن المدينة المنورة، ثم حجَّ بعد ذلك خمس عشرة حجةً واعتمر عمراتٍ كثيرة.

وقد أخذ وتلقى على العلماء من الكتب والمصنفات ما يصعب حصره لضيق المقام، وهي في علومٍ شتى، فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

التوحيد والعقيدة:

- **سلسلة كتب الشيخ عبد الله الهرري:**

١. الدليل القويم على الصراط المستقيم.
٢. متن الصراط المستقيم.
٣. الشرح القويم على الصراط المستقيم.
٤. إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية.
٥. المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية.
٦. المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية.
٧. العقيدة المنجية.
٨. صريح البيان في الرد على من خالف القرءان.

٩. بغية الطالب في معرفة العلم الديني الواجب (١ـ٢).
١٠. شرح الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله.
١١. التحذير الشرعي الواجب.
١٢. رسالة في بطلان دعوى أولية النور المحمدي.
١٣. رسالة في الرد على قول البعض: إن الرسول يعلم كل شىء يعلمه الله.
١٤. الغارة الإيمانية في ردِّ مفاسد التحريرية.
١٥. الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية.
١٦. صفوة الكلام في صفة الكلام.
١٧. قواعد مهمة.

- **رسائل السنوسي الأربعة:**

١٨. العقيدة الكبرى.
١٩. العقيدة الوسطى.
٢٠. العقيدة الصغرى (أم البراهين).
٢١. المقدمات في التوحيد.
٢٢. الخريدة البهية للشيخ الدردير.
٢٣. جوهرة التوحيد للقّاني.
٢٤. الاعتقاد والهداية للبيهقي.

- **رسائل أبي حنيفة الخمس**:

٢٥. الفقه الأكبر.

٢٦. الفقه الأبسط.

٢٧. العالم والمتعلم.

٢٨. رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي.

٢٩. رسالة الوصية المسماة وصية الإمام أبي حنيفة في التوحيد.

٣٠. بدء الأمالي للفرغاني.

٣١. حدائق الفصول وجواهر العقول المعروفة بالعقيدة الصلاحية لابن هبة الله البرمكي.

٣٢. عقيدة العوام للمرزوقي.

٣٣. كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام للفَضالي.

٣٤. التبيان في الرد على من ذم علم الكلام.

٣٥. الرسائل الإيمانية في الرد على القدرية: رسالة الخليفة عمر بن عبد العزيز ورسالة محمد بن الحنفية ورسالة الأوزاعي في الرد على غيلان.

٣٦. القول الفصل المنجي في الردّ على حسن قاطرجي.

٣٧. خلق أفعال العباد والردّ على الجهمية وأصحاب التعطيل للإمام البخاري.

٣٨. النَّهج السَّوِيّ في الرد على سيد قطب وتابعه فيصل مَوْلَوِي.

- **رسائل القشيري الثلاث:**

٣٩. لمع في الاعتقاد.
٤٠. بلغة المقاصد.
٤١. الفصول في الأصول.
٤٢. قواعد العقائد للغزالي.
٤٣. إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة للمقري.
٤٤. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي.
٤٥. كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني.
٤٦. شرح الإرشاد في أصول الاعتقاد للمقترح.
٤٧. التنزيه في إبطال حجج التشبيه المسمى إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة.
٤٨. رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري.
٤٩. عقيدة أهل التوحيد للسنوسي، وغيرها.
٥٠. المِنحة الغَيبيّة في الرّد على الفرقة الوهّابية للمفتي محمد سراج الجبرتي.
٥١. المنظومة الميمِيّة في العقيدة للمفتي محمد سراج الجبرتي.

الكتب الحديثية:

٥٢. صحيح البخاري.
٥٣. صحيح مسلم.

٥٤. سنن أبي داود.

٥٥. جامع الترمذي.

٥٦. سنن النسائي.

٥٧. سنن ابن ماجه.

٥٨. موطأ مالك بالروايات الثلاث: رواية يحي بن يحي الليثي، ورواية أبي مصعب الزهري المدني، ورواية محمد بن الحسن الشيباني.

٥٩. صحيح ابن خزيمة.

٦٠. الأدب المفرد للبخاري.

٦١. المسند للدارمي.

٦٢. مسند أبي داود الطيالسي.

٦٣. مسند أبي حنيفة برواية ابن الحارث

٦٤. بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني.

٦٥. تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد للعراقي.

٦٦. عوالي الإمام مالك للحاكم الكبير.

٦٧. مكارم الأخلاق للطبراني.

٦٨. جزء سفيان الثوري في الحديث

٦٩. الشمائل المحمدية للترمذي.

٧٠. الأربعون النووية.

٧١. شرح الأربعين النوويّة المنسوب لابنِ دقيق العيد أو

العَسقلاني.

٧٢. بر الوالدين للإمام البخاري.

٧٣. جزء القراءة خلف الإمام للإمام البخاري.

٧٤. مسند أبي بكر الصديق لأبي بكر المروزي.

٧٥. مسند أمير المؤمنين عمر بن العزيز للباغندي.

٧٦. عقد الجوهر الثمين للعجلوني.

٧٧. الأوائل الحديثية المائة، أوائل مائة كتاب من كتب الحديث بالأسانيد المتصلة إلى مؤلفيها.

٧٨. الأوائل السنبلية لمحمد سنبل.

٧٩. الأذكار للنووي.

٨٠. رياض الصالحين للنووي.

٨١. الأربعون حديثًا من أربعين كتابًا عن أربعين شيخًا للفاداني.

٨٢. الأربعون البلدانية، أربعون حديثًا عن أربعين شيخًا من أربعين بلدًا للفاداني.

٨٣. الأربعون البلدانية المسمى الأربعين المستغني بما فيه عن المعين للسِّلَفي.

٨٤. المعجم الصغير للطبراني.

٨٥. عمل اليوم والليلة للنسائي.

٨٦. إحياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي.

٨٧. الأربعون الهررية.
٨٨. جِياد المسلسلات للسيوطي.
٨٩. الجامع الصغير للسيوطي.
٩٠. بغية الملتمس في سباعيات حديث الإمام مالك بن أنس للعلائي.
٩١. جزء أبي بكر أحمد بن محمد الأثرم تلميذ أحمد بن حنبل في الحديث.
٩٢. المنتقى لابن الجارود، وغيرها.

مصطلح الحديث:

٩٣. شرح نخبة الفكر للعسقلاني.
٩٤. تعليقات المحدِّث محمد سراج الجبرتي ابن المفتي على شرح نخبة الفكر للعسقلاني.
٩٥. معرفة أنواع علم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح.
٩٦. شرح الزرقاني على المنظومة البيقونية.
٩٧. ألفية السيوطي في مصطلح الحديث.
٩٨. المنحة الربانية شرح المنظومة البيقونية لمحمد سراج.
٩٩. ألفية العراقي المسماة التبصرة والتذكرة في علوم الحديث.
١٠٠. شرح ألفية العراقي للسيوطي.
١٠١. التعقب الحثيث على من طعن فيما صحَّ من الحديث للهرري.

١٠٢. نصرة التعقب الحثيث على من طعن فيما صحَّ من الحديث للهرري.

١٠٣. التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث للنووي.

١٠٤. شرح التبصرة والتذكرة للعراقي.

١٠٥. شروط الأئمة الستة لأبي الفضل المقدسي.

١٠٦. شروط الأئمة الخمسة لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي.

١٠٧. رسالة أبي داود السجستاني في وصف سُنَنِه.

١٠٨. قاعدة في الجرح والتعديل لتاج الدين السبكي.

١٠٩. قاعدة في المؤرِّخين لتاج الدين السبكي.

١١٠. المتكلمون في الرجال للحافظ شمس الدين السَّخاوي.

١١١. أسباب ورود الحديث أو اللمع في أسباب ورود الحديث للسيوطي.

الآداب والتصوف:

١١٢. تذكرة السامع والمتكلِّم في ءاداب العالم والمتعلِّم لابن جماعة.

١١٣. رسالة المسترشدين للمحاسبي.

١١٤. الرسالة القشيرية في التصوف للقشيري.

١١٥. رسالة ءاداب سلوك المريد للحبيب عبد الله بن علوي الحداد.

١١٦. جزء من كتاب: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي.
١١٧. إجابة الداعي إلى بيان اعتقاد الإمام الرفاعي.
١١٨. إرشاد الأواه إلى تحريم ذكر الله بلفظ ءاه.
١١٩. مناقب الإمامين الرفاعي والجيلاني رضي الله عنهما وتبرئة الجيلاني مما نسبه إليه الدجالون.
١٢٠. مجمع العيلمين في مناقب أبي العلمين.
١٢١. وصية أبي حنيفة لتلميذه يوسف السَّمْتي
١٢٢. كرامات الأولياء للخلَّال.
١٢٣. الأربعون في التصوف للسُّلَمِي.

الفقه الشافعي:

١٢٤. شرح التنبيه للسيوطي.
١٢٥. المهذب للشيرازي.
١٢٦. منهاج الطالبين للنووي.
١٢٧. تحرير تنقيح اللباب لزكريا الأنصاري.
١٢٨. عمدة السالك وعدة الناسك لابن النقيب.
١٢٩. الحاوي الصغير للقزويني.
١٣٠. شرح متن أبي شجاع للغزي.
١٣١. شرح متن الزبد للهرري.
١٣٢. المقدمة الحضرمية للحضرمي.

١٣٣. فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين للمليباري.
١٣٤. فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب لزكريا الأنصاري.
١٣٥. الإقناع للخطيب الشربيني.
١٣٦. المنهج القويم بشرح مسائل التعليم للهيتمي.
١٣٧. تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب لزكريا الأنصاري.
١٣٨. الأحكام السلطانية للماورديّ.
١٣٩. الرسالة الجامعة والتذكرة النافعة للحبيب الحبشي.
١٤٠. متن سفينة النجاة في ما يجب على العبد لمولاه للحضرمي.
١٤١. رسالة في مسائل تتعلق بالذبائح والنذور للمحدِّث محمد سراج الجبرتي ابن المفتي.

مجموعة كتب الإمام الشافعي:

١٤٢. كتاب الأم.
١٤٣. كتاب الرسالة.
١٤٤. كتاب اختلاف العراقيين، وهو اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى.
١٤٥. كتاب اختلاف علي وعبد الله بن مسعود.
١٤٦. كتاب اختلاف مالك والشافعي.
١٤٧. كتاب جماع العلم.
١٤٨. كتاب بيان فرائض الله.

١٤٩. كتاب صفة نهي رسول الله.

١٥٠. كتاب إبطال الاستحسان، وهو الردُّ على محمد بن الحسن الشيباني.

١٥١. كتاب سير الأوزاعي.

١٥٢. اختلاف الحديث

١٥٣. مختصر البويطي.

١٥٤. مسند الإمام الشافعي.

الفقه الحنفي وأصوله:

١٥٥. اللباب في شرح الكتاب للغنيمي الميداني الحنفي.

١٥٦. أصول الشاشي لأبي عليّ الشاشي الحنفي.

١٥٧. الهداية شرح البداية للمرغيناني الحنفي.

١٥٨. نور الإيضاح للشُّرُنبُلالي.

الفقه المالكي:

١٥٩. متن ابن عاشر في الفقه المالكي.

١٦٠. رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

علوم القرءان:

١٦١. تفسير النسفي.

١٦٢. تفسير الجلالين للسيوطي والمحليّ.

١٦٣. التفسير النهر المادّ لأبي حيّان الأندلسيّ.

١٦٤. تفسير جزء عم للهرري.

١٦٥. تفسير جزء تبارك للهرري.

١٦٦. لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.

١٦٧. الإتقان في علوم القرءان للسيوطي.

١٦٨. التبيان في ءاداب حملة القرءان للنووي.

١٦٩. الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي.

أصول الفقه وقواعده:

١٧٠. الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية لأبي بكر الأهدل.

١٧١. قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين للرعيني.

١٧٢. الغيث الهامع شرح جمع الجوامع للعراقي.

١٧٣. الأشباه والنظائر للسيوطي.

١٧٤. لُبّ الأصول في علم الأصول لزكريا الأنصاري.

١٧٥. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لزكريا الأنصاري.

السيرة النبوية:

١٧٦. ألفية السيرة النبوية للعراقي.

١٧٧. مختصر سيرة النبي وسيرة أصحابه العشرة للمقدسي.

١٧٨. جزء من العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للمناوي.

١٧٩. مختصر كتاب الكواكب الدرية في مدح خير البرية المسماة بالبردة ومختصر كتاب عنوان الشريف بالمولد الشريف لعلي ابن ناصر الحجازي، اختصره عبد الله الهرري.

١٨٠. الروائح الزكية في مولد خير البرية للهرري.

١٨١. كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر.

١٨٢. مختصر كتاب الفتح الرحماني في ذكر الصلاة على أشرف الخلائق الإنساني سيدنا محمد المصطفى العدناني ﷺ وعلى ءاله وأصحابه النجباء البررة الكرام، اختصره عبد الله الهرري.

١٨٣. القصيدة الهمزية في مدح خير البَرِيّة للبوصيري.

وغيرها الكثير في شَتّى العلوم والفنون(١).

يرأس جمعية المشايخ الصوفية في لبنان، ويشغل مناصب مختلفة في عدد من الجمعيات منها:

---

(١) الحمد لله الذي يَسَّر لي وأكرمني بأنْ قرأت عددًا كبيرًا من كتب علماء أهل السنة في مختلف العلوم والفنون على مشايخ وعلماء وفقهاء ومحدِّثين وقد رافق ذلك تحذيرهم تحذيرًا بالِغًا من بعض المواضع التي تخللتها بعضُ هذه الكتب مثل كتاب النَّهر المادّ والرسالة القشيرية وتفسير الجلالين وغيرها، وقد أكَّدوا على أنّ فيها ما يُحذَر بل وفيها ما هو خلاف عَقيدَةِ أهل السنة والجماعة مع الاعتقاد بأنّ ذلك مدسوس على مؤَلِّفيها. فالعِبرة يا أخي المسلم هو بتَلَقِّي الكتب على أهل العلم الثِّقات ليُبَيِّنُوا للطالب ما دُسّ في بعض الكتب من الطامّات المهلِكات، ولذلك قال العلماء: «الَّذِي يَعتمد - أي وَحْدَه - على قراءة الكتب يَطلع ضالًّا مُضِلًّا».

- جمعية السادة الأشراف في لبنان.

- جمعية مشيخة الصوفية في مصر.

- نقابة السادة الأشراف في العراق.

- نقابة الأشراف في بيت المقدس.

- جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية.

- الأمانة العامة لأنساب السادة الهاشميين.

- الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب.

وهو حائزٌ على شهادتي دكتوراه، الأولى من الجامعة العالمية في بيروت ـ لبنان تحت عنوان «السُّقوط الكبير المدوِّي للمجسِّم ابن تيمية الحرَّاني» بتقديرٍ ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والأخرى من جامعة مولاي إسماعيل في مدينة مكناس ـ المغرب تحت عنوان «التأويل في علم الكلام وضوابطه عند أهل السنة والجماعة» وذلك بتقدير مشرف جدًّا ولله الحمد والمنة.

وهو مجازٌ بالطرق كلها، وإعطائها، وتلقين الأذكار والأوراد، وإقامة حلقات الذكر، والختم، والحضرة.

كما أنه دُعي وجال وتنقل في كثير من البلاد العربية والإسلامية والأوروبية كالحجاز وسوريا والأردن والعراق ومصر وليبيا واليمن والمغرب والإمارات العربية وأندنوسيا وماليزيا والهند وباكستان وبنغلادش وجزر الموريس وأستراليا وألمانيا وفرنسا وهولندا وفنلندا والسويد والدنمارك وتركيا وقبرص وهرر وبلاد أثيوبيا للتدريس والخطابة

والتوجيه والمشاركة في المهرجانات وتفقد أحوال المسلمين والدعوة الإسلامية، وشارك وحاضر في عدد كبير من المؤتمرات في مختلف بقاع الأرض، وله مقالات ومقابلات تلفزيونية وإذاعية نُشرت.

أولى اهتمامه العلم والمطالعة، فهو يعكف اليوم على تأليفِ الكتب وتحقيق مصنفات العلماء في مكتبته التي وسمها بالمكتبة الأشعرية العبدرية في بيروت وقد حوت ءالاف الكتب المطبوعة والمخطوطة النادرة بشتى العلوم والفنون، وجعل مكتبته مفتوحةً لطلبة العلم والباحثين، ناهيك عما عُقد فيها من محاضراتٍ علميةٍ ومجالس إقراءٍ زكاةً للعلم.

هذا وقد خصَّهُ بعض العلماء وأحفاد رسول الله ﷺ وأصحاب الطرق من تركيا وسوريا ومصر واليمن وباكستان والهند وغيرها بآثارٍ من ءاثار رسول الله محمد ﷺ، فحفظها في الخزينة الحليمية التي حوت شعراتٍ من شعراتِ نبي الله الأعظم ﷺ وقطعًا من عمامته وقميصه ونعله وغيرها من الآثار، وكل ذلك موثقٌ بالأثبات والأختام التي تثبت صحة نسبتها إلى رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وفي كل عام يتبرك عشرات الآلاف من المسلمين في شتى البلاد ببعض هذه الآثار الزكية[١].

---

(١) للتواصل مع المؤلف راجع ما يلي:

+٩٦١٣٢١٥٣١٦

+٩٦١٣٠٠٦٠٧٨

sh.jamil.halim@gmail.com

https//:www.facebook.com/Sheikh.Jameel

نَسَبُ الشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

هو السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ الدكتور عماد الدين أبو محمد جميل ابن محمد الأشعري الشافعي الحسيني الرفاعي القادري، خادم الآثار النبوية الشريفة رئيس جمعية المشايخ الصوفية وهو ابن السيد محمد بن السيد عبد الحليم بن السيد قاسم بن السيد أحمد بن السيد قاسم بن السيد عبد الكريم بن السيد عبد القادر بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد ياسين بن السيد إسمٰعيل بن السيد حسين بن السيد محمد بن السيد إبراهيم بن السيد عمر بن السيد حسن بن السيد حسين بن السيد بلال بن السيد هارون بن السيد علي بن السيد علي أبي شجاع بن السيد عيسى ابن السيد محمد بن أبي طالب بن السيد محمد بن السيد جعفر بن السيد الحسن أبي محمد بن السيد عيسى الرومي بن السيد محمد الأزرق بن السيد أبي الحسن الأكبر عيسى النقيب بن السيد محمد بن السيد علي العريضي بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام السجاد علي زين العابدين بن الإمام السبط السعيد الشهيد الحسين ابن السيدة الجليلة الزكية الطاهرة فاطمة البتول زوجة أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام وابنة رسول رب العالمين خاتم النبيين والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين(١).

---

(١) وهذا نسبٌ شريفٌ صحيحٌ بلا مِرْيَةٍ مضبوط في كتاب جامع الدّرر البهيّة بأنساب القرشيّين في البلاد الشّاميّة، جمع الدكتور الشّريف كمال الحوت الحسيني، شركة دار المشاريع الطبعة الثانية (ص٣٣٢، ٣٣٣) تاريخ ٢٠٠٦ر ـ ١٤٢٧هـ، وفي كتاب غاية الاختصار في أنساب السادة الأطهار، ويليه المستدرك الطبعة الثالثة (ص١) ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٠م، وفي كتاب الحقائق الجليّة في نسب السّادة العريضية (ص٤٣٣، ٤٣٤) كلاهما للدكتور الوليد العريضي الحسيني البغدادي.

تنبيه مهم

إخواني القرَّاء الأعزّاء، ليعلم أنَّ الداعي لتأليف هذا الكتاب هو بيان الحقيقة التي خفيت على كثيرٍ من المطالعين والقرَّاء والباحثين حتَّى من المشايخ، فظنُّوا بهؤلاء الثلاثة ـ ابن عبد البر وابن بطة والذهبي ـ أنهم من أهل السنة والجماعة، والواقع أن كتبهم تشهد بأنَّ فيهم التشبيه والتجسيم. فمقصودنا إبراز حقيقة هؤلاء مما تشهد بذلك كتبهم، لا لغرضٍ دنيويٍّ ولا لمجرّد التشهير بهم. وأما من يعترض علينا مدَّعيًا بأن المذكورين علماء، يقال له: الحريُّ بك أن تغار على دين الله وعلى عقيدة رسول الله. فليكن انحيازُكَ إلى الحق... القرءان والسنة والإجماع. فتحذير المسلمين من الشّر والفساد أمرٌ لابدَّ منه، قال صلى الله عليه وسلم: «**أَتَرِعُونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ؟ اذْكُرُوهُ بِمَا فِيهِ كَيْ يَعْرِفه النَّاسُ**». فعملًا بوصيَّة رسول الله وحبيبه كتبنَا هذه الرسالة في التحذير منهم وبيَّنَّا فسادهم كي يعرفهم الناس. والحمد لله أولًا وآخرًا.

مقدمة الكتاب

# #

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام الأتمَّان الأكملان على نبيِّ هذه الأمَّة **محمَّد** أفضل الخلق أجمعين.

السلام على من اتبع هداه وسلك مسلك كلام أهل السنةِ والتوحيد ونبذ الفتن والتشبيه والتجسيم.

السلام على أصحابه وأتباعهم التابعين تنغير المضلِّين ولا المكذبين.

السلام على من نصر السنة، السلام على الصوفيَّة الصادقين.

السلام على إماميْ أهل السنة أبي الحسن الأشعري وأبي منصورِ الماتريدي الصادقين العارفين وأتباعهما من المتقين.

أما بعد: فالويلَ الويلَ لكل مكذِّب مضِلٍّ أفّاكٍ أثيم، افتروا على رب العالمين فكانوا من الظالمين الطاغين وكانوا قومًا مجرمين.

ولو سألت: من هم؟ أقول: هم أصحاب العقائد السوداءِ، هم الذين افتروا على العلماء، رووا أحاديث موضوعة فيها نسبة القعود والجلوس لخالق الأحجام والأجرام كالهواء وجاؤوا بالتجسيم والتشبيه مدَّعين أنَّهم أعلم العلماء، لا وربِ الأموات والأحياء، كلامُهم بعيدٌ عن الحق بُعدَ الأرضِ عن السماءِ، ولو مدحهم من مدح، فقد قدحهم من قدح، وهم

أناسٌ اشتهروا بألقاب الأبناء ابن بطة وابن تيمية وابن عبد البر وابن قيم وابن قتيبة وابن كثير أصحاب البدع الشَعواء وزد عليهم الذهبيِّ الطاعن في الأشاعرة والماتريدية أهل العَلاء، كذَبوا ادعَوا افترَوا ركَّبُوا جمَّعوا غيَّروا بدَّلوا شبَّهوا جسَّموا نقّصُوا فلم يعرِفوا اللهَ ولم يعرفوا رسولَه ولا عرفوا أتباعَه ولا عرفوا اتِّباعَهم.

فلأجل هذا أردنا تأليفَ كتابٍ يرُد عليهم وسمناه بـ«**الكَشْفُ الجَلِيّ لِحَقِيْقَةِ المُشَبِّهَةِ: ابنِ بَطَّةَ، وابنِ عَبدِ البَرِّ، والذَّهَبِيّ**»، واخترنا من الأسماء ابن بطة وابن عبد البر والذهبي لمَّا خفي على كثيرٍ من أهل السنة حالهم، ورأينا مدحًا لهم من بعض من لم يقف على حقيقة أمرِهم فأحببنا أن نبيِّن الحقّ المبين، فالحق أحقُّ أن يتبع، مع إيرادنا لنكتٍ نفيسةٍ وفوائد جليلةٍ وتقسيماتٍ عديدة تقرُّ أعين أهلِ السنة والجماعة وتُفرحهم وتقويهم في الردِّ على أهل البدع المجسمة المشبهة فيأتي هذا الكتاب العزيز النفيس ناصرًا الإسلام وناصرًا أهل السنة في الردِّ على شبههم الواهية.

وقد قسَّمتُ رسالتي هذه إلى أبوابٍ على النحو التالي:

- **الباب الأول**: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- **الباب الثاني**: التَّحذير من ابن بطة
- **الباب الثالث**: التحذير من ابن عبد البر
- **الباب الرابع**: التحذير من الذهبي

- **الباب الخامس**: المحكم والمتشابه
- **الباب السادس**: الردود على شبهات
- **الباب السابع**: مكانةُ علم الكلام
- **الباب الثامن**: نصرة الأشاعرة والماتريدية

وكلُّ بابٍ ينقسم إلى عدَّة مباحثَ، فانظرها في مواضِعها.

راجيًا من الله تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان أعمالي ومن ساعدني فيه يوم القيامة، فهو وليُّنا، وإليه مآلنا، وبه اعتصمنا ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم الحكيم.

البَابُ الأَوَّل:

الأَمرُ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيُ عَنِ المُنْكَر

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول:** وجوبُ التَّحذِير الشَّرعي
- **المبحث الثاني:** كيفَ يُثنَى على من أضلَّهُ الله؟

المبحث الأول:

وجوب التحذير الشرعي

يقول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة ءال عمران]. وروى مسلم أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(١).

دعانا الشرع الكريم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلى إبطال الباطل وإحقاق الحق؛ ولقد كثر المفتون اليوم في الدين بفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان، وزاد الانحراف وامتدَّ، لذلك كان لا بدَّ من تأليف مؤلَّف لبيان الحق من الباطل والصحيح من الزائف. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه حذَّر ممَّن غشَّ في الطعام(٢)، وثبت عنه أيضًا أنه قال في رجلين كانا يعيشان بين المسلمين: «**مَا أَظُنُّ فُلاَنًا وَفُلاَنًا يَعْرِفَانِ دِينَنَا الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ**»(٣). وإذا كان الرسول ﷺ قال للخطيب الذي قال: «مَن يُطع الله ورسوله فقد رَشد ومَن يعصهما فقد غوى»: «**بِئْسَ الْخَطِيبُ**

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، (٦٩/١)، رقم الحديث: ٧٨.

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، (٩٩/١)، رقم الحديث: ١٠٢.

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، (١٩/٨)، رقم الحديث: ٦٠٦٨.

أَنْتَ»[1] وذلك لأنه جمع بين الله والرسول بضمير واحد، فقال له: «**قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ**» فلم يسكت عن هذا الأمر الخفيف الذي ليس فيه كفر وإشراك وإنما هو مكروه، فكيف يسكت عمن يحرّف الدين وينشر ذلك بين الناس، فهذا أجدر بالتحذير والتنفير منه.

وليس ذِكرنا لبعض المنحرفين في هذا الكتاب من الغيبة المحرَّمة إنما هو من التحذير الواجب، فقد ثبت أن فاطمة بنت قيس جاءت النبيَّ ﷺ فذكرت له أن أبا جهم بن حذيفة ومعاوية بن أبي سفيان خطباها، فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ لَا يَرْفَعُ عَصَاهُ عَنِ النِّسَاءِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، وَلَكِنِ انْكِحِي أُسَامَةَ**»[2]. فإذا كان الرسول حذَّر فاطمة من الزواج بهما لسبب خفيف وذكرهما في خلفهما بما يكرهان لهذين السببين أحدهما: كَوْن معاوية شديد الفقر لا يقوم بحاجتها بأمر النفقة، والثاني: أن أبا جهْم يُكثر ضرب النساء فكيف أُناس غشُّوا الناس وجعلوا الكفر إسلامًا.

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، (٢/٥٩٤)، رقم الحديث: ٨٧٠.

(٢) **سنن الترمذي**، الترمذي، (٣/٤٣٢)، رقم الحديث: ١١٣٤.

ولهذا حذَّر الشافعي من حفص الفرد أمام جمع وقال له: «كفرت بالله العظيم»[1]، وقال في معاصِرِه حرام بن عثمان ـ وكان يروي الحديث ويكذب ـ: «الروايةُ عن حرام حرام»[2] [3].

وقد جرح الإمام مالك[4] في بلديّه ومعاصِرِه محمد بن إسحق صاحب كتاب المغازي فقال فيه: «دجال من الدجاجلة»، وقال الإمام أحمد في أحمد ابن داود ابن أخت عبد الرزاق[5]: «كان من أكذب الناس».

قال أبو حاتم البُستي[6]: «فهؤلاء أئمة المسلمين وأهل الورع في الدين أباحوا القدح في المحدثين وبيَّنوا الضعفاء والمتروكين، وأخبروا أن السكوت عنه ليس مما يَحل، وأن إبداءه أفضل من الإغضاء عنه، وقد تقدمهم فيه أئمة قبلهم ذكروا بعضهم، وحثوا على أخذ العلم من أهله».

وقد جرت عادة الفقهاء على تغليط بعضهم بعضًا إذا غلط، حتى إن إمام الحرمين غلَّط أباه في غير مسألة، وأبوه من كبار أصحاب الوجوه في

---

(١) **مناقب الشافعي**، البيهقي، (٤٠٧/١).

(٢) مع أنه لم يثبت منه في مروياته ما يؤدي إلى كفر.

(٣) **مناقب الشافعي**، البيهقي، (٥٤٢/١).

(٤) **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، (٤١/٩).

(٥) **لسان الميزان**، ابن حجر العسقلاني، (١٦٩/١).

(٦) **كتاب المجروحين**، ابن حبان، (٢١/١).

مذهب الإمام الشافعي وهي الطبقة التي تلي الشافعي، ذكر ذلك في طبقات الشافعية منقولا من مختصر الأسدي[1].

والغرض من ذلك كله حفظ الشريعة، لأنه لولا تجنّب الرواة الذين لا يستحقون أن يُروى عنهم لضاع الدين.

ثم اعلم أن العمدة عند أهل الجرح والتعديل[2] كلام المعاصر في معاصِرِه، أما قول بعض الناس: «لا يُقبل قول العلماء المتعاصرين بعضهم في بعض»، فهو مردود لأن المعتمد في الجرح والتعديل معاصر الراوي، فإنه

---

(١) هذا الكتاب مخطوط.

(٢) علم الجرح والتعديل: هو علم يبحث فيه عن جرح الرُّواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة، وعن مراتب تلك الألفاظ. وهذا العلم من فروع علم رجال الحديث، والكلام في الرجال جرحًا وتعديلًا ثابت عن رسول الله ﷺ ثم عن كثير من الصحابة والتابعين فمَن بعدهم، جوّز ذلك تورعًا وصونًا للشريعة. وكما جاز الجرح في الشهود جاز في الرّواة. والتثبّت في أمر الدين أولى من التثبّت في الحقوق والأموال، فلهذا افترضوا على أنفسهم الكلام في ذلك. وأول مَن جمع في ذلك الإمام يحيي بن سعيد القطان، وتكلم فيه بعده تلامذته يحي بن معين، وعليّ بن المديني، وأحمد بن حنبل، وعمرو بن علي الفلاس، وتلامذتهم كأبي زرعة الدمشقي، وأبي حاتم، والبخاري، ومسلم، والجوزجاني، والنسائي، وابن خزيمة، والترمذي، والدولابي، وابن عدي، والأزدي، والدارقطني، والحاكم وغيرهم. وقد صُنّفت فيه مصنفات عديدة من أشهرها كتاب الجرح والتعديل للرازي، ولسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني.

إن لم يقبل قول الثقة الذي عرف خبر الراوي وعرف حاله فزكَّاه أو جرحه فكيف يكون كلام مَن بعد عصره مقبولا وقد قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الخَبَرُ كَالمُعَايَنَةِ**»[1]، ومن أين يُعرف حال الراوي فيُزكى أو يُجرح إذا لم يؤخذ من معاصِرِه الذي خالطه واجتمع به. فيا للعجب كيف راجت هذه المقالة الشنيعة عند أولئك، وأشنع منها قول: «إن العلماء يغار بعضهم من بعض كالتيوس».

فعملًا بالنصيحة التي أمر الرسول ﷺ بها في حديثه[2]: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قيل: لمن؟ قال: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»، فإننا نحذِّرُ مِن أشخاصٍ ذاع صيتهم وانتشرت مؤلَّفاتهم خوفًا من توسّع وانتشار ضلالهم.

(١) **حلية الأولياء**، أبو نعيم، (٩/١٨٨).

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، (١/٧٤)، رقم الحديث: ٩٥.

المبحث الثاني:
كيفَ يُثنَى على من أضلَّهُ اللّٰه؟

قد يسأل البعض: كيف أثنى بعض المحدثين والعلماء على عبادٍ ضلُّوا فأضلُّوا، كالسيوطي الذي وصف ابن تيمية بأنَّه شيخ الإسلام، وابن تيمية الحراني هو من هو، ذاع صيته وكثرت مؤلّفاته وأتباعه، وهو كما قال فيه المحدّث الحافظ الفقيه ولِيّ الدين العراقي ابن شيخ الحفّاظ زين الدين العراقي في كتابه الأجوبة المرضيّة على الأسئلة المكيّة[١]: «علمه أكبر من عقله»، وذكر أنه خرَق الإِجماع في مسائل كثيرة قيل تبلغ ستين مسألة بعضها في الأصول وبعضها في الفروع خالف فيها بعد انعقاد الإجماع عليها، وتبعه على ذلك خلقٌ من العوام وغيرهم، فأسرع علماء عصره في الردّ عليه وتبديعه، منهم الإمام الحافظ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي قال في الدرّة المضية[٢] ما نصّه: «أما بعد، فإنه لمّا أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد، بعد أن كان مستترًا بتبعية الكتاب والسُّنّة، مظهرًا أنه داعٍ إلى الحقّ هادٍ إلى الجنّة، فخرج عن الاتّباع إلى الابتداع، وشذّ عن جماعة المسلمين

---

(١) **الأجوبة المرضية**، العراقي، (ص٩٣ ـ ٩٥).

(٢) **الدرة المضية**، السبكي، المقدمة.

بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسميّة والتركيب في الذات المقدّس، وأن الافتقار إلى الجزء ـ أي افتقار الله إلى الجزء ـ ليس بمحال[1]، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى، وأن القرءان محدَث تكلم الله به بعد أن لم يكن، وأنه يتكلم ويسكت ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات، وتعدّى في ذلك إلى استلزام قدم العالم، والتزامه بالقول بأنه لا أوّل للمخلوقات فقال بحوادث لا أوّل لها، فأثبت الصفة القديمة حادثة والمخلوق الحادث قديمًا، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملّة من الملل ولا نِحلة من النّحَل، فلم يدخل في فرقة من الفِرق الثلاث والسبعين التي افترقت عليها الأُمّة، ولا وَقفت به مع أمة من الأمم هِمَّةٌ، وكل ذلك وإن كان كفرًا شنيعًا مما تَقِلّ جملته بالنسبة لما أَحدث في الفروع».

وقد استُتيب مرات وهو ينقض مواثيقه وعهوده في كل مرّة حتى حُبس بفتوى من القضاة الأربعة الذين أحدهم شافعي والآخر مالكي، والآخر حنفي والآخر حنبلي وحكموا عليه بأنه ضال يجب التحذير منه كما قال ابن شاكر الكتبي في عيون التواريخ وهو من تلامذة ابن تيمية وسيأتي، وأصدر الملك محمَّد بن قلاوون منشورًا ليقرأ على المنابر في مصر وفي الشام للتحذير منه ومن أتباعه. وقد قال الإمام تقي الدين الحصني في كتابه

(١) معنى هذا الكلام أنَّ الله مركّب من أجزاء ويحتاج إلى تلك الأجزاء والعياذ بالله تعالى.

«دفع شبه من شبه وتمرد»[1]: «فصار كفره مجمعًا عليه»، أي ابن تيمية كافرٌ بإجماع قضاة الإسلام في عصره.

فبعدَ كلِّ هذا! كيف يمدحه السيوطي وبعضٌ من العلماء الأعلام؟!

فالجواب عن ذلك أن ابن تيمية خفيت حقيقة أمره على بعض الحفاظ والعلماء الذين مدحوه وأثنوا عليه كالسيوطي وغيره، لوجود من كان يثني عليه ويمدحه بين الناس قبل أن يطلعوا على كفرياته، ومنهم من كان يسمع عنه أنه كان مدافعًا عن السنة من غير معرفة التفاصيل، ولأنه هو نفسه كان يُنكر أمام القضاة إذا وُوجهَ ببعض الكفريات، فإذا خُلّي سبيله ورجع إلى أتباعه تكلم بينهم فيما أنكره أمام القضاة، ولذلك تكررت محاكماته كثيرًا.

ثم إن العبرة بالحكم الشرعي في القضايا والمسائل على الشخص الذي ثبتت عليه وليست العبرة بمدح المادحين له، فهذا رأس المنافقين في المدينة المنورة عبد الله بن أبي بن سلول خفي أمره عن رسول الله صلى الرسول عليه، فلما مات إجراءً له على الظاهر من حاله لأنه كان إذا واجهه الرسول بالكفريات التي تنسب إليه أنكرها فظنَّه الرسول أنه على الإسلام، وبعدما صلى عليه نزلت الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا

---

(١) **دفع شبه من شبه وتمرّد**، تقي الدين الحصني، (ص٩٤، ٩٥).

﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة التوبة]، فأيقن الرسول بعد نزول الآية بكفرهم، فماذا يكون مدح السيوطي وغيره لابن تيمية أمام صلاة الرسول على ابن سلول.

تنبيه مهم: إنَّ ابن تيمية ثبت عنه مئات الكفريات في شتّى المواضيع كما هي في كتبه إلى اليوم وهو لم يتراجع عنها، لا أعلن بلسانه ولا كتب قبل موته في السجن، وأتباعه يقررونها ويدافعون عنها مع شهادة العلماء والحفاظ الكبار الذين عرفوا حقيقة أمره، وكذلك السلاطين والفقهاء والأئمة وقضاة المذاهب الأربعة الذين حكموا عليه بالكفر والمنع من التدريس والفتوى وبالسجن إلى أن يموت، وهؤلاء أكثر اطلاعًا على امره وحقيقته من السيوطي. ولا تنس أن الذهبي مع كونه كان مذبذبًا وكان تلميذًا له، وكان يمدحه مدحًا عظيمًا ولم يكن قد اطلع على كل مسائله، فلما اطلع عليها ذمه ذمًّا شديدًا بالغًا كما في نصيحة الذهبي لابن تيمية.

تتمة في التأكيد على ما سبق وزيادة البيان:

فإن قيل بأنَّ عددًا من الحفاظ أو المؤلفين أو المشايخ مدحوا الذهبي أو ابن بطة أو ابن عبد البر أو ابن تيمية أو ابن كثير أو ابن قيم:

فالجواب عن ذلك: أن من مدحهم إما أنه لم يكن قد ثبت عنده حالهم السيء أو لم يطلعوا على أقوالهم أو بلغهم فيهم الذم والمدح ولم يقفوا على حقيقة أمرهم أو بلغهم ما هو خلاف ذلك فيهم أو أنهم تراجعوا

كما هو الحال في قضية ابن تيمية مع القضاة والأئمة والحفاظ والأمراء حيث كان لخوفهِ منهم ولتذبذبه وتلاعبه ينكر ما ينقل عنه من التجسيم وخرقه للإجماع في مسائل الطلاق والزيارة ثم إذا تركوه ورجع إلى جماعته وأتباعه عاد إلى أقواله الشاذة، من هنا احتار في أمرهم بعض الكتاب والمشايخ والمؤلفين، وكتبهم موجودة بين أيدي الخاصة والعامة، ليست مخبأة كالماضي وهي مشحونة بما يخالف الكتاب والسنة والإجماع وهي ضد عقيدة أهل السنة والجماعة وقد شذوا وانحرفوا في كثير من القضايا والمسائل التي لا عذر لهم فيها، وبعد هذا فماذا ينفعهم إن كان السبكي مدح الذهبي أو ابن حجر العسقلاني أو السيوطي مدح ابن تيمية أو فلان مدح ابن عبد البر أو زيد مدح ابن بطة أو عمرو مدح ابن كثير لما خفي عليهم حالهم فإن كانوا مخالفين للكتاب والسنة والإجماع فلا ينفعهم مدح المادحين لهم لو بلغوا الآلاف وهذا هو الحال والواقع فالمدح فيهم ممن لم يطلع على حقيقة عقائدهم الفاسدة لا ينفعهم عند الله ولا يغير شيئًا من حالهم في الآخرة والعبرة بما عند الله، فلا تغتر أخي القارئ المنصف بثناء بعض الناس عليهم وكتبهم تنادي بخلاف عقيدة مئات الملايين من المسلمين ولن يستطيع أحد من أتباع هؤلاء المشبهة المجسمة الذين مرت أسماؤهم أن يثبت على الحافظ ابن حجر العسقلاني أو على السبكي أو على السيوطي أو على حافظ أو إمام أو فقيه محقق أنهم أثبتوا مقالات واعتقادات ابن تيمية وابن بطة وابن عبد البر والذهبي والبقية من تشبيه أو تجسيم أو تضليل وتكفير للمتوسلين والمتبركين والمؤولين

للمتشابهات من أهل السنة أو القضايا الأخرى التي خرقوا فيها الإجماع وكذّبوا فيها النصوص ومع ذلك مدحوهم عليها وأثنوا عليهم لأجلها واعتبروهم معذورين مأجورين في ذلك، هذا لن يستطيع أن يثبته أحد من المجسمة أتباع أئمة التشبيه والتجسيم على حفاظ وفقهاء أهل السنة والجماعة.

ومن هنا خلاصة تزيل التساؤلات والتحيُّرات وتزيل الشبهات عن العلماء الأجلاء:

- العلماء الأعلام عرف عنهم تحسين الظن وعدم التسرع في الحكم.
- العلماء الأجلاء لو ثبت عندهم مقالات ابن بطة وابن عبد البر والذهبي ومن على شاكلتهم لتغير كلامهم فيهم ولألفوا الكتب في الرد عليهم كما هو حاصل لمن ظهر له حال المبتدعة أهل الأهواء فرد وذم وألف فيهم.
- الأشاعرة والماتريدية على عقيدة حقة ليسوا مشبهة مجسمة فهم يكفرون الذي يصف الله بما لا يليق به كالتشبيه والتجسيم المؤدي إلى اتصاف الله بالعجز والاستعانة بمخلوقاته وهذا محال على الله فلا جرم أنه لا يليق بعالم سني محقق يَثبُت عنده عن فلان تجسيم الله ولا يكفره.

- في زمانهم لم يكن الحال كزماننا فالتستر والمداهنة كان أمرًا شديد السهولة والكتاب كان القليل من لم يطلع عليه ويعار أو ينسخ باليد:

○ لم يكن هناك دور طبع ولا مواقع تواصل ولم تكن الكتب منتشرة بحيث يصل إليها من يريد بسهولة.

○ اعتمدوا كثيرًا على المكتوب بخط اليد وكثيرًا ما يملى ولا يكون بخط الشيخ.

○ لم يكن عندهم مواصلات وتواصلات كأيامنا بل كان معروفًا عندهم أن بعض الأسفار تستغرق أشهرًا بل أكثر والعلماء ليسوا محصورين في بلد واحد بل هم في بلاد شتى فأنى يصل كل مقالات هذا إلى ذاك والمسافات بعيدة جدًا هذا متعسر.

○ أهل البدع لم يكونوا منتشرين ولا مظهرين لأنفسهم كظهورهم اليوم كانوا يعملون بالخفاء، اليوم شوكتهم قويت واقتربنا أكثر فأكثر من قيام الساعة وتزداد الفتن يومًا بعد يوم كما هو مشاهد بالحس لطف الله بنا.

○ كان الإقبال على العلم أكثر من أيامنا فالنَّاس تنغر بمن يظهر الطاعة والتقوى والخوف من الله وتجلهم ومن جاء من بلاد العرب، فلتقريب هذا في أذهانكم لو ذهبت في أيامنا إلى بنغلادش إلى مناطق المسلمين وأنت أبيض يظهر أنك عربي تبدأ الناس بتقبيل يدك وإجلالك هناك يقولون: «هذا من نسل رسول الله» من شدة محبتهم للرسول فهكذا

كان الناس كان حالهم مختلفًا فلا حجة لمن جاء اليوم ويدعي أن العلماء أثنوا عليهم قياسًا لزمانهم على زماننا.

- لم يثبت عن أحد من أهل السنة ممن مدح أهل البدع -لسبب الله أعلم به ـ أنه مدح هذا البدعي على مسألته التجسيمية هذه تحديدًا بل ترى مدحًا على حفظه على حسن أخلاقه حسب الظاهر له ولا ترى مدحًا له على مقالة من مقالات الكفر والضلال وهذا يؤكد كلامنا.

- إبليس لم يمت وأتباعه وأحبابه أحياء فالكذب والتحريف والتغيير في كتب العلماء أمر متوقع وحاصل فلينتبه وليتحرَّ وليتثبتْ عن كل كلام وكل مقال وليحسن الظن في العلماء الذين نقلوا لنا الدين.

وفي الجهة المقابلة من عرف سوء حالهم من العلماء ذمهم ورد عليهم:

فاعلم أن الحق أحق أن يتبع فنحن قوم لا نداهن ولا نوري ولا ندافع عن أناس خالفوا ديننا، مسيرتنا اتباع أهل السنة فأهل السنة لا يخافون في الله لومة لائم، أهل السنة يترفعون عن الذل أهل السنة أي الأشاعرة والماتريدية هم القوم الذين يحبهم الله وهم يحبون الله، من أحب الله اتبعه واتبع رسوله المصطفى واتبع الصحابة واتبع الأئمة فعرف ما يليق بالله وما لا يليق وعرف ما يليق بنبيه وما لا يليق ونبذ وحذر من نسب السوء إلى الله وإلى النبي محمد عليه أفضل الصلاة كأمثال ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب والذهبي وابن بطة وابن عبد البر وغيرهم ممن اتبع دين التشبيه

والتجسيم وقد تكلمنا في فصلنا السابق المسمى: «جواب من يسأل عن مدح بعض الحفاظ للمردود عليهم» وأزلنا الشبهات عنهم وأوضحنا المغشي عن عيون المتمسكين بمدح العلماء لبعض أهل الأهواء لكن في هذا الفصل نبين حال من ظهر له ضلالهم ووصلت إليه أقوالهم وانكشفت فلم يبق عنده باب ليحسن الظن فيهم كأمثال الحافظ المجتهد تقي الدين السبكي فقد ألف في الرد على ابن تيمية كتبًا عديدة منها:

- الاعتبار ببقاء الجنة والنار.
- الدرة المضية في الرد [على ابن تيمية.
- شفاء السقام في زيارة خير الأنام.
- النظر المحقق في الحلف بالطلاق المعلق.
- رفع الشقاق عن مسألة الطلاق.

وقد اشتهر عن ابن تيمية أنه خالف إجماع المسلمين في الأصول والفروع فمنها تصريح ابن تيمية بنسبة الحد إلى الله وقوله بفناء النار وقوله بحرمة زيارة القبر الشريف حتى قال بعض أتباعه «ماذا تريدون بهذه الجيفة» يعني النبي محمد والعياذ بالله تعالى من الكفر الشنيع ومخالفاته الأمة في مسائل الطلاق فلينظر كتاب شيخنا الهرري رحمه الله تعالى «المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية» وكتابي «السقوط الكبير المدوي للمجسم ابن تيمية الحراني» فإنَّ فيهما تعرف تخاليط ابن تيمية وفيهما تعرف كيف ترد عليه وعلى خلفه من المجسمة

الوهابية، زد على ما ذكرناه من العلماء من ناظر ابن تيمية كالقاضي كمال الدين بن الزملكاوي برسالتين واحدة في الطلاق والأخرى في مسألة الزيارة وكذا الفقيه المحدث علي بن محمد الباجي الشافعي ناظر ابن تيمية في أربعة عشر موضعًا وأفحمه وقد كفره العلامة علاء الدين البخاري الحنفي وكفر من يقول «شيخ الإسلام» عنه مع علمه بمقالاته الكفرية وهو مذكور في كتاب «الضوء اللامع للسخاوي» حتى قال تقي الدين السبكي فيه في كتابه «دفع شبه من شبه وتمرد» قال: «فصار كفره مجمعًا عليه» وكذا الهيتمي قال عنه «عبد أضله الله وأعماه وأصمه» وهذا حاله وحال سلفه وخلفه وكان الشيخ زين الدين بن رجب الحنبلى ممن يعتقد كفر ابن تيمية وله عليه الرد وكان يقول بأعلى صوته: «معذور السبكي يعني فى تكفيره»، والحاصل أن ابن تيمية وأتباعه من الغلاة فى التشبيه والتجسيم والازدراء بالنبي ﷺ وبغض الشيخين ومخالفاتهم الأصول والفروع يجب تحذير الناس منهم والتنبه منهم فهم أشد خطرًا من اليهود والنصارى هم لبسوا لباس المسلمين من عباءة وتعطر وإطالة الذقن وغيرها من عادات المسلمين معلنين التجسيم، فالعلماء توسعوا في الكلام عنهم من زمن السبكي حتى زماننا هذا كالشيخ محمد بن مسكة بن العتيق اليعقوبي الموريتاني الذي له كتاب اسمه «فتاوى ابن تيمية في الميزان» وغيرهم من أهل السنة فكما قلت سابقًا أهل السنة أقوياء أذكياء فطناء ينكرون المنكر ويأمرون بالمعروف اتِّباعًا للقرءان فلا حجة لكم يا

وهابية ويا مشبهة في قولكم نحن من أهل السنة أنتم من جئتم بدين جديد وعقائد جديدة لا توافق ما كان عليه الرسول والصحابة والتابعين.

البَابُ الثَّانِي:

التَّحذِيرُ مِنِ ابنِ بَطَّةَ

ويشتمل على عدة مباحث:

- **المبحث الأول:** ترجمة ابن بطة
- **المبحث الثاني:** أقوال أهل السنة في ابن بطة
- **المبحث الثالث:** أقوال المبتدعة في ابن بطة
- **المبحث الرابع:** مخالفات ابن بطة لعقيدة أهل السنة والجماعة

المبحث الأول:

ترجمة ابن بطة

هو عبيد اللَّه بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العكبري، المعروف بابن بطة الحنبلي[1]. والبطي بفتح الباء الموحدة والطاء المشددة هذه نسبة إلى البطة، وهو لقب لبعض أجداده المنتسب إليهم، وإلى بيع البط. ولد بعُكْبَرا[2] سنة ٣٨٧هـ.

حدث عن: أبي محمد بن صاعد، وإسماعيل بن العباس الوراق، وأبي بكر عبد اللَّه بن محمد بن زياد النيسابوري، وأبي طالب أحمد بن نصر الحافظ، والحسن بن علي بن زيد السامري، وأبي ذر بن الباغندي، ومحمد ابن محمود السراج، ومحمد بن مخلد الْعَطَّار، ومحمد بن أحمد بن ثابت العكبري، وغيرهم من العراقيين والغرباء.

---

(١) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (٣٧٠/١٠).

(٢) بضم أوله وسكون ثانيه وفتح الباء الموحدة، وقد يمد ويقصر، والظاهر أنه ليس بعربيّ، وقد جاء في كلام العرب العكبرة من النساء: الجافية الخلق، وقال حمزة الأصبهاني: بزرج سابور معرّب عن وزرك شافور وهي المسمّاة بالسّريانية عكبرا، والنسبة إليها عكبريّ وعكبراويّ. **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، (١١٤/٤).

سافر الكثير إلى البصرة، والشام، وغيرهما من البلاد، ورحل إلى مكة والثغور وغيرها في طلب الحديث، ثم لزم بيته أربعين سنة فصنف كتبه وهي تزيد على مائة، منها: «الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة»، و«السنن»، و«الإنكار على من قضى بكتب الصحف الأولى»، و«التفرد والعزلة» وغيرها[١].

كانت وفاته سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ودفن بعكبرا[٢].

المبحث الثاني:
أقوال أهل السنة في ابن بطّة

ـ الموضع الأول من كلام أبي القاسم التنوخي (ت ٣٥٢هـ) فيه:

قال أبو القاسم الأزهري: «**ابن بطة ضعيف ضعيف ضعيف، ليس بحجة**، وعندي عنه معجم البغوي **ولا أخرج منه في الصحيح شيئا**»[٣].

وقال عبد الواحد بن علي الأسدي: حَدَّثَنِي الحسن بن شهاب أن ابن بطة قدم بغداد، ونزل على ابن السوسنجردي فقرأ عليه أبو الحسن بن

---

(١) **الأعلام**، الزركلي، (١٩٧/٤).

(٢) **طبقات الحنابلة**، ابن أبي يعلى، (١٥٢/٢).

(٣) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (١٠٠/١٢).

الفرات كتاب «السنن» لرجاء بن مرجي الحافظ، وكتبه ابن الفرات عنه، عن حفص بن عمر الأردبيلي الحافظ، عن رجاء، فأنكر ذلك أبو الحسن الدارقطني، وزعم أن حفصا ليس عنده عن رجاء وأنه يصغر عن السماع منه، فأبردوا بريدا إلى أردبيل، وكان ابن حفص بن عمر حيا هناك، وكتبوا إليه يستخبرونه عن هذا الكتاب، فعاد جوابه: بأن أباه لم يرو عن رجاء بن مرجى، ولا رآه قط، وأن مولده كان بعد موته بسنين. **قال أبو القاسم: فتتبع ابن بطة النسخ التي كتبت عنه وغير الرواية وجعلها عن ابن الراجيان،** عن فتح بن شخرف، عن رجاء **ولما مات ابن بطة رأيت نسخته بالسنن وقد غير أول كل جزء منها وجعله رواية ابن الراجيان،** عن فتح بن شخرف عن رجاء[1].

وقال أبو القاسم رحمه الله: وقال لي الحسن بن شهاب: سألت أبا عبد الله بن بطة: أسمعت من البغوي حديث علي بن الجعد؟ فقال: لا. قال أبو القاسم: «**وكنت قد رأيت في كتب ابن بطة نسخة بحديث علي بن الجعد قد حككها وكتب بخطه سماعه فيها، فذكرت ذلك لابن شهاب فعجب منه**»[2].

قال أبو القاسم: وروى ابن بطة عن أحمد بن سلمان النجاد، عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي نحوًا من مائة وخمسين حديثا، فأنكر ذلك عليه

---

(١) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (١٢/١٠٠).

(٢) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (١٢/١٠٠).

علي بن محمد بن ينال، وأساء القول فيه، وقال: ابن النجار لم يسمع من العطاردي شيئًا، حتى همت العامة أن توقع بابن ينال فاختفى، قال: **وكان ابن بطة قد خرج تلك الأحاديث في تصانيفه، فتتبعها وضرب على أكثرها وبقي بقيتها على حاله**(١).

ـ الموضع الثاني من كلام الدارقطني (ت ٣٨٥هـ) فيه:

قال أبو ذر الهروي: سمعت نصرًا الأندلسي كان يحفظ ويفهم ورحل إلى خراسان، قال: خرجت إلى عكبراء فكتبت عن شيخ بها عن أبي خليفة وعن ابن بطة ورجعت إلى بغداد، **فقال الدارقطني**: «**أيش كتبت عن ابن بطة؟**»، قلت: كتاب السنن لرجاء بن مرجا ـ حدثني بهن حفص بن عمر الإردبيلي عن رجاء بن مرجا **فقال الدارقطني**: «**هذا محال دخل رجاء بن مرجا بغداد سنة أربعين ودخل حفص بن عمر سنة سبعين فكيف سمع منه**»(٢).

(١) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (١٢/١٠٠).

(٢) **لسان الميزان**، ابن حجر العسقلاني، (٤/١١٤).

ـ الموضع الثالث من كلام الحسن بن شهاب العكبري (ت ٤٢٨هـ) فيه:

وحكى الحسن بن شهاب نحو هذه الحكاية عن الدارقطني وزاد أنهم أبردوا بريدًا إلى أردبيل وكان ولد حفص بن عمر حيًا هناك، فعاد جوابه أن أباه لم يروه عن رجاء بن مرجا، ولم يره قط وأن مولده كان بعد موته بسنتين، **قال: فتبع ابن بطة النسخ التي كتبت عنه وغيَّر الرواية وجعل مكانها عن أبي البراء حبان عن فتح بن شخرف عن رجاء**[١].

ـ الموضع الرابع من كلام ابن خيرون بن الباقلاني (ت ٤٨٨هـ) فيه:

قال الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»: «حَدَّثَنِي أحمد بن الحسن بن خيرون، قال: **رأيت كتاب ابن بطة بمعجم البغوي في نسخة كانت لغيره، وقد حك اسم صاحبها وكتب اسمه عليها.**

قلت له: فكيف كان كتابه بالمعجم؟

فقال: **لم نر له أصلا به**، وإنما دفع إلينا نسخة طرية بخط ابن شهاب فنسخنا منها، وقرأنا عليه شاهدت عند حمزة بن محمد بن طاهر الدقاق نسخة بكتاب محمد بن عزيز في غريب القرآن وعليها سماع ابن السوسنجردي من ابن بطة، عن ابن عزيز فسألت حَمْزَة عن ذلك، **فأنكر**

(١) **لسان الميزان**، ابن حجر العسقلاني، (١١٤/٤، ١١٥).

أن يكون ابن بطة سمع الكتاب من ابن عزيز وقال: ادعى سماعه ورواه»[1].

ـ الموضع الخامس من كلام ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) فيه:

قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله: «وقد أراني شيخنا أبو القاسم السمرقندي بعض نسخة بن بطة بمعجم البغوي **فوجدت سماعه فيه مصلحًا بعد الحك** كما حكاه الخطيب عن ابن خيرون»[2].

ـ الموضع السادس من كلام ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) فيه:

قال ابن حجر العسقلاني في «لسان الميزان»[3] في ترجمة ابن بطة: «**ذو أوهام**». وقال أيضًا[4]: «**وقد وقفت لابن بطة على أمر استعظمته واقشعر جلدي منه**».

وقال رحمه الله في الدفاع عن حميد الذي اتُّهِمَ بالزيادة في حديث: «كلم الله تعالى موسى يوم كلمه وعليه جبة صوف وكساء صوف ونعلان من

(١) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، (١٢/١٠٠).

(٢) **لسان الميزان**، ابن حجر العسقلاني، (٤/١١٥).

(٣) **لسان الميزان**، ابن حجر العسقلاني، (٤/١١٢).

(٤) **لسان الميزان**، ابن حجر العسقلاني، (٤/١١٣).

جلد حمار غير ذكي فقال من ذا العبراني الذي يكلمني من الشجرة»[1]:

قلت كلا والله بل حميد بريء من هذه الزيادة المنكرة، فقد أخبرنا به الحافظ أبو الفضل بن الحسين بقراءتي عليه، أنا أبو الفتح الميدومي، أنا أبو الفرج بن الصقيل، أنا أبو الفرج بن كليب، أنا أبو القاسم بن بيان، أخبرنا أبو الحسن بن مخلد، أنا إسمعيل بن محمد الصفار، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يوم كلم الله تعالى موسى كانت عليه جبة صوف وسراويل صوف وكساء صوف وكمه صوف ونعلاه من جلد حمار غير ذكي»، وكذلك رواه الترمذي عن علي بن حجر عن خلف بن خليفة بدون هذه الزيادة، وكذا رواه سعيد بن منصور عن خلف بدون هذه الزيادة، وكذا رواه أبو يعلى في مسنده عن أحمد بن حاتم عن خلف بن خليفة بدون هذه الزيادة، رواه الحاكم في المستدرك ظنًّا منه أن حميد الأعرج هو حميد بن قيس المكي الثقة وهو وهم منه، وقد رواه من طريق عمر بن حفص بن غياث عن أبيه وخلف بن خليفة جميعًا عن حميد بدون هذه الزيادة، وقد رويناه من طرق ليس فيها هذه الزيادة، **وما أدري ما أقول في ابن بطة بعد هذا فما أشك أن إسمعيل بن محمد الصفار لم يحدث بهذا قط والله أعلم.**

---

(١) **لسان الميزان**، ابن حجر العسقلاني، (١١٣/٤، ١١٤).

ـ الموضع السابع من كلام المحدّث محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١هـ) فيه:

قال الكوثري في «تأنيب الخطيب»[١]: «ابن بطة الحنبلي: صاحب «الإبانة»، **كان من أجلاد الحشوية** وله مقام عندهم إلا أنه لا **يساوي فلسًا**، وهو الذي روى حديث ابن مسعود: «كلّم الله موسى عليه السلام يوم كلمه وعليه جبة صوفٍ ، وكساء صوف ، ونعلان من جلد حمار غير ذكي» **فزاد فيه فقال**: «من ذا العبراني الذي يكلّمني من الشجرة؟؟ قال: أنا الله!!»، **والتهمة لاصقة به لا محالة** لانفراده بتلك الزيادة كما يظهر من طرق الحديث في «لسان الميزان» وغيره. وما فعل ذلك إلا **ليُلقي في رُوعِ السامع أن كلام الله من قبيل كلام البشر** بحيث يلتبس على السامع كلامه تعالى بكلام غيره. **تعالى الله عن مزاعم المشبهة** في إثبات الحرف والصوت له تعالى ، **وكتبه من شر الكتب وله طامات فلا تعويل على روايته**».

---

(١) **تأنيب الخطيب**، الكوثري، (ص٢١٦).

المبحث الثالث:

أقوال المبتدعة في ابن بطَّة

ـ الموضع الأول من كلام الذهبي (ت ٧٤٨هـ) فيه:

روى الذهبي المجسم عن ابن بطة مواضع كثيرة في كتبه، فيروي هو عمَّن يذمّهم بقوله في كتابه «ميزان الاعتدال في نقد الرجال»[١]: «عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري إمامٌ **لكنَّه ذو أوهام**».

ثم قال[٢]: «وقال أبو القاسم الأزهري: **ابن بطة ضعيف ضعيف**»، ووصفه بأنه **قليل الإتقان في الرواية**[٣].

وقال الذهبي عنه في تاريخ الإسلام[٤]: «**ضعيف من قبل حفظه**».

وقال: «**تكلموا في إتقانه**»[٥].

فهذا مجسم عقيدته التشبيه ونسبة الحد لله سبحانه وتعالى يذمُ مجسمًا آخر قبله فينكشف لك أيَّها القارئ ضعف حالهم وشقاؤهم يذمون من يأخذون عنه من مجسمة وأهل السنة تخبط في تخبط في تخبط.

---

(١) **ميزان الاعتدال**، الذهبي، (١٥/٣).

(٢) **ميزان الاعتدال**، الذهبي، (١٥/٣).

(٣) **ميزان الاعتدال**، الذهبي، (١٥/٣).

(٤) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، الذهبي، (١٤٥/٢٧).

(٥) المسمى **مختصر العلو للعلي الغفار**، الذهبي، (٢٥٣/١).

ـ الموضع الثاني من كلام تابعه إبراهيم المديهش:

قال إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن المديهش [1] خريج جامعة محمد بن سعود الرياض في دراسته لكتاب «حياة الحيوان الكبرى»[2] للدّميري من بداية حرف «التاء» إلى نهاية حرف «الجيم» تخريجًا ودراسة ذاكرًا حديثًا موضوعًا لابن بطة: رواه من طريق يحي أبو زكريا، عن موسى بن عقبة، عن أبي الزبير، عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن جابر، وفيه قصة تنازع أبي بكر وعمر في القدر.

قال ابن الجوزي عقبه: «**هذا حديث موضوع بلا شك**، المتهم به يحي أبو زكريا».

قال ابن معين: «**هو دجال هذه الأمة**».

قال ابن عدي: «**كان يضع الحديث ويسرق**».

وذكر الذهبي في «الميزان»: «**أنه خبر باطل، والحمل على يحي**».

وعند ابن بطة في أحد الطرق: يحي بن سابق المدني. وهو يحي أبو زكريا.

(١) ذكرنا لكلامه هو لبيان تناقض الوهابية، كيف أنهم ينقلون عن ابن بطة كما يفعل الذهبي المجسم وهم محاربون له ومقرون بضعفه وضعف حفظه.

(٢) **الأحاديث المرفوعة والموقوفة في كتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدَّمِيري**، إبراهيم المديهش، (ص١٠٧٦).

قال الذهبي في «الميزان»: يحيى بن زكريا، صوابه: يحيى أبو زكريا، ولكن هذا عند البغوي يحيى بن زكريا، عن جعفر بن محمد الصادق وغيره بخبر باطل. وذكر هذا الحديث في تنازع أبي بكر وعمر في القدر.

ويحيى أبو زكريا هو يحيى بن سابق المدني كما في «اللسان»: «وقد جاء هكذا في أحد إسنادي ابن بطة، **وهو وضَّاع متروك، كما قاله ابن حبان، وابن عدي والدارقطني، وأبو نعيم، وقبلهم ابن معين كما نقله ابن الجوزي عنه، وأنه دجال هذه الأمة**». انتهى كلام المديهش.

ـ الموضع الثالث من كلام تابعه حسن بن فرحان المالكي:

قال حسن بن فرحان المالكي[1] في كتابه «قراءة في كتب العقائد[2]»: «مع المضعفين لهؤلاء من الحنابلة من حيث الجملة أضعف في الرواية من خصومهم. **بل إنّ بعض أئمتهم كانوا يضعون الأحاديث، ويغيرون في الأسانيد والمتون لخدمة المذهب، كما كان يفعل ابن بطة الحنبلي**، قال ابن حجر: «**وقفت لابن بطة على أمر استعظمته، واقشعر جلدي**»[3].

---

(١) ننقل قوله شاهدًا على ما حقق في ابن بطة وإلا له تخابيص وآراء شاذة، فنذكره ملخصًا.

(٢) **قراءة في كتب العقائد**، ابن فرحان المالكي، (ص ١٣٢، ١٣٣).

(٣) وقد مرَّ ذكر قول ابن حجرٍ هذا في مبحثِ أقوال أهلِ السنَّة.

ثمّ ذكر أثرًا موضوعًا عن ابن مسعود وهو أثر تكليم الله لموسى، وعليه جبة صوف، وعمامة صوف.

ثم ذكر ما يدل على أن ابن بطة غيّر في أسماء رجال القصة، حتى يكون إسنادها صحيحًا.

وكان كثير من الحنابلة يكذّبون على أحمد بن حنبل، ويسيئون لمنهجه وسمعته، ولذلك **قال أحد العلماء**: «**إمامان جليلان، ابتليا بأصحاب سوء، جعفر الصادق، وأحمد بن حنبل**».

ـ الموضع الرابع من كلام تابعه فهد السنيد:

قال أبو عبد الله فهد بن عبد الله بن إبراهيم السنيد في كتابه المسمى «الإعلام في إيضاح ما خفي على الإمام» وهو تعقبات حديثية على المشبه محمد ناصر الدين الألباني مع نقولات في الرجال للمجسم عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وكلهم ليسوا من أهل الحق بل هم أذناب ابن تيمية فلينظر كلامهم في ابن بطة: «يحيى بن عبد الحميد الحمّاني عند ابن بطة في «الإبانة» فصحَّ به الحديث، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قلت: قال الشيخ ناصر في كتابه «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام» تحت الحديث: «لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود وتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»رقم (١١) ولو فرضنا أن ابن بطة سلَّم هذا ثقة فلا يتم بذلك صحة الإسناد **لأن ابن بطة نفسه متكَلَّمٌ فيه من قبل حفظه فقد**

أورده الذهبي في الضعفاء وقال: «**يهم ويغلط**»، وقد بسط القول فيما قيل فيه من حيث الرواية عبد الرحمن اليماني في كتابه «التنكيل»، ثم انتهى إلى القول بأنه **لا يحتج بما ينفرد بروايته وهذا هو الذي يقتضيه التحقيق العلمي مع نبذ التعصب واتباع الحق**، وعليه فالإسناد ضعيف، **ويؤكد ضعفه عدم وروده في الأمهات الست، والمسانيد وغيرها من الأصول المعتمدة**».

ـ الموضع الخامس من كلام تابعه عبد الرحمن العتمي فيه:

قال عبد الرحمن بن يحيي بن علي بن محمد المعلمي العتمي اليماني[1] في كتابه المسمى «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» مع العلم أنَّ الكوثري من أهل السنة يذم ابن بطة كما سيروي هذا المجسم مع تخريجات وتعليقات محمد ناصر الدين الألباني وزهير الشاويش وعبد الرزاق حمزة، ناقلًا كلام من ذم ابن بطة مدافعًا عنه، فنذكر الأقوال من كتابهم ما قيل فيه وهي ثابتة، فلا مجال للَّف والدوران لنقْضها. يقول العتمي: عبيد الله بن محمد بن حمدان أبو عبد الله بن بطة العكبري، في «تاريخ بغداد» عنه: قال الأستاذ: من أجلاد الحشوية له مقام عندهم إلا أنه لا يساوي فلسًا، وهو الذي روى حديث ابن مسعود: «كلم الله تعالى موسى عليه السلام يوم كلمه وعليه جبة صوف، وكساء صوف، ونعلان

---

(١) **التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل**، العتمي، (٢/٥٦١).

من جلد حمار غير ذكي»، فزاد فيه: «فقال: من ذا العبراني الذي يكلمني من الشجرة؟ قال: أنا الله». **والتهمة لاصقه به لا محالة لانفراده الزيادة كما يظهر من طرق الحديث في «لسان الميزان» وغيره، وما فعل إلا ليلقى في روع السامع أن كلام الله تعالى من قبيل كلام البشر بحيث يلتبس على السامع كلامه تعالى بكلام غيره. تعالى الله عن مزاعم المشبهة في إثبات الحرف والصوت له تعالى. وكتبه من شر الكتب وله طامات.**

وذكر الخطيب أمورًا انتقدت على ابن بطة فيما يتعلق بالرواية.

الأول: أنه روى عن حفص بن عمر الأردبيلي عن رجاء بن مرجا «كتاب السنن» له فذكر الخطيب أن أبا ذر عبد بن أحمد الهروي كتب إليه من مكة أنه سمع نصر الأندلسي.

قال: وكان يحفظ ويفهم فذكر قصة حاصلها أنه سمع من ابن بطة «كتاب السنن» لرجاء بن مرجا من ابن بطة عن الأردبيلي عن رجاء فذكر ذلك للدارقطني، قال: «**هذا محال دخل رجاء بن مرجا بغداد سنة أربعين ودخل حفص بن عمر الأردبيلي سنة سبعين ومائتين فكيف سمع منه**».

وذكر الخطيب عن ابن برهان قصة حاصلها أن ابن بطة ورد بغداد فحدث عن حفص بن عمر الأردبيلي عن رجاء بن مرجا «كتاب السنن»، قال: «فأنكر ذلك أبو الحسن الدارقطني وزعم أن حفصًا ليس عنده عن رجاء وأنه يصغر عن السماع منه، فأبردوا بريدًا إلى أردبيل» ـ وكان ابن حفص بن عمر حيًا هناك ـ وكتبوا عليه يستخبرونه عن هذا الكتاب،

فعاد جوابه بأن أباه لم يروِ عن رجاء بن مرجا ولا رآه قطّ وأن مولده كان بعد موته بسنين، قال ابن برهان: **فتتبع ابن بطة النسخ التي كتبت عنه وغير الرواية وجعلها عن ابن الراجيان** عن فتح بن شحرف عن رجاء.

الأمر الثاني: ذكر الخطيب عن ابن برهان قال: قال لي الحسن بن شهاب سألت أبا عبد الله بن بطة: أسمعت من البغوي حديث علي بن الجعد؟ فقال: لا، قال ابن برهان: وكنت قد رأيت في كتب ابن بطة نسخة بحديث علي بن الجعد **قد حككها وكتب بخطه سماعه عليها.**

الثالث: ذكر الخطيب عن ابن برهان قال: وروى ابن بطة عن أحمد بن سلمان النجاد عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي نحوًا من مائة وخمسين حديثًا فأنكر ذلك عليه بن محمد بن ينال وأساء القول فيه وقال: «إن النجاد لم يسمع من العطاردي شيئًا حتى همت العامة أن توقع بابن ينال واختفى. قال: **وكان ابن بطة قد خرج تلك الأحاديث في تصانيفه وضرب على أكثرها وبقي بقيتها على حاله.**

الرابع: قال الخطيب: «حدثني أحمد بن الحسن بن خيرون قال: رأيت كتاب ابن بطة بـ«معجم البغوي» **في نسخة كانت لغيره وقد حكك اسم صاحبها وكتب اسمه عليها**». وفي «لسان الميزان» عن ابن عساكر قال: «وقد أراني شيخنا أبو القاسم السمرقندي بعض نسخة ابن بطة بـ (معجم البغوي) **فوجدت سماعه فيه مصلحًا بعد الحك** كما حكاه الخطيب عن ابن خيرون». انتهى ما نقله العتمي.

خلاصة في ابن بطة: فكما رأينا هذا هو عبيد الله بن محمد بن حمدان أبو عبد الله بن بطة العكبري المشبه المجسم صاحب الضلالات التي سنأتي في المبحث القادم عل ذكرها. تكلم فيه العلماء وضعفوه فكان ضعيف الحفظ مشهورًا بهذا. عرف بالوضع والكذب والادِّعاء والتفرد، فكان يدعي أنه أخذ كتابًا وتلقاه ثم يرويه عنه فيظهر بعد مدة أنه ما التقى به وادعى التلقي عنه كما ذكرنا في المبحث السابق ثم تراه يتفرد برواة وزيادة في الرواية ما قال بها أحد من الناس انتصارًا لمذهبه والعياذ بالله تعالى.

المبحث الرابع:

مخالفات ابن بطة لعقيدة أهل السنة والجماعة

يقول ابن بطة في كتابه[1]«الإبانة الكبرى»: «حدثنا أبو بكر أحمد بن سلمان، قال: نا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أحمد بن سعيد الدارمي، قال: سمعت أبي يقول: سمعت خارجة، يقول: الجهمية كفار، بلغوا نساءهم أنهن طوالق وأنهن لا يحللن لأزواجهن، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تشهدوا جنائزهم، ثم تلا: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ

(١) **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، (٦/٩٨).

﴿لِتَشۡقَىٰٓ ٢﴾ [سورة طه] إلى قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [سورة طه]، **هل يكون الاستواء إلا الجلوس؟**».

وقال ابن بطة[1]:«حدثنا أبو حفص، قال: نا أبو جعفر، قال: نا أبو بكر، قال: نا أبو بكر بن خلاد، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، إذا ذكر عنده أمر جهم وأمر بشر يعني المريسي قال: تدري إلى أي شيء يذهبون؟ **إلى أنه ليس ـ ويشير بيده إلى السماء ـ أي: ليس إله**».

ولابن بطة فصول عنونها بالتشبيه فسماها[2]: «**باب الإيمان بأن الله عز وجل على عرشه** بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه **وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه فوق سماواته** بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه، لا يأبى ذلك ولا ينكره إلا من انتحل مذاهب الحلولية».

وسنذكر بعض ما استدل به بزعمه على هذا:

قال: «﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [سورة طه]، وقال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩﴾ [سورة الفرقان] فهذا خبر الله أخبر به عن نفسه **وأنه على العرش**».

---

(١) **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، (٦/٩٨).

(٢) **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، (٧/١٣٦).

وقال(١): «**فقد شاء الله أن يكون على العرش، وهو أعظم منه**، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ٢٩﴾ [سورة البقرة]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٣﴾ [سورة الأنعام] ثم قال: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ ٣﴾ [سورة الأنعام]، **فأخبر أنه في السماء** وأنه بعلمه في الأرض، وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [سورة طه]، وقال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٥٩﴾ [سورة الفرقان]، وقال﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ١٠﴾[سورة فاطر]، **فهل يكون الصعود إلا إلى ما علا**، وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [سورة الأعلى]، **فأخبر أنه أعلى من خلقه**، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ٥٠﴾ [سورة النحل]، **فأخبر أنه فوق الملائكة وقد أخبرنا الله تعالى أنه في السماء على العرش**».

وذكر فيه(٢) مستدلًا على أنَّ الله ساكن في السماء بزعمه لأنها ممدوحة فهو فيها قال: «ثم ذم ربنا تعالى ما سفل، ومدح ما علا، فقال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾ [سورة المطففين] **يعني السماء السابعة والله تعالى فيها**».

وأورد(٣) كلامًا منسوبًا للنبي مكذوبًا عليه فيه تجسيم ضعفه البيهقي، قال: «حدثنا أبو بكر محمد بن بكر قال: ثنا أبو بكر السجستاني، قال: ثنا محمد بن الصباح البزاز، قال: ثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك، عن

---

(١) **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، (١٣٧/٧).

(٢) **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، (١٤٢/٧).

(٣)**الإبانة الكبرى**، ابن بطة، (١٤٨/٧).

عبد الله ابن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، قال: كنت في البطحاء في عصبة فيهم رسول الله، فمرت بهم سحابة، فنظر إليها رسول الله فقال: ما تسمون هذه؟ فقالوا: السحاب، قال: والمزن؟ قالوا: والمزن، قال: والعنان؟ قالوا: والعنان، قال: كيف بعد ما بين السماء والأرض؟، قالوا: لا ندري، قال: فإن بعد ما بينهما إما واحدة، وإما قال: ثنتين أو ثلاثًا وسبعين سنة، ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سماوات، ثم فوق السماء السابعة، ثم بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، **ثم الله تعالى فوق ذلك** لا تخفى عليه خافية شيء في الأرض ولا في السماء».

وذكر[1]: «حدثنا جعفر القافلائي، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا علي بن الحسن بن شقيق، قال: سألت ابن المبارك كيف نعرف ربنا؟ قال: **على السماء السابعة على عرشه**، لا نقول كما تقول الجهمية: إن إلهنا في الأرض».

وفي موضع آخر[2] ذكر شيئًا آخر ينسبه للنبي: «حدثنا أبو بكر أحمد ابن سلمان قال: ثنا أبو جعفر محمد بن عثمان العبسي قال: حدثني أبي

---

(١) **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، (١٥٥/٧).

(٢) **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، (١٦٨/٧).

وعمي أبو بكر، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حدس، عن عمه أبي رزين العقيلي، قال: **قلت**: **يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال**: **على عماء تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء**».

وذكر كذلك[1] الحديث الضعيف حديث الأطيط مستعينًا ناصرًا عقيدته الضعيفة قائلًا: «حدثنا أبو بكر أحمد بن سلمان قال: حدثني محمود بن جعفر، قال: ثنا أبو بكر المروذي، قال ثنا أبو عبد الله قال: ثنا حسن بن موسى الأشيب، قال: ثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن الشعبي، قال: **إن الله تعالى قد ملأ العرش حتى إن له أطيطًا كأطيط الرحل الجديد**».

وذكر[2]: «وحدثنا أبو بكر أحمد بن سلمان قال: ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، قال: ثنا عبد الله بن الحكم، وعثمان، قالا: ثنا يحي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة، عن عمر، رضي الله عنه قال: أتت النبي ﷺ امرأة فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة، فعظم الرب، فقال: **إنَّ كرسيه فوق السماوات والأرض، وإنَّه يقعد عليه، فما يفضل عنه مقدار أربع أصابع، ثم قال بأصابعه يجمعها، وإن له أطيطًا كأطيط الرحل الجديد إذا ركب**».

---

(١) **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، (١٧٦/٧).

(٢) **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، (١٧٨/٧).

وذكر[1]: «قال الله تعالى في التوراة: **أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي** عليه أدبر أمور عبادي لا يخفى علي شيء من أمر عبادي في سمائي ولا في أرضي، فإن حجبوا عني لا يغيب عنهم علمي، وإلي مرجع كل خلقي فأنبئهم بما يخفى عليهم من علمي، أغفر لمن شئت منهم بمغفرتي، وأعاقب من شئت منهم بعقابي».

وقال[2]: «وحدثني أبو صالح محمد بن أحمد بن ثابت، قال: نا إسحاق ابن إبراهيم بن سنين، قال: نا محمد بن أحمد أبو الفضل الذراع، قال: حدثني محمد بن الحسين الطرسوسي الزاهد، قال: قال لي علي بن عاصم: يا بني احذر بشرًا المريسي، فإن كلامه أبو جاد الزنادقة، وأنا لقيت أستاذهم جهمًا، **فلم يكن يثبت أن في السماء إلهًا**».

وذكر[3] ابن بطة نافيًا التأويل في حديث ينزل ربنا مخالفًا لابن عباس ومتطاولًا عليه: «وعن ابن عباس، نحوه قال الشيخ: وقد اختصرت من الأحاديث المروية في هذا الباب ما فيه كفاية وهداية للمؤمن الموفق الذي شرح الله صدره للإسلام وأمده ببصائر الإيمان وأعاذه من عناد الجهمية وجحود المعتزلة، فإن الجهمية ترد هذه الأحاديث وتجحدها وتكذب الرواة وفي تكذيبها لهذه الأحاديث رد على رسول الله ﷺ ومعاندة له،

---

(١) **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، (١٨٥/٧).

(٢) **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، (١٠٦/٦).

(٣) **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، (٢٣٧/٧).

ومن رد على رسول الله ﷺ فقد رد على الله؛ قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۝٧﴾ [سورة الحشر]، فإذا قامت الحجة على الجهمي وعلم صحة هذه الأحاديث ولم يقدر على جحدها، قال: الحديث صحيح، وإنما معنى قول النبي ﷺ: «ينزل ربنا في كل ليلة» ينزل أمره، قلنا: إنما قال النبي ﷺ: «ينزل الله عز وجل»، «وينزل ربنا» **ولو أراد أمره لقال: ينزل أمر ربنا.** فيقول: إن قلنا: ينزل، فقد قلنا: إنه يزول والله لا يزول ولو كان ينزل لزال؛ لأن كل نازل زائل، فقلنا: **أو لستم تزعمون أنكم تنفون التشبيه عن رب العالمين؟ فقد صرتم بهذه المقالة إلى أقبح التشبيه، وأشد الخلاف؛ لأنكم إن جحدتم الآثار، وكذبتم بالحديث، رددتم على رسول الله ﷺ قوله، وكذبتم خبره، وإن قلتم: لا ينزل إلا بزوال، فقد شبهتموه بخلقه، وزعمتم أنه لا يقدر أن ينزل إلا بزواله على وصف المخلوق الذي إذا كان بمكان خلا منه مكان** لكنا نصدقُ نبينا ﷺ ونقبل ما جاء به فإنا بذلك أمرنا وإليه ندبنا، فنقول كما قال: «ينزل ربنا عز وجل» ولا نقول: إنه يزول بل ينزل كيف شاء، لا نصف نزوله، ولا نحده ولا نقول: إن نزوله زواله، قال شريك: إنما جاء بهذه الأحاديث من جاء بالسنن عن رسول الله ﷺ الصلاة والصيام والزكاة والحج وإنما عرفنا الله وعبدناه بهذه الأحاديث».

وسيأتي بعون الله تعالى الردُّ مفصَّلًا على هذه الضلالات الخطيرة.

البَابُ الثَّالِث:

التَّحذِيرُ مِنِ ابنِ عَبدِ البَرّ

ويشتمل على عدة مباحث:

- **المبحث الأول**: ترجمة ابن عبد البر
- **المبحث الثاني**: أقوال أهل السنة في ابن عبد البر
- **المبحث الثالث**: مخالفات ابن عبد البر لعقيدة أهل السنة والجماعة

المبحث الأول:

ترجمة ابن عبد البر

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. والنَّمري: بفتح النون والميم بعدها راء، هذه النسبة إلى النمر بن قاسط، بفتح النون وكسر الميم، وإنما تفتح الميم في النسبة خاصة، وهي قبيلة كبيرة مشهورة[1].

مولده في سنة ثمانٍ وستّين وثلاث مائة في شهر ربيعٍ الآخر. وقيل: في جمادى الأولى، فاختلفت الروايات في الشّهر عنه[2].

ولد بقرطبة، ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها. وولي قضاء لشبونة وشنترين، وتوفي بشاطبة.

من كتبه: «الدرر في اختصار المغازي والسير»، و«العقل والعقلاء»، و«الاستيعاب» في تراجم الصحابة وغيرها[3].

---

(١) **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، (٦٦/٧).

(٢) **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، (٣٥٨/١٣).

(٣) **الأعلام**، الزركلي، (٢٤٠/٨).

المبحث الثاني:

أقوال أهل السنة في ابن عبد البر

ـ الموضع الأول من كلام الحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ) فيه:

يقول الحافظ العراقي في «طرح التثريب في شرح التقريب»[١] بعد ذكر حديث: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَلاَ يَبْصُقْ أَمَامَهُ**»[٢]: «**الرّابعة**: علّل النّهي عن البصاق أمامه بكونه مناجيًا لله وعلّله في حديث ابن عمر بعده بأنّ اللّه قبل وجهه إذا صلّى، وفي حديث لأبي هريرة عند مسلمٍ «**ما بال أحدكم يقوم مستقبلًا ربّه فيتنخّع أمامه**»[٣] ولا منافاة بين ذلك فإنّ المراد إقبال الله تعالى عليه كما سيأتي، **وقال ابن عبد البرّ: وهذا كلام خرج على التّعظيم لشأن القبلة وإكرامها**، قال: وقد نوّع بهذا الحديث بعض من ذهب مذهب المعتزلة إلى أنّ اللّه تعالى في كلّ مكان وليس على العرش، قال وهذا جهل من قائله لأنّ قوله في الحديث يبصق تحت قدمه وعن يساره ينقض ما أصّلوه في أنّه في كلّ مكان».

هذا كلام ابن عبد البرّ وهو أحد القائلين بالجهة، فأخذوه وإنّما ذكرته لأنبّه عليه لئلّا يغترّ به، والصّواب ما قدّمناه بدليل ما للقاضي إسماعيل

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب، العراقي، (٢/٣٨٢).

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، (١/٩١)، رقم الحديث: ٤١٦.

(٣) **صحيح مسلم**، مسلم، (١/٣٨٩)، رقم الحديث: ٥٥٠.

بإسنادٍ صحيحٍ من حديث حذيفة أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا قام الرّجل في صلاته أقبل الله تعالى عليه بوجهه فلا يبزقنّ أحدكم في قبلته**»، الحديث. وقال صاحب المفهم: إنّه لمّا كان المصلّي يتوجّه بوجهه وقصده وكلّيّته إلى هذه الجهة نزّلها في حقّه وجود منزلة الله تعالى فيكون هذا من باب الاستعارة كما قال: «**الحجر الأسود يمين الله في الأرض**» أي بمنزلة يمين الله. قلت: وقد أوّل الإمام أحمد هذا الحديث قال القرطبيّ وقد يجوز أن يكون من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه فكأنّه قال مستقبل قبلة ربّه أو رحمة ربّه كما قال في الحديث الآخر: «**فلا تبصق قبل القبلة فإنّ الرّحمة تواجهه**». قلت: ولا أحفظ هذا اللّفظ في البصاق وإنّما هو في مسح الحصا كما رواه أصحاب السّنن الأربعة من حديث أبي ذرٍّ عن النّبيّ - ﷺ - قال: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يَمْسَحِ الحَصَى، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ تُوَاجِهُهُ**»[1].

ـ الموضع الثاني من كلام بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ) فيه:

قال البد العيني في عمدة القاري[2]: «ثم الكلام هنا على أنواع. الأول: احتج به قوم على إثبات الجهة لله تعالى، وقالوا: هي جهة العلو، وممن قال

---

(١) **سنن الترمذي**، الترمذي، (٢/٢١٩)، رقم الحديث: ٣٧٩.

(٢) **عمدة القاري**، العيني، (٧/١٩٩).

بذلك: ابن قتيبة **وابن عبد البر... وأنكر ذلك جمهور العلماء لأن القول بالجهة يؤدي إلى تحيز وإحاطة، وقد تعالى الله عن ذلك**».

ـ الموضع الثالث من كلام الحافظ عبد الله الهرري (ت ١٤٢٩هـ) فيه:

قال شيخ الإسلام المجدد عبد الله الهرري في ابن عبد البر و ابن كثير والذهبي: «كانوا على التشبيه. قال أبو زرعة العراقي عن ابن عبد البر: «**إنه جهوي**» أي يعتقد في الله التحيز في الجهة. نقل عن الأئمة الأربعة تكفير من يعتقد أن الله متحيز في جهة وهذا هو الصواب، **الذي يعتقد أن الله في جهة ما عرف الفرق بين الله وبين خلقه**. الخلق له جهة، الإنسان له جهة، والعرش والشمس لها جهة، والقمر له جهة، والسماء والأرض لها جهة، والريح لها جهة، والضوء له جهة ومكان، فالذي اعتقد في الله أنه في جهة ما فرَّق بين الله وبين خلقه فهو كافر وجاهل بربه».

المبحث الثالث:

مخالفات ابن عبد البر لعقيدة أهل السنة والجماعة

قال ابن عبد البر[1] بعد أن ذكر الحديث الذي فيه لفظ «**ينزل ربنا**»:

«وفيه **دليل على أنّ الله عزّ وجلّ في السّماء على العرش من فوق سبع سموات** كما قالت الجماعة وهو من حجّتهم على المعتزلة والجهميّة في قولهم إنّ الله عزّ وجلّ في كلّ مكانٍ».

ثم جاء بآيات جعلها تأكيدًا لمقالته هذه ليفسرها على غير وجهها على ما يرتضيه هواه من التجسيم قائلًا: «والدّليل على صحّة ما قالوه أهل الحقّ في ذلك قول الله عزّ وجلّ».

وذكر منها:

- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه].
- ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍ ۝٤﴾ [سورة السجدة].
- ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ ۝١١﴾ [سورة فصلت].
- ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ۝٤٢﴾ [سورة الإسراء].
- ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ۝١٠﴾ [سورة فاطر].
- ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ ۝١٤٣﴾ [سورة الأعراف].

---

(١) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر، (١٢٩/٧).

- ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [سورة الملك]. ثم صرَّح بأن المراد بالآية تنزه الله عن المكان فقال: «فمعناه من على السّماء يعني على العرش».
- ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [سورة الأعلى]. وقال: «هذا من العلو».
- ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [سورة البقرة].
- ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾ [سورة الرعد].
- ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ١٥﴾ [سورة غافر].
- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٥٠﴾ [سورة النحل].
- ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ ٥﴾ [سورة السجدة].
- ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ٤﴾ [سورة المعارج].
- ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ٥٥﴾ [سورة آل عمران].
- ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ١٥٨﴾ [سورة النساء].
- ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ٣٨﴾ [سورة فصلت].
- وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩﴾ [سورة الأنبياء].
- ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣﴾ [سورة المعارج].

ثم قال[1]: «هذه الآيات كلّها واضحات في إبطال قول المعتزلة وأمّا ادّعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى استولى فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللّغة ومعنى الاستيلاء في اللّغة المغالبة **والله لا يغالبه**

(١) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر، **(١٣١/٧)**.

ولا يعلوه أحد وهو الواحد الصّمد ومن حقّ الكلام **أن يحمل على حقيقته** حتّى تتّفق الأمّة أنّه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتّباع ما أنزل إلينا من ربّنا إلّا على ذلك وإنّما يوجّه كلام الله عزّ وجلّ إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التّسليم ولو ساغ ادّعاء المجاز لكلّ مدّعٍ ما ثبت شيء من العبارات وجلّ الله عزّ وجل عن أن يخاطب إلّا بما تفهمه العرب في معهودِ مخاطباتها ممّا يصحّ معناه عند السّامعين والاستواء معلوم في اللّغة ومفهوم **وهو العلوّ والارتفاع على الشيء والاستقرار والتّمكّن فيه** قال أبو عبيدة في قوله تعالى: {استوى} قال: علا قال، وتقول العرب: استويت فوق الدّابّة واستويت فوق البيت، وقال غيره: استوى أي انتهى شبابه واستقرّ فلم يكن في شبابه مزيد، **قال أبو عمر الاستواء الاستقرار في العلوّ**».

ثم أكمل في ذكر آيات وأبيات شعرية ادعاء أنه لا يقال استوى بمعنى قهر وغلب واستولى وهو خطأ منه سنبينه إن شاء الله تعالى في باب الرد.

وقال[1] كذبًا على سيدنا موسى صلوات ربي عليه: «أما سمعوا الله عزّ وجلّ حيث يقول: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا ٣٧﴾ [سورة غافر] **فدلّ على أنّ موسى عليه السّلام كان يقول إلهي في السّماء وفرعون يظنّه كاذبًا**».

(١) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر، (١٣٣/٧).

وذكر[1] أدلة ضعيفة واهية لا يلتفت إليها صاحب عقل فقال: «ومن الحجّة أيضًا في **أنه عزّ وجلّ على العرش فوق السموات السّبع** أنّ الموحّدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدّة رفعوا وجوههم إلى السّماء يستغيثون ربّهم تبارك وتعالى وهذا أشهر وأعرف عند الخاصّة والعامّة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته لأنّه اضطرار لم يؤنّبهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم وقد قال ﷺ **للأمة الّتي أراد مولاها** عتقها إن كانت مؤمنةً فاختبرها رسول الله ﷺ بأن قال لها: أين الله؟ فأشارت إلى السّماء، ثمّ قال لها: من أنا؟ قالت: رسول الله، قال: أعتقها فإنّها مؤمنة، فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفعها رأسها إلى السّماء واستغنى بذلك عمّا سواه»، وذكر مثله في كتاب الاستذكار.

وقال أيضًا[2]: «وقد قال المسلمون وكلّ ذي عقلٍ أنّه لا يعقل كائن لا في مكانٍ منّا وما ليس في مكانٍ فهو عدم».

ثم قال[3]: «قيل لهم لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمّة أنّه ليس في الأرض **دون السّماء بذاته** فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصّحيح المجتمع عليه وذلك أنّه في السّماء إله معبود من أهل السّماء وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض وكذلك قال أهل العلم بالتّفسير **فظاهر التّنزيل**

---

(١) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر، (١٣٥/٧).

(٢) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر، (١٣٥/٧).

(٣) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر، (١٣٥/٧).

يشهد أنّه على العرش والاختلاف في ذلك بيننا فقط وأسعد النّاس به من ساعده الظّاهر».

ثم نسب إلى الرسول أنه قال في موضعين من كتابه:

الموضع الأول(١): أخبرنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدّثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدّثنا أحمد بن زهيرٍ، قال: حدّثنا أبو عبد اللّه محمّد بن عبد اللّه الخزاعيّ، قال: حدّثنا حمّاد بن سلمة عن يعلى بن عطاءٍ عن وكيع ابن حرسٍ، عن عمّه أبي رزينٍ العقيليّ، قال: قلت: يا رسول اللّه: أين كان ربّنا تبارك وتعالى قبل أن يخلق السّماء والأرض؟ **قال: كان ما فوقه هواء وما تحته هواء** ثمّ خلق عرشه على الماء.

الموضع الثاني(٢): «أخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال: حدّثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدّثنا أحمد بن زهيرٍ، قال: حدّثنا يحي بن معينٍ، قال: حدّثنا وهب بن جريرٍ، قال: حدّثنا أبي، قال: سمعت محمّد بن إسحاق يحدّث عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن مطعمٍ، عن أبيه، عن جدّه قال: أتى النّبيّ ﷺ أعرابيّ فقال: يا رسول اللّه جهدت الأنفس وضاع العيال ونهكت الأموال فاستسق اللّه لنا فإنّا نستشفع بك على اللّه ونستشفع باللّه عليك، فقال رسول اللّه ﷺ: ويحك أتدري ما تقول وسبّح رسول اللّه ﷺ ، فما

---

(١) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر، (١٣٧/٧).

(٢) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر، (١٤١/٧).

زال يسبّح حتّى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثمّ قال: ويحك إنّه لا يستشفع بالله على أحدٍ من خلقه شأن الله أعظم من ذلك، ويحك وتدري ما الله **إن الله على عرشه على سمواته وأرضه** لهكذا، وأشار بأصابعه الخمس مثل القبّة وأشار يحي بن معينٍ بأصابعه كهيئة القبّة **وإنّه ليئطّ أطيط الرّحل بالرّاكب**».

وأدرج أيضًا(١) في كتابه «الاستذكار» حديث «**ينزل ربنا**» فقال معلقًا: «وفي هذا الحديث **دليل على أنّ الله عزّ وجلّ في السّماء على العرش من فوق سبع سماواتٍ** وعلمه في كلّ مكانٍ كما قالت الجماعة أهل السّنّة أهل الفقه والأثر.

وحجّتهم ظواهر القرآن في قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه].

كما قال: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ۝١٣﴾ [سورة الزّخرف].

وقوله: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ۝٤٤﴾ [سورة هود]».

وسيأتي بعون الله تعالى الردُّ مفصَّلًا على هذه الضلالات الخطيرة.

---

(١) **الاستذكار**، ابن عبد البر، (٢/٥٢٧).

البَابُ الرَّابع:

التَّحذِيرُ مِنَ الذَّهَبِيّ

ويشتمل على عدة مباحث:

- **المبحث الأول:** ترجمة الذهبي
- **المبحث الثاني:** أقوال أهل السنة في الذهبي
- **المبحث الثالث:** مخالفات الذهبي لعقيدة أهل السنة والجماعة

المبحث الأول:

ترجمة الذهبي

ليعلم أن الذهبي هو في حقيقة الأمر كان تلميذًا لابن تيمية إمام المجسمة والمشبهة، ثم تظاهر بأنه انتقده وطعن فيه وكتب له رسالة عرفت باسم نصيحة الذهبي لابن تيمية، وجاء فيها بما هو حق من كشف زيغ شيخه وشذوذه وانحرافه وأنه تجرأ على الأمة الأعلام وأنه اشتغل بكتب الفلسفة وفي هذا صدق الذهبي، فهو أعلم وأدرى بخبائث وخبايا شيخه ابن تيمية إلا أنه راوغ واحتال وخدع فتبرأ من بعض أفكار شيخه علانية وهو في السر والباطن باقيًا عليها، وفي بعض تأليفاته كسير أعلماء النبلاء ذكر كثيرًا من الأمور التي عليه الأشاعرة والماتريدية في تراجم بعض الأعلام من التوسل والتبرك والتأويل واستجابة الدعاء عند قبور الصالحين كقبر السيدة نفيسة وذكر شيئًا من عقائد وأقوال أهل السنة والجماعة أثناء التراجم.

ومن هنا انخدع به كثير من الناس حتى ظنوه سنيًا بل وصوفيًا بل وأشعريًا لكونهم رأوا هذه المسائل ففرحوا بها، ولكنهم لم يطلعوا على عقيدته التي نصرها وألف في الدفاع عنها **وهي عقيدة التشبيه والتجسيم** عقيدة اليهود، وذلك في كتابيه المسميين بـ«العرش» و«العلو للعلي الغفار»، وقد حشاهما بالأحاديث الموضوعة والآثار المقطوعة والأخبار المكذوبة والنقول المبتورة التي نقلها مقرًا لها مثبتًا لعقيدته المزعومة من

نسبة الجلوس إلى الله والقعود والحركة والسكون والانتقال والتغير والتطور، وكل ذلك كفر صريح، وستراه في موضعه مفصَّلًا مخرجًا مع ذكر المصادر.

وزيادة على كل ذلك فإنه يضلل أهل السنة الأشاعرة والماتريدية لأنهم يؤولونَ المعنى المقبول ويصفهم بأنهم معطلة وجهمية ومعتزلة وهذا تكفير وتضليل منه للأشاعرة الماتريدية أهل السنة والجماعة.

فليعرف ذلك المغترون بالذهبي وليقفوا على حقيقة أمره لأن لا يأخذوا بأقواله الشاذة ولا بعقيدته الفاسدة.

وهو أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ شمس الدين، تركمانيّ الأصل، مولده ووفاته في دمشق.

رحل إلى القاهرة وطاف كثيرًا من البلدان.

تصانيفه كثيرة تقارب المائة، منها: «سير أعلام النبلاء»، و«دول الإسلام»، و«المشتبه في الأسماء والأنساب»، و«تاريخ الإسلام الكبير»، و«تذكرة الحفّاظ»، و«العبر في خبر من عبر».

وولد سنة ٦٧٣هـ ـ ١٢٧٤م، وتوفي سنة ٧٤٨هـ ـ ١٣٤٨م[١].

---

(١) **الأعلام**، الزركلي، (٥/٣٢٦، ٣٢٧).

المبحث الثاني:
أقوال أهل السنة في الذهبي

ـ الموضع الأول من كلام تاج السبكي (ت ٧٧١هـ) فيه:

يقول التاج في «طبقات الشافعية» مختصرًا[١]: «وهذا شيخنا الذهبي من هذا القبيل له علم، **وعنده على أهل السنة تحمل مفرط فلا يجوز أن يعتمد عليه،** ونقلت من خط الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي رحمه الله ما نصه: **شمس الدين الذهبي غلب عليه مذهب الإثبات ومنافرة التأويل والغفلة عن التنزيه حتى أثر ذلك في طبعه انحرافًا شديدًا عن أهل التنزيه وميلًا قويًا إلى أهل الإثبات، فإذا ترجم واحدًا منهم يطنب في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن ويبالغ في وصفه ويتغافل عن غلطاته ويتأول له ما أمكن، وإذا ذكر أحدًا من الطرف الآخر كإمام الحرمين والغزالي ونحوهما لا يبالغ في وصفه ويكثر من قول من طعن فيه ويعيد ذلك ويبديه ويعتقده دينًا وهو لا يشعر ويعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها،** وكذلك فعله في أهل عصرنا إذا لم يقدر على أحد منهم بتصريح يقول في ترجمته والله يصلحه ونحو ذلك **وسببه المخالفة في العقائد.**

---

(١) **طبقات الشافعية**، تاج الدين السبكي، (٢/١٣ ـ ١٥).

والحال في حق الذهبي والحق أحق أن يتبع وقد وصل من التعصب المفرط إلى حد يسخر منه وأنا أخشى[١] عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين وأئمتهم الذين حملوا لنا الشريعة النبوية فإن غالبهم أشاعرة وهو إذا وقع بأشعري لا يبقي ولا يذر والذي أعتقده أنهم خصماؤه يوم القيامة عند من لعل أدناهم عنده أوجه منه، **والذي أدركنا عليه المشايخ النهي عن النظر في كلامه وعدم اعتبار قوله ولم يكن يستجري أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أنه لا ينقل عنه ما يعاب عليه**».

ثم قال: «وأما قول العلائي رحمه الله «دينه وورعه وتحريه فيما يقوله» فقد كنت أعتقد ذلك وأقول عند هذه الأشياء إنه ربما اعتقدها دينًا ومنها أمور أقطع بأنه يعرف بأنَّها كذب، وأقطع بأنه لا يختلقها، وأقطع بأنه يحب وضعها في كتبه لتنتشر، وأقطع بأنه يحب أن يعتقد سامعها صحتها بغضًا للمتحدث فيه وتنفيرًا للنَّاس عنه مع قلة معرفته بمدلولات الألفاظ ومع اعتقاده أن هذا مما يوجب نصر العقيدة التي يعتقدها هو حقًّا ومع عدم ممارسته لعلوم الشريعة، غير أني لما أكثرت بعد

---

(١) وهذا لشدة معاداة الذهبي للأشاعرة أهل السنة والجماعة، وموقفه معهم يوم القيامة **صعب جدًا** فهو عدو العلماء والأولياء والصالحين والخلفاء والسلاطين والزهاد والعامة والعباد الذين وقع فيهم وضللهم لأنهم أشاعرة وهذا من مخازيه وفساد اعتقاده.

موته النظر في كلامه عند الاحتياج إلى النظر فيه توقفت في تحريه فيما يقوله ولا أزيد على هذا غير الإحالة على كلامه **فلينظر كلامه من شاء ثم يبصر هل الرجل متحر عند غضبه أو غير متحر**، وأعني بغضبه وقت ترجمته لواحد من علماء المذاهب الثلاثة المشهورين من الحنفية والمالكية والشافعية فإني أعتقد أن الرجل كان إذا مد القلم لترجمة أحدهم غضب غضبًا مفرطًا ثم قرطم الكلام ومزَّقه وفعل من التعصب ما لا يخفى على ذي بصيرة، **ثم هو مع ذلك غير خبير بمدلولات الألفاظ كما ينبغي**، فربما ذكر لفظة من الذم لو عقل معناها لما نطق بها **ودائمًا أتعجب من ذكره الإمام فخر الدين الرازي في كتاب الميزان في الضعفاء وكذلك السيف الآمدي وأقول يا لله العجب هذان لا رواية لهما ولا جرحهما أحد ولا سمع من أحد أنه ضعفهما فيما ينقلانه من علومهما فأي مدخل لهما في هذا الكتاب**، ثم إنا لم نسمع أحدًا يسمي الإمام فخر الدين بالفخر بل إما الإمام وإما ابن الخطيب وإذا ترجم كان في المحمدين فجعله في حرف الفاء وسماه الفخر ثم حلف في آخر الكتاب أنه لم يتعمد فيه هوى نفسه **فأي هوى نفس أعظم من هذا**، فإما أن يكون ورى في يمينه أو استثنى غير الرواة فيقال له فلم ذكرت غيرهم، وإما أن يكون اعتقد أن هذا ليس هوى نفس وإذا وصل إلى هذا الحد والعياذ بالله **فهو مطبوع على قلبه**».

ثم قال في الذهبي وأمثاله[1]: «وفي المبتدعة لا سيما المجسمة زيادة لا توجد في غيرهم **وهو أنهم يروون الكذب لنصرة مذهبهم والشهادة على من يخالفهم في العقيدة بما يسوؤه في نفسه وماله بالكذب تأييدًا لاعتقادهم** ويزداد حنقهم وتقربهم إلى الله بالكذب عليه بمقدار زيادته في النيل منهم **فهؤلاء لا يحل لمسلم أن يعتبر كلامهم**».

قال التاج[2]: «وأما تاريخ الذهبي فإنه على حسنه وجمعه مشحون **بالتعصب المفرط فلقد أكثر الوقيعة في أهل الدين أعني الفقراء الذين هم صفوة الخلق واستطال بلسانه على كثير من أئمة الشافعيين والحنفيين ومال فأفرط على الأشاعرة ومدح فزاد في المجسمة**، فالرأي عندنا ألا يقبل مدح ولا ذم من المؤرخين إلا بما اشترطه إمام الأئمة وحبر الأمة وهو الشيخ الإمام الوالد رحمه الله حيث قال ونقلته من خطه في مجاميعه، ولقد وقفت في تاريخ الذهبي على ترجمة الشيخ الموفق بن قدامة الحنبلي والشيخ فخر الدين ابن عساكر وقد أطال تلك وقصر هذه **وأتى بما لا يشك لبيب أنه لم يحمله على ذلك إلا أن هذا أشعري وذاك حنبلي وسيقفون بين يدي رب العالمين**، والذي أفتي به أنه لا يجوز الاعتماد على كلام الذهبي في ذم أشعري ولا شكر حنبلي والله المستعان».

---

(١) **طبقات الشافعية**، تاج الدين السبكي، (١٦/٢).

(٢) **طبقات الشافعية**، تاج الدين السبكي (ملخصًا)، (٢٢/٢-٢٥).

وقال كذلك[1] بعد أن ذكر الذهبي وعن الرفقة التي بينه وبين ابن تيمية وجماعات أخر قال: «**أضرَّ بهم أبو العباس ابن تيمية إضرارًا بيِّنًا وحملهم على عظائم الأمور أمرًا ليس هيِّنًا وجرهم إلى ما كان التباعد عنه أولى بهم وأوقفهم في دكادك من نار**».

ـ الموضع الثاني من كلام الحافظ السيوطي (ت ٩١١هـ) فيه:

يقول جلال الدين السيوطي[2]: «إن غرّك دندنة الذهبي، **فقد دندن على الإمام فخر الدين بن الخطيب ذي الخطوب، وعلى أكبر من الإمام وهو أبو طالب المكي**، وعلى أكبر من أبي طالب، وهو الشيخ أبو الحسن الأشعري، الذي يجول في الآفاق ويجوب، وكتبه مشحونة بذلك: الميزان والتاريخ وسير النبلاء، أفقابل كلامه في هؤلاء؟ **كلا والله لا يقبل كلامه فيهم، بل نوصلهم حقهم ونوفيهم**».

ـ الموضع الثالث من كلام الشيخ الهرري (ت ١٤٢٩هـ) فيه:

قال شيخ الإسلام عبد الله الهرري[3]: «الذّهبي محدّث حافظ مؤرّخ، **أما في الفقه فليس له حظّ لا يعدّ من فقهاء الشّافعيّة، ثم هو نصفه مع**

(١) **طبقات الشافعية**، تاج الدين السبكي (ملخصًا)، (١٠/٤٠٠).

(٢) **الرفع والتكميل**، اللكنوي الهندي، (ص٣١٩).

(٣) ملخصًا من بعض مجالسه.

ابن تيمية ونصفه مع غيره، كتاب الكبائر للذهبي لا يعتمد عليه، أوّلًا هو ليس فقيهًا، هو ينتسب إلى المذهب الشافعي لكن ما نقل عن الأئمة هذا الكلام، ما قال: قال الشّافعيّ، ما قال: قال مالك، ما قال: قال أحمد، ما قال: قال أبو حنيفة أو غيرهم من المجتهدين، ثم هو ليس من أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي ولا من أصحاب الاجتهاد، وهو من الطبقة التي أضعف من طبقة ابن حجر الهيتمي بكثير.

الذّهبي لا يقال عنه من الأئمة وقد كان مفتونًا بابن تيمية لكن في الأخير ظهر له في ابن تيمية ما ظهر بعد أن كان يمدحه ويقول فيه ما رأت عيناي مثله وكأنّ السّنّة نصب عينيه، بعد أن قال هذا بزمان ظهر له في ابن تيمية الخبث والفساد، فقال في رسالة خاصة سماها «بيان زغل العلم والطّلب»، قال فيه: وما جرى عليه وعلى أتباعه إلا بعض ما يستحقّون، الحبس والإذلال والإهانة الذي جرى على ابن تيمية وأتباعه بسببه هذا بعض ما يستحقّون ليس كلّ ما يستحقون، كانوا يستحقّون أكثر من ذلك».

وقال رضي الله عنه واصفًا حال الذهبي: «يحوم حول التّجسيم، لكنّه لا يرضى بهذه المقالة التي أخذها ابن تيمية من الفلاسفة، الذهبي ما عرّج على الفلسفة مثل ابن تيمية، أمّا ابن تيمية خاض في الفلسفة على خلاف ما عرف به طائفته من الحنابلة، الحنابلة المتأخّرة أغلبهم صاروا مجسّمة. حتى إنّ ابن تيمية يعتزّ بأناس مثله بل أشدّ منه في الوقاحة في حقّ الله

تعالى كأبي يعلى الفرّاء، الذي قال في حقّ الله: «ألزموني ما شئتم غير اللّحية والعورة»، يقول بأن لله كذا وكذا إلا اللّحية والعورة. هؤلاء عند ابن تيمية مقدّسون، أخذ منهم أنّ الله يتحرك لأنّه حيّ والحيّ لا بدّ أن يتحرّك، فأيّ قاعدة هذه؟ من أين أخذها؟ من الشّرع أخذها أم من العقل؟ لا هي قاعدة عقليّة ولا هي قاعدة شرعيّة».

وقال رضي الله عنه: «أغلب الحنابلة المتأخرون مجسمون إلا القليل إلا الحافظ ابن الجوزي وأبو الوفاء. كيفما كان هذا يرده ما ثبت عن الإمام أحمد من تأويله الآية ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] فرَّ من إثبات الحيِّز إلى الله تعالى إلى التأويل بعد هذا لا يقبل ما ينسب إلى الإمام أحمد من أي كان من تجسيم لله؛ نقول لا يثبت للإمام أحمد هذا الكتاب المنسوب لابنه عبد الله، الحنابلة المجسمة هم ألزقوه به لا نثبته عن الإمام أحمد ولا عن ابنه عبد الله لأن السند إليه فيه مجسمة. الذهبي انتقد ابن تيمية في كتاب زغل العلم والطلب بعد أن مدحه في تذكره الحفاظ ذلك المدح العظيم أما بالنسبة لنفسه هل هو بعيد من التجسيم أم لا؟ **فيه وقفة لأن كتابه العلو للعلي العظيم فيه إثبات العبارات التي توهم التجسيم هذا يمنع الاطمئنان**؛ أما الحافظ ابن حجر بالنسبة له هو منزه من التجسيم وإثبات الحيز لله وانتقال وكل ما هو من صفات الأجسام، أما بالنسبة للكلام هو نفى عن الله الصوت ثم في كتاب التوحيد قال: لا مانع أن يكون لله صوت قديم، هذه غفلة لكن لا تؤدي إلى التكفير. مع هذا

هي غلطة منه، الذهبي بدون ثناء يذكر فيما وافق فيه الحق تاج الدين السبكي، ينتقده بأشياء، يقول: «وإن كان هو شيخنا فالحقُّ أحقُّ أن يتبع» في كتابه قاعدة الجرح والتعديل والطبقات، لكن هشم ابن تيمية في «بيان زغل العلم والطلب». بعض المصريين الذين دفعهم التعصب للوهابية إما لأجل طمع في المال أو لفساد عقيدة نفى أن يكون هذا الكتاب ثابتًا للذهبي حيث فيه طعن شديد بابن تيمية، لكن هذا الكلام هباء منثور لأن السخاوي أثبت النسبة له فهو صحيح النسبة. المصريون اليوم دخلهم الفساد بعضهم لأجل المال مالوا وأكثرهم لقلَّة العلم. هذا سعيد البوطي تخرج من كلية أصول الدين بلا دين جمع بين عقيدة المعتزلة في بعض مقالتهم وعقائد الفلاسفة القدماء الذين كانوا يقولون بوحدة الوجود، قال: الذين كانوا يقولون بوحدة الوجود، قال: حقيقة الحقائق، ما معناه العالم فرع من الله. اليوم من يجهر بالحق يجد من يعارضه المعارضون، كثير ما يروى عن ابن حجر أنه شرب زمزم ودعا أن يكون مثل الذهبي، هذا على حسب ظنه به، هو ليس له اطلاع على كل كلمة من كلماته».

وقال الشيخ رحمه الله: «ابن خزيمة كان وقع في التشبيه ثم رجع فما وافق من كلامه التنزيه يؤخذ به وما وافق من كلامه التشبيه لا يؤخذ به واعترف كما قال البيهقي: بالغلط، وقال: أنا ما كنت أعرف هذه المسئلة، مسئلة كلام الله تعالى غلط غلطة ثم اعترف بأنَّه كان جاهلًا بهذا الأمر

نحن نقول رجع عن التشبيه. **لكن الذهبي في كتابه العلو للعلي العظيم خلط وخبط يورد ءاثارًا عن بعض التابعين فيها التجسيم على وجه الإقرار بها،** يرويها كذلك عن بعض الصحابة وكل ذلك لا تقوم به حجة لأنه لا تثبت لله صفة إلا بالقرءان والحديث الصحيح الذي لا اختلاف فيه بهذين فقط، أما الاسم يقول الإمام أبو الحسن الأشعري بالإجماع يثبت لله تعالى الاسم أي يجوز إطلاق لفظ أجمعت الأمة عليه ولو لم يرد في حديث معين ولا في القرءان كالموجود يجوز أن تقول نسمي الله الموجود بمعنى الوصف وبالقديم لأن لفظ القديم لم يصح إسناده في عده من أسماء الله بل ورد في حديث في بعض روايه مقال ولكن قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ ٣﴾ [سورة الحديد] يشهد بصحة وصفه بالقديم، والأزليّ يجوز إطلاقه على الله لو لم يرد في حديث لأنه مما أجمعت عليه الأمة من حيث المعنى لأنه معنى الأول، إذا قيل الله الأزلي معناه الله الأول أي الموجود قبل كل شىء الذي لا ابتداء لوجوده.

الذهبي عقيدته فيها خلل من المجسمة يمدح ابن تيمية في ناحية ويذمه في ناحية في الأول كان يمدحه مدحًا بالغًا قال ما رأت عيناي مثله ثم ظهر له أنه اشتغل بالفلسفة آراؤه تشتّت من يقرأ له، **الذهبي لا يعول عليه في العقيدة حتى في الحديث الذي لا يعجبه معناه يطعن فيه والذي يوافق هواه يأخذه ولو كان موضوعًا أو ضعيفًا هو قال الذي يقول لله حد فُضُول والذي يقول ليس لله حد فُضُول،** ذم هذا وهذا عقيدته فاسدة وإذا تكلم في مشاهير الأشاعرة لا يؤتمن لأنهم لا يعجبونه **يوافق**

حنابلة المجسمة، وكذلك الذهبي فعل في كتابه العلو، فإنه **يورد أحاديث ضعاف وواهية في هذا الباب**، وكذلك من سبقهما من المشبّهة والجِهَوِيين **فهم بهذا خرجوا عن قواعد الحديث والأصول، وخالفوا ما جرى عليه الأمر عند الحنفيين**، فإن الشرط عندهم للاحتجاج بالحديث في الصفات أن يكون مشهورًا وهو ما رواه ثلاثة فأكثر من الطبقات الأولى والوسطى والثالثة، **فبهذا يتبين أنه لا يُعتمد على ما توره المشبهة من الأحاديث في الصفات في مؤلفاتهم، فإن دأبهم التّعلق والتشبث بأحاديث واهية، فما هو مرفوع صورة أو موقوف على صحابي أو مقطوع على تابعي إذا كان مما يوهم التّجسيم أخذوا به. فلتُحذر مؤلّفاتُهم حذَرًا من الوقوع في تشبيه الله بخلقه.**

فائدة مهمة: روى ابن عبد البر في الاستذكار موقوفًا على عمر بن الخطاب أنه خرج ومعه الناس فمرَّ بعجوزٍ فاستوقفته فوقف، فجعل يحدثها وتحدثه فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذا العجوز، فقال: ويلك أتدري من هي، هذه المرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله فيها: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۝١﴾ [سورة المجادلة]، فبهذا يندفع احتجاج المشبهة لإثبات الجهة لله، على أن هذا ما ثبت عن عمر وغاية ما قال بعضهم في ذلك: إنه ورد عن عمر من وجوه، وهذا لا ينفع الثبوت، ولو أُبدي له إسناد صحيح فلا احتجاج به عملًا بالقاعدة المذكورة،

وهكذا نسبة القعود على العرش لا يثبت صفة لله بقول تابعي ولو كثر عدد من يُنقل عنهم من التابعين، وكذلك لو كثر النقل عن بعض الصحابة فلا حجة **بذلك كله إنما الحجة في إثبات الصفة لله بالنص القرءاني أو بحديث متفق على ثقة رواته، وعند الماتريدية أتباع أبي حنيفة يشترط زيادة على ذلك أن يكون مشهورًا وإلا لا يحتج به عندهم**، وقد قدمنا القول بذلك، وأما ما تحتج به المشبهة فأكثرها ولو كان بصورة المرفوع فغير صالح للاحتجاج به لإثبات الصفة لله، **وقد حشا الذهبي كتابه «العلو للعلي العظيم» بها**».

وقال الشيخ رحمه الله: «ما يروى أن الحافظ ابن حجر شرب زمزم وسأل الله أن يكون كالذهبي هذا لأنه لم يطّلع على كل كلمة قالها الذهبي، **الذهبي كأن في قلبه مرضًا، فيه رائحة التشبيه وشىء نحو الصالحين هو تأثر بابن تيمية**، وقول الذهبي عن ابن تيمية «علمه أكبر من عقله» معناه يحفظ الكثير لكن فهمه فاسد، هنا العقل معناه الفهم، وسئل الشيخ عن ابن كثير والذهبي وعن موافقتهم لابن تيمية فقال: لا ابن كثير يخالف ابن تيمية في بعض مقالاته، يخالف ابن تيمية في التوسل واتبعه في مسائل الطلاق والذهبي يقول: «أنا أخالفه في مسائل بالاعتقاد وفي الفروع» لكن الذهبي **لا يخلو عن بعض ما يراه ابن تيمية في العقيدة، كان ابن تيمية صديقه لم يكن شيخه** تلميذه صلاح الدين الصفدي رحمه الله، تلميذ ابن تيمية وتلميذ السبكي عمل كتابًا بالتاريخ سماه «عيون

التاريخ» يقول فيه في ابن تيمية بعد تفاصيل واسعة يقول: في سنة كذا جرى له كذا، في سنة كذا جرى له كذا ثم في سنة كذا جرى له كذا، يقول في الأخير «اجتمع القضاة من المذاهب الأربعة في القاهرة حكموا عليه بأنه ضال وبأنه يحبس الحبس الطويل، تلميذه يروي هذا، ثم هؤلاء الذين الآن يتحزبون له في هذا العصر ماذا يقولون يقولون: «أولئك القضاء الأربعة كانوا حلوليين» كيف عرفوا أنهم حلوليون وهم في هذا العصر وتلميذه الذي درس عليه ما طعن فيهم ما طعن في واحد منهم، ما قال «إنهم حلوليون» ولا «إنهم كانوا قضاة سوء يرتشون ويغيرون الحكم بالرشوة أو مراعاة لخواطر الناس» هؤلاء يعلمون الغيب؟ تلميذه ما طعن في هؤلاء الأربعة، القضاة الأربعة، أيُّ هؤلاء يعلم الغيب؟ هؤلاء يعلمون ولا يعلم تلميذه حال أولئك القضاة؟».

وقال: «الذهبي اعترض على ابن حبان الذي نفى الحد عن الله واعترض على الذي أثبت الحد لله، **هذا مذبذب** الحافظ ابن حجر نقل عنه ذلك في كتاب لسان الميزان، فيه خبث من حيث العقيدة **وهو ليس مصيبًا ولا هم مصيبون يعني الذين يثبتون الحد لله، ابن تيمية جرّأه ليظهر خبث عقيدته.** كم من حفّاظ أضلهم الله تعالى عقيدتهم التجسيم، أبو إسماعيل الأنصاري الهرويّ من رؤوس المشبهة **كان يقول الأشاعرة لا تؤكل ذبائحهم كان يكفر الأشعرية**».

المبحث الثالث:

مخالفات الذهبي لعقيدة أهل السنة والجماعة

للذهبي في كتابه «العرش» في فصل سماه: «الدليل على أن الله تعالى فوق العرش فوق المخلوقات» الذي ذكره ليعادي فيه أهل السنة الأشاعرة والماتريدية ليعلن عقيدته عقيدة التجسيم فيجيء الذهبي هذا ويرمي أقوال أهل التجسيم وينسبها كذبًا وزورًا لأهل التنزيه والإيمان فما ننقله عنه الآن هو فيما نسبه الذهبي عنهم افتراء وإلا أهل السنة وأعلامهم لا غبار عليهم الغبار عليه وعلى أمثاله المدلسين المشبهين الوضاعين الذين يداهنون ويكذبون ليتقبلهم الناس وليسمعوا مقالاتهم.

قال في كتابه العرش[1]: «وقال أبو عبيدة: **أي صعد**.

وقال الفراء: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ﴾ **أي صعد وهو كقولك: الرجل كان قاعدًا ثم استوى قائمًا**».

وزعم في كتابه المسمى «العلو[2]»: «قال الإمام أبو محمد بن أبي زيد المغربي شيخ المالكية في أول رسالته المشهورة في مذهب مالك الإمام **وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته** وأنه في كل مكان بعلمه وقد تقدم مثل هذه العبارة عن أبي جعفر ابن أبي شيبة وعثمان بن سعيد الدارمي وكذلك

---

(١) **العرش**، الذهبي، (٢/١١).

(٢) **العلو للعلي الغفار**، الذهبي، (١/٢٣٥).

أطلقها يحي بن عمار واعظ سجستان في رسالته والحافظ أبو نصر الوائلي السجزي في كتاب الإبانة له فإنه قال وأئمتنا كالثوري ومالك والحماد وابن عيينة وابن المبارك والفضيل وأحمد وإسحاق **متفقون على أن الله فوق العرش بذاته** وأن علمه بكل مكان وكذلك أطلقها ابن عبد البر كما سيأتي، وكذا عبارة شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري فإنه قال: وفي أخبار شتى **أن الله في السماء السابعة على العرش بنفسه**».

وقال[1]: «قال الحافظ الإمام أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي الطلمنكي المالكي في كتاب الوصول إلى معرفة الأصول وهو مجلدان أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ٤﴾ [سورة الحديد] **ونحو ذلك من القرآن أنَّه علمه وأنَّ الله تعالى فوق السموات بذاته مستوٍ على عرشه كيف شاء**.

وقال أهل السنة في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ٥﴾ [سورة طه] **أنَّ الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز**».

وقال كذلك[2]: «فقولهم: (الاستواء معلوم): أي أن معنى الاستواء معلوم في اللغة، **وهو ههنا بمعنى العلو والارتفاع**».

---

(١) **العلو للعلي الغفار**، الذهبي، (٢٤٦/١).

(٢) **العرش**، الذهبي، (١٨٩/١).

وقال[1] والعياذ بالله من الجهل بالدين: «والصواب أنه ما دام المعنى المقصود من ذلك اللفظ يوافق ما دلت عليه النصوص، واستعمل اللفظ لتأكيد ذلك فلا مانع، كقول أهل السنة: «**إن الله استوى على العرش بذاته**».

فلفظة (بذاته) مراد بها أن الله مستوٍ على العرش حقيقة وأن الاستواء صفة له».

وقال فيه[2]: «وقال الحاكم سمعت محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت إمام الأئمة أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: **من لم يقر أن الله على عرشه، استوى فوق سبع سمواته، بائن من خلقه، فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة لئلا يتأذى برائحته أهل القبلة وأهل الذمة**».

وقال[3]: «قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده الحافظ، في «كتاب الصفات» له بعد أن قال: روى أبو نعيم، عن حماد، عن جرير بن عبد الحميد، عن ليث، عن بشر، عن أنس، أن النبي ﷺ قال: «**إذا أراد الله أن ينزل عن عرشه نزل بذاته**».

---

(١) **العرش**، الذهبي، (١/٢٤٠).

(٢) **العرش**، الذهبي، (١/٣٥٥).

(٣) **العرش**، الذهبي، (٢/٤١٩).

وقال[1]: «قال الإمام أبو محمد بن أبي زيد المالكي المغربي في رسالته في مذهب مالك، أولها: **وأنه فوق عرشه المجيد بذاته،** وأنه في كل مكان بعلمه».

وفي كتابه[2]«العلو»: «قال عبد الرحمن بن أبي حاتم حدثنا أبي قال حدثت عن سعيد ابن عامر الضبعي أنه ذكر الجهمية فقال هم شر قولًا من اليهود والنصارى **قد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله عز وجل على العرش** وقالوا هم ليس على شيء».

قال[3] في «العلو»: «وقال المروذي سمعت أبا عبد الله الخفاف سمعت ابن مصعب وتلا ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [سورة الإسراء] **قال: نعم يقعده على العرش**».

وقال[4]: «وقد حدثنا هارون بن معروف حدثنا محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [سورة الإسراء] **قال: يقعده عن العرش** فحدثت به أبي رحمة الله فقال لم يقدر لي أن أسمعه من ابن فضيل بحيث أن المروذي روى حكاية بنزول عن إبراهيم

---

(١) **العرش**، الذهبي، (٤٣٥/٢).

(٢) **العلو للعلي الغفار**، الذهبي، (١٥٨/١).

(٣)**العلو للعلي الغفار**، الذهبي، (١٧٠/١).

(٤) **العلو للعلي الغفار**، الذهبي، (١٧١/١).

بن عرفة سمعت ابن عمير يقول سمعت أحمد بن حنبل **يقول هذا قد تلقته العلماء بالقبول**».

وفيه أيضًا: «وقال المروذي قال أبو داود السجستاني حدثنا ابن أبي صفوان الثقفي حدثنا يحي ابن أبي كثير حدثنا سلم بن جعفر وكان ثقة حدثنا الجريري سيف السدوسي عن عبد الله بن سلام قال: **إذا كان يوم القيامة جيء بنبيكم ﷺ حتى يجلس بين يدي الله عزَّ وجلَّ على كرسيه**.

وكذلك رد شيخ الشافعية ابن سريج عمن أنكره بحيث أن الإمام أبا بكر الخلال قال في كتاب السنة من جمعه أخبرني الحسن بن صالح العطار عن محمد بن علي السراج قال رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت إن فلانًا الترمذي يقول إن الله لا يقعدك معه على العرش ونحن نقول بل يقعدك فأقبل علي شبه المغضب **وهو يقول: بلى والله بلى والله يقعدني على العرش** فانتبهت بحيث أن الفقيه أبا بكر أحمد بن سليمان النجاد المحدث قال فيما نقله عنه القاضي أبو يعلى الفراء لو أن حالفًا حلف بالطلاق ثلاثًا **أن الله يقعد محمدًا ﷺ على العرش واستفتاني لقلت له صدقت وبررت**».

وفي كتاب العرش قال[1]: «وأخرجه أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب «السنة والرد على الجهمية» له عن أبيه، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان الثوري، عن أبي إسحاق السبيعي، عن عبد الله بن

---

(١) **العرش**، الذهبي، (٢/١٥٤).

خليفة، عن عمر رضي الله عنه، ولفظه «**إذا جلس الرب على الكرسي، سمع له أطيط كأطيط الرحل الجديد**». ورواه أيضًا عن أبيه، حدثنا وكيع بحديث إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة، عن عمر «إذا جلس الرب على الكرسي» فاقشعر رجل سماه أبي عند وكيع، فغضب وكيع، وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها.

قلت(١): وهذا الحديث صحيح عند جماعة من المحدثين، أخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي في صحيحه، وهو من شرط ابن حبان **فلا أدري أخرجه أم لا؟**، فإنَّ عنده أنَّ العدل الحافظ إذا حدث عن رجل لم يعرف بجرح، فإن ذلك إسناد صحيح.

فإذا كان هؤلاء الأئمة: أبو إسحاق السبيعي، والثوري، والأعمش، وإسرائيل، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو أحمد الزبيري، ووكيع، وأحمد بن حنبل، وغيرهم ممن يطول ذكرهم وعددهم الذين هم سُرُج الهدى ومصابيح الدجى قد تلقوا هذا الحديث بالقبول وحدثوا به، ولم ينكروه، ولم يطعنوا في إسناده، فمن نحن حتى ننكره ونتحذلق عليهم؟، بل نؤمن به ونكل علمه إلى الله عز وجل.

---

(١) هو حديث ضعيف لا يحتج به موهم تشبيهًا ولو صح أن بعض العلماء أوردوه في كتبهم فليس شرطًا في إيرادهم إياه أن يكون صحيحًا هناك أحاديث علَّق عليها الحفاظ في البخاري ومسلم فكيف بغيرها من الكتب على أن الصحيحين أصح كتب الحديث في الدنيا.

قال الإمام أحمد: «لا نزيل عن ربنا صفة من صفاته لشناعة شنِّعت وإن نَبَت عن الأسماع»».

وفي[1] «العلو»: «قال النجاد: حدثنا أحمد بن علي الأبار، حدثنا علي بن خشرم، حدثنا إسحاق قال: دخلت على ابن طاهر فقال: ما هذه الأحاديث **يروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، قلت: نعم،** رواها الثقات الذين يروون الأحكام، **فقال: ينزل ويدع عرشه، فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ قال: نعم**».

وفيه كذلك[2]: «قال الإمام الكبير أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن مت الأنصاري الهروي صاحب كتاب ذم الكلام وأهله وكتاب منازل السائرين في التصوف في كتاب الصفات له **باب إثبات استواء الله على عرشه فوق السماء السابعة** بائنًا من خلقه من الكتاب والسنة فساق حجة من الآيات والحديث»... إلى أن قال: «وفي أخبار شتى **أن الله في السماء السابعة على العرش بنفسه** وهو ينظر كيف تعملون وعلمه وقدرته واستماعه ونظره ورحمته في كل مكان»».

وقال[3] في «العرش»: «تلك الصفات على شبه عقلية ظنوها بينات وهي في الحقيقة شبهات وبناء على المسلك الثاني الذي سلكه **هؤلاء المعطلة**

---

(١) **العلو للعلي الغفار**، الذهبي، (١/١٧٨).

(٢) **العلو للعلي الغفار**، الذهبي، (١/٢٦٠).

(٣) **العرش**، الذهبي، (١/١٩٦).

من تأويل تلك النصوص، فقد تعددت أقوالهم واختلفت في المعنى الذي يجب أن يؤول إليه لفظ الاستواء الوارد في الآيات إلى عدة أقوال منها:

القول الأول: **من هؤلاء المعطلة** من يؤول معنى الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] على الاستيلاء والقهر والغلبة.

وهذا القول يذهب إليه كثير من الجهمية، والمعتزلة، والحرورية، وكثير من **متأخري الأشاعرة، كسيف الدين الآمدي، والغزالي، والبغدادي، وغيرهم**(١).

وقد استدل هؤلاء المعطلة على صحة زعمهم هذا بأن تأويل الاستواء بالاستيلاء أمر مشهور في لغة العرب من ذلك:

قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق　　من غير سيف ولا دم مهراق

وقال الآخر:

---

(١) وما هذا إلا دليل على أنه ليس سنيًا ولا أشعريًا ولا محبًا لهم بل سماهم معطلة فما هذا إلا تصريح بخداعه أهل الإيمان، فلا تنغروا به يا أهل السنة كفاكم الله علماء أجلاء كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والأوزاعي والليث بن سعد وأبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي وأبي الحسن الباهلي وأبي بكر بن فورك والبيهقي وآلاف من علماء أهل السنة والجماعة، فلا تلتفتوا للذهبي تبع ابن تيمية فضل وأضل وما تبعه إلا عن جهل والقيامة آتية. فالويل الويل لمن بثَّ الضلال والتشبيه والتجسيم بين الناس متسترًا بالسنة وأهلها وهما منه براء.

هما استويا بفضلهما جميعًا على عرش الملوك بغير زور

وقال الآخر:

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر كاسر

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر أنَّ بعضهم قد احتج بما رواه عبد الله بن داود الواسطي عن إبراهيم بن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]، **قال: استولى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان**».

وفي موضع آخر قال[1]: «ما تقدم من أقوال علماء اللغة يتضح لنا فساد زعم هؤلاء المعطلة وكذب ادعائهم بأن هذا القول مشهور في اللغة.

وأما ما استدل به هؤلاء من أبيات، كقول الشاعر:

قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

وقول الآخر:

هما استويا بفضلهما جميعًا على عرش الملوك بغير زور

(١) **العرش**، الذهبي، (٢٠٣/١).

فهما على هذا بيتان مصنوعان، ومعلوم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته، **فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده وقد طعن فيه أئمة اللغة.**

قال أبو عمر بن عبد البر: **وأما ادعائهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغالبه أحد ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد**، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم. ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجلَّ الله عزَّ وجلَّ أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطبتها، مما يصح معناه عند السامعين، **والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه**. قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]، قال: وتقول العرب استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت، وقال غيره: استوى: أي انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد.

وأما ما استدل به المعطلة من قول ابن عباس رضي الله عنهما فقد بين ابن عبد البر أنَّه مكذوب على ابن عباس ورواته مجهولون وضعفاء كما تقدم ذكره».

قال(١) في «العلو»: «قال الإمام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي صاحب معالم التنزيل عند قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ۝٥٤﴾ [سورة الأعراف] قال الكلبي ومقاتل: **استقر**، وقال أبو عبيدة: **صعد**».

وقال فيه أيضًا(٢): «حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير قال: **ينزل الرب** عزَّ وجلَّ شطر الليل إلى السماء الدنيا فيقول من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له حتى إذا كان الفجر **صعد الرب** عزَّ وجلَّ».

وفيه(٣): «قال محمد بن الجهم حدثنا يحيي بن زياد الفراء قال وقد قال ابن عباس في ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٩﴾ [سورة البقرة] **صعد وهو كقولك للرجل كان قاعدًا فاستوى قائمًا وكان قائمًا فاستوى قاعدًا** وكل في كلام العرب جائز».

وانظروا إلى سخافة أدلتهم حيث جعلوا الله كالمطاط الذي ينزل ويصعد والعياذ بالله قال(٤) في «العرش»: «وقال يحيي بن معين: إذا قال لك

---

(١) **العلو للعلي الغفار**، الذهبي، (١/٢٦١).

(٢) **العلو للعلي الغفار**، الذهبي، (١/١٢٢).

(٣) **العلو للعلي الغفار**، الذهبي، (١/١٥٩).

(٤) **العرش**، الذهبي، (٢/٣١٠).

الجهمي: **كيف ينزل**؟ فقل: **كيف صعد**؟ أخرجه ابن بطة في «الإبانة» عن النجاد، عن جعفر بن أبي عثمان الطيالسي عن يحي بن معين».

وفي العرش[1] أيضًا: «وقد اختلف أصحاب الإمام أحمد وغيرهم من المنتسبين إلى السنة والحديث في المسألة على ثلاثة أقوال ذكرها القاضي أبو يعلى في كتاب «اختلاف الروايتين والوجهين»، وهذه الأقوال هي:

١- **أنه نزول انتقال** وهو قول أبي عبد الله بن حامد.

٢- **أنه نزول بغير انتقال** وهو قول أبي الحسن التميمي وأهل بيته، وأن معناه: قدرته.

٣- **الإمساك عن القول في المسألة، وهو قول أبي عبد الله بن بطة وغيره.**

ثم هؤلاء فيهم من يقف عن إثبات اللفظ مع الموافقة على المعنى وهو قول كثير منهم، ومنهم من يمسك عن إثبات المعنى وعن اللفظ.

والذي يخصنا من الأقوال الثلاثة قول ابن حامد الذي ذهب إلى أنه نزول انتقال وقال لأن هذا حقيقة النزول عند العرب، وهو نظير قوله في الاستواء بمعنى قعد.

قال القاضي أبو يعلى: «فذهب شيخنا أبو عبد الله -يعني ابن حامد- أنه نزول انتقال، وقال: لأن هذا حقيقة النزول عند العرب، وهذا نظير قوله في الاستواء، يعني قعد، وهذا على ظاهر حديث عبادة بن الصامت،

---

(١) **العرش**، الذهبي، (٢٢٦/١).

ولأن أكثر ما في هذا أنه من صفات الحدث في حقنا، **وهذا لا يوجب كونه في حقه محدثًا**، **كما الاستواء على العرش، هو موصوف به مع اختلافنا في صفته، وإن كان هذا الاستواء لم يكن موصوفًا به في القدم**، وكذلك نقول تكلم بحرف وصوت، **وإن كان هذا يوجب الحدث في صفاتنا، ولا يوجبه في حقه، كذلك النزول**».

وقال ابن القيم: «أما قول ابن حامد أنه نزول انتقال فهو موافق لقول من يقول يخلو منه العرش، والذي حمله على هذا إثبات النزول حقيقة، وأن حقيقته لا تثبت إلا بالانتقال، ورأى أنه ليس في العقل ولا في النقل ما يحيل الانتقال عليه، **فإنه كالمجيء والإتيان والذهاب والهبوط**، وهذه أنواع الفعل اللازم القائم به، كما أن الخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، والقبض، والبسط أنواع للفعل المتعدي، وهو سبحانه موصوف بالنوعين، وقد يجمعهما كقوله ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف].

والانتقال جنس لأنواع المجيء، والإتيان، والنزول، والهبوط، والصعود، والدنو، والتدلي ونحوها؛ وإثبات النوع مع نفي جنسه جمع بين النقيضين.

قالوا: **وليس في القول بلازم النزول والمجيء والإتيان والاستواء والصعود محذور البتة ولا يستلزم ذلك نقصًا، ولا سلب كمال، بل هو الكمال نفسه، وهذه الأفعال كمال ومدح، فهي حق دل عليه النقل ولازم الحق حق**».

ونقل في العرش[1] ذامًا الأشعري وابن كلاب علماء أهل السنة عن شيخه وحبيبه ومرجعه وشيخه ابن تيمية فقال: «وقال ابن تيمية: أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب البصري، وأبو الحسن الأشعري كانا يخالفان المعتزلة ويوافقان أهل السنة في جمل أصول السنة **ولكن لتقصيرهما في علم السنة وتسليمهما للمعتزلة أصولًا فاسدة، صار في مواضع من قوليهما مواضع فيها من قول المعتزلة ما خالفا به السنة، وإن كانا لم يوافقا المعتزلة مطلقًا**».

وقال أيضًا: «والذي **كان أئمة السنة ينكرونه على ابن كلاب والأشعري بقايا من التجهم والاعتزال**، مثل اعتقاد صحة طريقة الأعراض وتركيب الأجسام، وإنكار اتصاف الله بالأفعال القائمة التي يشاؤها ويختارها، وأمثال ذلك».

وقد ذم الأشاعرة والماتريدية وأتباعهم سلفهم وخلفهم ونسبهم للفلسفة والتجهم والاعتزال تحت فصل سماه «الأشاعرة» سنذكر بعض عباراته الشنيعة وتقسيماته العجيبة وافترائه على مرجعيْ أهل السنة الأشعري والماتريدي:

قال[2]: «ولكن كانت خبرته بالكلام خبرة مفصلة، **وخبرته بالسنة خبرة مجملة، فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها**

---

(١) **العرش**، الذهبي، (٥٨/١).

(٢) **العرش**، الذهبي، (٥٨/١).

خلاف السنة واعتقد أنه يمكنه الجمع بين تلك الأصول، وبين الانتصار للسنة، كما فعل في مسألة الرؤية والكلام، والصفات الخبرية وغير ذلك».

ونسب القبيح للأجلاء فقال[1]: «وعلى طريقة الجويني اعتمد المتأخرون من الأشاعرة، كالغزالي وابن الخطيب الرازي **وخلطوا مع المادة الاعتزالية التي أدخلها الجويني مادة فلسفية، وبذلك ازدادت الأشعرية بعدًا وانحرافًا**.

فالغزالي مادته الكلامية من كلام شيخه الجويني في «الإرشاد» و«الشامل» ونحوهما مضمومًا إلى ما تلقاه من القاضي أبي بكر الباقلاني. **ومادته الفلسفية من كلام ابن سينا**، ولهذا يقال أبو حامد أمرضه «الشفا»، ومن كلام أصحاب رسائل إخوان الصفا ورسائل أبي حيان التوحيدي ونحو ذلك.

وأما الرازي فمادته الكلامية من كلام أبي المعالي والشهرستاني فإن الشهرستاني أخذه عن الأنصاري النيسابوري عن أبي المعالي، **وله مادة اعتزالية قوية من كلام أبي الحسين البصري، وفي الفلسفة مادته من كلام ابن سينا والشهرستاني ونحوهما، والأشعرية الأغلب عليهم أنهم مرجئة في باب الأسماء والأحكام وجبرية في باب القدر، وأما الصفات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوع من التجهم، ولا يرون الخروج على الأئمة**

---

(١) **العرش**، الذهبي، (٦٢/١).

بالسيف موافقة لأهل الحديث وهم في الجملة أقرب المتكلمين إلى أهل السنة والحديث».

وقال[١] في موضع: «**والأشاعرة يخالفون أهل السنة[٢] في الكثير من مسائل الاعتقاد**». ثم ذكر عدة مقالات ينسبهم فيه للجبر ونفي الصفات والتناقض بزعمه وأمور عندنا هي صحيحة أتى لينقضها بأصولهم الواهية الركيكة.

ثم تعرض[٣] للماتريدي والماتريدية في قوله: «والماتريدية تنسب إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود بن محمد الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣هـ) كان معدودًا في فقهاء الحنفية، **وكان صاحب جدل وكلام ولم يكن له دراية بالسنن والآثار**، وقد نهج منهجًا كلاميًا في تقرير العقيدة يشابه إلى حد كبير منهج متأخري الأشاعرة، وعداده **في أهل الكلام من الصفاتية من أمثال ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري وأمثالهما**. وقد تابع الماتريدي ابن كلاب في مسائل متعددة من مسائل الصفات وما يتعلق بها».

وقال[٤] زيادة في ذمهم والعياذ بالله تعالى: «وهذا القول لمتأخري الأشاعرة **إنما تلقوه عن المعتزلة، لما مالوا إلى نوع التجهم، بل الفلسفة،**

---

(١) **العرش**، الذهبي، (٦٦/١).

(٢) يعني هو المجسمة الذين يتبعهم ويدعي أنهم أهل السنة.

(٣) **العرش**، الذهبي، (٦٩/١).

(٤) **العرش**، الذهبي، (١٠٥/١).

وفارقوا قول الأشعري وأئمة أصحابه، الذين لم يكونوا يقرون بمخالفة النقل للعقل، بل انتصبوا لإقامة أدلة عقلية توافق السمع».

وسيأتي بعون الله تعالى الردُّ مفصَّلًا على هذه الضلالات الخطيرة.

البَابُ الخَامِس:

المُحكَمُ والمُتَشَابِه

ويشتمل على عدة مباحث:

- **المبحث الأول:** المحكم والمتشابه بين التنزيه والتشبيه
- **المبحث الثاني:** المحكم لغة واصطلاحًا وأمثلة عنه
- **المبحث الثالث:** المتشابه لغة واصطلاحًا وأمثلة عنه
- **المبحث الرابع:** الإجماع على تكفير من يحمل الآيات المتشابهة على ظواهرها

المبحث الأول:

المحكم والمتشابه بين التنزيه والتشبيه

فليعلم أنَّ الدين الإسلامي هو دين متعاضد متماسك متين ليس فيه ثغرات ولا حفر ولا توعرات، ديننا دين يسر لا عسر، ومن أراد أن يجعل ديننا دين متعسر متناقض وصعب فليس منَّا فانبذوه واحذروه. ونعني بكلامنا هذا ابن بطة وابن عبد البر والذهبي فهم جعلوا المتشابه أصلًا والمحكم فرعًا وما هذا إلا عن سوء فهمهم وعن اتباعهم للهوى، وقد قيل: «من اتبع الهوى غوى». وهذا حالهم وحال من نأى عن محبة أهل السنة.

واعلموا أن أهل السنة لا يجعلون الدين كالمعجون يعجنها كل واحد منهم باللون الذي أراد والشكل الذي أراد ثم ترى الاختلاف بينهم ظاهر، أما أهل السنة الأشاعرة والماتريدية خلفهم وسلفهم فلهم قواعد متأصلة يرجعون إليها ويرجعون الفروع عليها فتراهم كالجبال الشامخة راسخين لا يهزهم الريح بأدلتهم وحججهم الباهرة الساطعة فلأجل هذا بيَّنَّا في المباحث التالية معنى المحكم لغة واصطلاحًا وأمثلة عليه، ومعنى المتشابه لغة واصطلاحًا وبعض الأمثلة ممن أول من أهل الحق، ثم بيان معنى الآيات والأحاديث التي جعلها هؤلاء الثلاثة ومن قبلهم ومن بعدهم من المشبهة والمجسمة أصلًا لعقيدة التجسيم بتوسع في بعضها واختصار في بعضها على حسب ما يقتضيه المقام.

المبحث الثاني:

المحكم لغة واصطلاحًا وأمثلة عنه

المحكم في اللغة: العرب تقول: حكمت وأحكمت وحكّمت بمعنى رددت ومنعت، ومن هذا قيل للحاكم بين النّاس حاكم لأنه يمنع الظالم من الظلم(١)، وحكمة اللجام ما أحاط بالحنك أي ما يمنع الفرس عن الاضطراب، وبناء محكم: أي وثيق يمنع من تعرّض له. وأحكمت الشيء فاستحكم أي صار محكمًا، واحتكم الأمر واستحكم وثق(٢).

قال الأزهري ما نصه(٣): وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ ۝١﴾ [سورة هود] فإنَّ التفسير جاء أنه أحكمت آياته بالأمر والنهي والحلال والحرام ثم فصّلت بالوعد والوعيد، وتقول: حكَّمت فلانًا تحكيمًا منعتُه عمّا يريد. وحُكِّم فلانٌ في كذا، إذا جُعل أمرُه إليه(٤).

المحكم في الاصطلاح: قيل فيه أقوال بعضها:

* إن المحكم هو ما لا يحتمل إلا معنًى واحدًا.
* المحكم ما تأويله تنزيله.

---

(١) **تهذيب اللغة**، أبو منصور الأزهري، (٤/٦٩).

(٢) **لسان العرب**، ابن منظور، (١٢/١٤٣).

(٣) **لسان العرب**، ابن منظور، (١٢/١٤٣).

(٤) **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، (٢/٩١).

* المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل.

* المحكم ما وضح معناه.

* المحكم ما لا يحتمل من التأويل بحسب وضع اللغة إلا وجهًا واحدًا، أو ما عرف بوضوح المعنى المراد منه كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ١١﴾ [سورة الشورى]، وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [سورة الإخلاص]، وقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [سورة مريم].

بعض الأمثلة عن المحكم:

١. من القرءان:

* قوله تعالى في كتابه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ١١﴾ [سورة الشورى] أصرح آية في تنزيه الله التنزيه الكلي عن مشابهة المخلوقين في الذات والصفات والأفعال.

* سورة الإخلاص فيها ما فيها من تنزيه الله عن الشريك واستغنائه عن العالمين وفي نفي الأم والأب والزوجة والولد عنه تعالى ونفي التشبيه والجسمية عن الله سبحانه وتعالى.

* وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ ٣٨﴾ [سورة محمد] دلّت هذه الآية على كونه تعالى غنيًّا لأن كل جسم مركب وكل مركب محتاج إلى كل واحد من أجزائه، وأيضًا لو وجب اختصاصه بالجهة لكان محتاجًا إلى الجهة، وذلك يقدح في كونه غنيًّا على الإطلاق.

* وفي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢٥٥﴾ [سورة البقرة] نعلم أنَّ القيوم من يكون قائمًا بنفسه مقوّمًا لغيره فكونه قائمًا بنفسه عبارة عن كونه غنيًا عن كل ما سواه، وكونه مقوّمًا لغيره عبارة عن احتياج كل ما سواه إليه، فلو كان جسمًا لكان هو مفتقرًا إلى غيره وهو جزؤه ولكان غيره غنيًا عنه وهو جزؤه، فحينئذٍ لا يكون قيومًا، وأيضًا لو وجب حصوله في شيء من الأحياز لكان مفتقرًا محتاجًا إلى ذلك الحيّز، فلم يكن قيومًا على الإطلاق لأنه بتقدير أن لا يكون حاصلًا في ذلك الحيّز لم يلزم بطلان ذلك ولا عدمه فكان الحيّز غنيًا عنه، وكان هو مفتقرًا إلى ذلك الحيّز فظهر الفرق.

* وفي قوله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [سورة مريم] قال ابن عباس رضي الله عنهما[1]: «هل تعلم له مثلًا»، ولو كان متحيّزًا لكان كل واحد من الجواهر مثلًا له.

* قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ ٢٤﴾ [سورة الحشر] وجه الاستدلال أن الخالق في اللغة هو المقدِّر، ولو كان تعالى جسمًا لكان متناهيًا، ولو كان متناهيًا لكان مخصوصًا بمقدار معيّن، ولما وصف نفسه بكونه خالقًا وجب أن يكون تعالى هو المقدِّر لجميع المقدّرات بمقاديرها المخصوصة، فإذا كان هو مقدَّرًا في ذاته بمقدار مخصوص لزم كونه مقدِّرًا لنفسه، وذلك محال. وأيضًا لو كان جسمًا لكان متناهيًا، وكل

---

(١) **جامع البيان**، الطبري، (١٨/٢٢٦).

متناه فإنه محيط به حدّ أو حدود مختلفة، وكل ما كان كذلك فهو مشكل، وكل مشكل فله صورة، فلو كان جسمًا لكان له صورة، ثم إنه تعالى وصف نفسه بكونه مصوِّرًا فيلزم كونه مصوِّرًا لنفسه، وذلك محال، فيلزم أن يكون منزّهًا عن الصورة والجسمية حتى لا يلزم هذا المحال.

* قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ ۝٣﴾ [سورة الحديد] وصف نفسه بكونه ظاهرًا وباطنًا، ولو كان جسمًا لكان ظاهره غير باطنه فلم يكن الشيء الواحد موصوفًا بأنه ظاهر وبأنه باطن لأنه على تقدير كونه جسمًا يكون الظاهر منه سطحه والباطن منه عمقه فلم يكن الشيء الواحد ظاهرًا وباطنًا، وأيضًا المفسرون قالوا: إنه ظاهر بحسب الدلائل باطن بحسب أنه لا يدركه الحس، ولا يصل إليه الخيال، ولو كان جسمًا لما أمكن وصفه بأنه لا يدركه الحس ولا يصل إليه الخيال.

* قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ۝١١٠﴾ [سورة طه] وقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝١٠٣﴾ [سورة الأنعام] وذلك يدلّ على كونه تعالى منزّهًا عن المقدار والشكل والصورة، وإلا لكان الإدراك والعلم محيطين به وذلك على خلاف هذين النصين.

* قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِ ۝١٢﴾ [سورة الأنعام] المكان وكل ما فيها ملك لله تعالى، وقوله: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝١٣﴾ [سورة الأنعام] ذلك يدل على أن الزمان وكل ما فيه لله تعالى، ومجموع الآيتين يدلان على أن المكان والمكانيات والزمان

والزمانيات كلها ملك لله تعالى، وذلك يدل على تنزيهه عن المكان والزمان.

* قوله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ [سورة الحاقة] ولو كان الخالق في العرش لكان حامل العرش حاملًا لمن في العرش فيلزم احتياج الخالق إلى المخلوق.

* قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ٣﴾ [سورة الحديد] فهذا يقتضي أن يكون ذاته متقدمًا في الوجود على كل ما سواه، وأن يكون متأخرًا في الوجود عن كل ما سواه، وذلك يقتضي أنه كان موجودًا قبل الحيز والجهة، ويكون موجودًا بعد الحيز والجهة.

* وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ٢٢﴾ [سورة البقرة] والند المثل، ولو كان تعالى جسمًا لكان مثلًا لكل واحد من الأجسام لأن الأجسام كلها متماثلة فحينئذٍ يكون الندّ موجودًا على هذا التقدير، وذلك على مضادة هذا النص.

٢. من الحديث:

* الحديث الّذي يرويه البخاريّ وغيره أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن بدء الخلق فقال: «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَىءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَىءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**»[1]، ومعنى «**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاء**» أي أنّ العرش الّذي هو سقف الجنّة هو ثاني المخلوقات

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، (١٠٥/٤)، رقم الحديث: ٣١٩١.

بعد الماء، وقوله عليه الصّلاة والسّلام: «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ**»، فيه - كما ذكر ابن حجرٍ في الفتح[١] - دلالة على أنّه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما، لأنّ كلّ ذلك غير الله تعالى، ويكون قوله «**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ**» معناه أنّه خلق الماء سابقًا ثمّ خلق العرش على الماء.

* وروى مسلم في الصّحيح[٢] عن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ أنّه كان يقول إذا أوى إلى فراشه: «**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**»، فقوله: «**هو الأول**» دليل على أن الله سبحانه تعالى خالق العالم ليس له ابتداء، وقوله ﷺ: «**وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**» هو شاهد على أنّ الله تعالى هو الباقي الّذي لا انتهاء ولا انقضاء لوجوده وبقاؤه ذاتي.

* وروى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها في حديث دعاء الاستسقاء أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**

---

(١) **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (٦/٢٨٩).

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، (٤/٢٠٨٤)، رقم الحديث: ٢٧١٣.

الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ»[1] في الحديث دليل على أنَّنا نحن محتاجون إلى الله لا نستغني عنه طرفة عين، والله غنيّ عن العالمين لا يحتاج إلينا لا يحتاج إلى مكان سبحانه وتعالى.

* و في حديث «**لَا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ**»[2] الذي رواه الحافظ السيوطي في الدر المنثور فيه نصرٌ لأهل السنة على أنه ينبغي للمسلم منَّا أن يتفكر في الخلق ولا يتفكر في الخالق كما قال الإمامان الجليلان الإمام أحمد والإمام ذو النون المصري: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» أو «لا يشبه ذلك» فالخالق من أراد من النَّاس تصويره أو تخيله فقد شبهه بخلقه وخرج عن ملَّة أهل الإسلام فالحذر الحذر من التشبيه ومن المشبهة.

المبحث الثالث:

المتشابه لغة واصطلاحًا وأمثلة عنه

المتشابه في اللغة: الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونًا ووصفًا يقال: شبه وشبه وشبيه، والمشبّهات من الأمور المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا. واشتبه الأمر إذا اختلط، وتقول أشبه فلان أباه وأنت مثله في الشبه.

(١) **سنن أبي داود**، أبو داود، (٣٠٤/١)، رقم الحديث: ١١٧٣.

(٢) **الدر المنثور**، السيوطي، (٦٦٢/٧).

والمتشابه أو المتشابهات المتماثلات بمعنى أن يكون أحد الشيئين مشابهًا للآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۝٧٠﴾ [سورة البقرة] وقال: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۝١١٨﴾ [سورة البقرة] ومنه اشتبه الأمران إذا لم يفرق بينهما، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ**»[2] وفي رواية أخرى: «**مُتَشَابِهَات**».

المتشابه في الاصطلاح: قيل فيه أقوال بعضها:

* ما لا يدرك إلا بالتأويل.
* ما استأثر الله بعلمِه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور.
* المتشابه ما لم يتضح معناه.
* والمتشابه هو الذي دلالته على المراد غير واضحة، أو كان يحتمل بحسب وضع اللغة العربية أوجهًا عديدةً، واحتيج لمعرفة المعنى المراد منه لنظر أهل النّظر والفهم الذين لهم دراية بالنصوص ومعانيها ولهم دراية بلغة العرب فلا تخفى عليهم المعاني، إذ ليس لكلّ إنسانٍ يقرأ القرءان أن يفسّره. فالمتشابه كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه].

---

(١) **مفاتيح الغيب**، الرازي، (١٣٨/٧).

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، (١٢١٩/٣)، رقم الحديث: ١٥٩٩.

تتمة: فليعلم أن الآية المتشابهة هي التي تحتمل عدة معانٍ بحسب وضع اللغة العربية فيأتي التأويل للدلالة على المعاني التي تليق ولنفي كل ما يجانب الحق. أما الآية المحكمة فهي واضحة لا لبس فيها، لا تحتاج إلى تأويل يُبرز معناها الباطن إذ النص المحكم ظاهره وباطنه واحد فقد سمي محكمًا لإحكام دلالته وإيضاح معناه وإبانته، أما النص المتشابه فهو ما له ظاهر موهم وباطن مقصود وسمي متشابهًا لأنه أشبه المحكم من وجه واحتمل معناه، وأشبه غيره مما يخالف معناه معنى المحكم فسمي متشابهًا من هذا الوجه.

تعريف التأويل في اللّغة: هو من الأول أي الرّجوع، وقيل من الإيالة وهي السّياسة .

وفي الاصطلاح: هو صرف اللّفظ عن ظاهره لدليل يصير به المرجوح راجحًا.

ومن هنا فليفهم أن الآيات المتشابهة تحتاج لتأويل وليس التأويل تعطيلًا كما زعموا بل وسمت المشبهة أهل السنة معطلة لأنهم أولوا الآيات فالتأويل إذًا نوعان تأويل إجمالي وتأويل تفصيلي.

فالإجمالي: هو صرف الآية عن ظاهرها الموهم للتشبيه، مع ترك الخوض في تعيينِ معنًى تقتضيه لغة العرب ويليق بجلال الله وعظمته ولا يتناقض مع الآيات الأخرى. وبمعناه التفويض.

أما التفصيلي: فهو صرف الآية عن ظاهرها الموهم للتشبيه، فإن اقتصر على ذلك من غير التعرض أو الخوض في المعاني المحتملة فهو إجمالي، وإلا

فتفصيلي، ويكون بتعيين معنًى مما تقتضيه لغة العرب مما لا يخالف الآيات الأخرى ويليق بجلال الله وعظمته، لكن من غير الجزم بأن هذا المعنى هو المراد دون غيره، بل على معنى الاحتمال بأن يكون هو المعنى المراد عندما يكون لمعنى اللفظ أكثر من احتمالين .

أمثلة على بعض من أوَّل تأويلًا إجماليًا:

* قال أبو حامد الغزالي[١]: «العلم بأنه تعالى استوى على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء».

وقال أيضًا [٢]: «وأنه مستوٍ على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزهًا عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته».

* قال الفقيه الحنفي ملا علي القاري ما نصه[٣]: «أكثر السلف لعدم ظهور أهل البدع في أزمنتهم يفوضون علمها ـ يعني آيات الصفات ـ إلى الله تعالى مع تنزيهه سبحانه عن ظاهرها الذي لا يليق بجلال ذاته، وأكثر الخلف يؤولونها بحملها على محامل تليق بذلك

---

(١) **قواعد العقائد**، الغزالي، (ص١٦٥).

(٢) **قواعد العقائد**، الغزالي، (ص٥٢).

(٣) **مرقاة المفاتيح**، ملا علي القاري، (١/١٦٢).

الجلال الأقدس والكمال الأنفس لاضطرارهم إلى ذلك لكثرة أهل الزيغ والبدع في أزمنتهم».

* قال الحافظ العراقي ما نصه[1]: «تكرر ذكر وجه الله تعالى في الكتاب والسنة وللناس في ذلك كغيره من الصفات مذهبان مشهوران أحدهما إمرارها كما جاءت من غير كيف فنؤمن بها ونكل علمها إلى عالمها مع الجزم بأن الله ليس كمثله شىء وأن صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، وثانيهما تأويلها على ما يليق بذاته الكريم».

* قال أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري عند كلامه على المتشابه ما نصه[2]: «فلأصحابنا في ذلك طريقان أحدهما الإعراض عن التأويل والإيمان بها كما جاءت، والإيمان بها صحيح وإن لم يُعرف معناها».

أمثلة على بعض من أوَّل تأويلًا تفصيليًا:

* عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال[3] في تفسير الآية: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ٤٢﴾ [سورة القلم]: «عن نور عظيم».

(١) **طرح التثريب شرح التقريب**، العراقي، (١١٢/٣).

(٢) **الغنية في أصول الدين**، النيسابوري، (ص٧٧).

(٣) **الأسماء والصفات**، البيهقي، (١٨٧/٢)، رقم الحديث: ٧٥٢.

* وعن سفيان الثوري رضي الله عنه فقد روى الحافظ البيهقي أيضًا[١] بالإسناد إلى معدان العابد قال: سألت سفيان الثوري عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَمَعَكُمۡ ۝٤﴾[سورة الحديد] قال: «علمه».

* ومنهم الإمام مالك رضي الله عنه فقد نقل الزرقاني[٢] عن مالك أنه قال في حديث: «**ينزل ربنا**»: «معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته».

* جاء في «البداية والنهاية»[٣] أنَّ الإمام البيهقي روى بإسناده عن الإمام أحمد بن حنبل أنَّه تأوّل قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ۝٢٢﴾ [سورة الفجر] أنه جاء ثوابه، وقال الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع شبه التشبيه»[٤]: «كان أحمد لا يقول بالجهة للبارئ».

(١) **الأسماء والصفات**، البيهقي، (٢/٣٤١)، رقم الحديث: ٩٠٨.

(٢) **شرح الزرقاني على الموطأ**، الزرقاني، (٢/٤٦).

(٣) ابن كثير هذا مذبذب وافق ابن تيمية في مسألة الطلاق التي خرق فيها الإجماع وحاول في تفسيره أن يبث سمّ التشبيه وإنَّما ذكرناه هنا ليرى ذلك الوهابية المجسمة وأنَّه ينقل عن الإمام أحمد ما يهدم عليهم مذهبهم في نفيهم التأويل وتسميتهم له بالتعطيل فعلى قولهم يكون الإمام أحمد الذي ينتسبون إليه كذبًا وزورًا معطلًا لأنه أوَّل فإذا كان معطلًا فما معنى انتسابهم إليه.

(٤) **دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه**، ابن الجوزي، (ص١٣٥).

* أوّل الشافعي[1] رضي الله عنه قوله تعالى ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة البقرة] فقال: «فثمَّ الوجه الذي وجَّهكُم الله إليه».

المبحث الرابع:

الإجماع على تكفير من يحمل الآيات المتشابهة على ظواهرها

قال ملا علي القاري في كتابه[2] «مرقاة المفاتيح» في حديث «**ينزل ربنا**» ـ الذي سنتوسع إن شاء الله في بيانه وبيان معناه والحق فيه ـ: قال ابن حجر، أي ينزل أمره ورحمته أو ملائكته، وهذا تأويل الإمام مالك وغيره ويدل له الحديث الصحيح «**إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل، ثم يأمر مناديًا ينادي فيقول: هل من داع فيستجاب له**» الحديث، والتأويل الثاني، ونسب إلى مالك أيضًا، أنَّه على سبيل الاستعارة، ومعناه الإقبال على الداعي بالإجابة واللطف والرحمة وقبول المعذرة، كما هو عادة الكرماء، لا سيما الملوك إذا نزلوا بقرب محتاجين ملهوفين مستضعفين.

قال النووي في شرح مسلم: في هذا الحديث وشبهه من أحاديث الصفات وآياتها مذهبان مشهوران:

---

(١) **الأسماء والصفات**، البيهقي، (٢/١٠٦).

(٢) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ملا علي القاري، (٣/٩٢٣، ٩٢٤).

فمذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين: الإيمان بحقيقتها على ما يليق به تعالى، وأنَّ ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا نتكلم في تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله سبحانه عن سائر سمات الحدوث.

والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف: وهو محكي عن مالك والأوزاعي إنَّما تتأوّل على ما يليق بها بحسب بواطنها.

فعليه: الخبر مؤول بتأويلين، أي المذكورين، وبكلامه وبكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي، وإمام الحرمين، والغزالي وغيرهم من أئمتنا وغيرهم يُعلَمُ أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر، كالمجيء، والصورة، والشخص[١]، والرجل، والقدم، واليد، والوجه،

---

(١) مما يتنبه له هنا أنَّه لا يطلق كلمة شخص على الله وما ورد مما رواه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد (ص١٣٤٠) قال: قال عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك «**لا شخص أغير من الله**».

قال الإمام أبو سليمان الخطّابي (٣٨٨هـ) في كتابه «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري» (٤/ ٢٣٤٤، ٢٣٤٥): «قلت: إطلاق «الشخص» في صفة الله تعالى غير جائز، وذلك لأن «الشخص» لا يكون إلا جسمًا مؤلّفًا، وإنَّما يسمى شخصًا ما كان له شخوص وارتفاع، ومثل هذا النعت منفي عن الله سبحانه، وخليق أن لا تكون هذه اللفظة صحيحة وأن تكون تصحيفًا من الراوي، والدليل على ذلك أنّ أبا عوانة قد روى هذا الخبر عن عبد الملك، فلم يذكر هذا الحرف، وروته أسماء بنت أبي بكر، عن النبي ﷺ فقالت: لا شيء، ولفظ «شيء» هنا أي موجود لا كالموجودات، وليس معناه المخلوق والحجم والجسم والكمية تنزّه الله عن ذلك، قال الله تعالى ﴿قُلْ

﴿أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ [سورة الأنعام]، وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: «والله شيء لا كالأشياء». وقد استدل الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي بهذه الآية على جواز قول: «والله شيء لا كالأشياء»، أي موجود لا كالموجودات.

وأما لفظ «أغير من الله»، فهكذا رواه أبو عبد الله قال: «كتاب النكاح»: باب الغيرة قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا همّام عن يحي عن أبي سلمة أنّ عروة بن الزبير حدّثه عن أمه أسماء أنها سمعت النبي ﷺ يقول: لا شيء أغير من الله. وعن يحي أنّ أبا سلمة حدّثه أنّ أبا هريرة حدّثه أنه سمع عن النبي ﷺ مثله. فدلّت رواية أسماء وأبي هريرة قوله: لا شيء أغير من الله، على أنّ «الشخص» وهم وتصحيف».

ثم قال: «فمن لم يمعن الاستماع لم يأمن الوهم، وليس كلّ الرواة يراعون لفظ الحديث حتى لا يتعدّوه، بل كثير منهم يحدّث على المعنى وليس كلّهم بفقيه. وفي كلام آحاد الرواة منهم جفاء وتعجرف».

ثم قال (ص٢٣٤٦): «وحريّ أن يكون لفظ «الشخص» إنّما جرى من الراوي على هذا السبيل إن لم يكن من قبل التّصحيف، ثم إن عبيد الله بن عمرو قد تفرّد به عن عبد الملك، ولم يتابع عليه فاعتوره الفساد من هذه الوجوه، فدلّ ذلك على صحة ما قلناه». ونقله عنه محمد بن يوسف الكرماني في كتابه «شرح الكرماني على صحيح البخاري» (٢/ ٢٩٩)، ونقله عنه أيضًا سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن في كتابه «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٣٣/ ٢٧٨)، ونقله عنه شهاب الدين أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني في كتابه «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٣٨٣/١٥)، ونقله عنه أيضًا التّاودي في «حاشية التّاودي ابن سودة على صحيح البخاري» (٦/ ٥٢٢).

وقال ابن بطّال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك في كتابه «شرح صحيح البخاري» (٤٤٢/١٠): اختلفت ألفاظ هذا الحديث فروى ابن مسعود عن النبي ﷺ: لا أحد أغير من الله ـ ذكره في آخر كتاب النكاح ـ وفي رواية عبيد الله، ورواية ابن مسعود مبينة أن لفظ «شخص» موضوع موضع «أحد» وقال: «وأجمعت الأمة على أن الله لا يجوز أن يوصف بأنه شخص؛ لأن التوقيف لم يرد به». ونقله عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٤١٢/١٣)، وكذا قال سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن في كتابه «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٣/ ٢٧٦، ٢٧٧).

ثم قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري (ص٤٤٣): وقد تقدم فى كتاب النكاح في باب الغيرة: «معنى الغيرة من الله أنها معنى الزجر عن الفواحش والتحريم لها» وقال: باب قوله: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُ ١٩﴾ [سورة الأنعام]، فسمّى اللّه نفسه شيئًا، وقال: قال عبد العزيز صاحب كتاب الحيدة: «إنما سمّى الله نفسه شيئًا إثباتًا للوجود ونفيًا للعدم». وكذا قال محمد بن يوسف الكرماني في كتابه «شرح الكرماني على صحيح البخاري» (١٢/ ٣٠٠).

وقال الحافظ ابن الجوزي في كتابه «دفع شبه التشبيه» (ص٢٤٧): «لفظة «الشخص» يرويها بعض الرواة ويروي بعضهم «لا شيء أغير من الله»، والرواة يروون بما يظنونه المعنى، وكذلك «شخص» من تغيير الرواة»، وقال: «و«الشخص» لا يكون إلا جسمًا مؤلفًا». أورده المحدّث محمد زاهد الكوثري في كتابه «العقيدة وعلم الكلام».

وفي كتاب «التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح» للزركشي يقول الزركشي(٣٦٢/٨): «قال الإسماعيلي: ليس فيما أورد إطلاق هذا اللفظ ـ الشخص ـ على الله تعالى».

وقال سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن في كتابه «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٢٧٧/٣٣): وقال الداودي: «قوله: (لا شخص أغير من الله) لم يأتِ متّصلًا ولم تتلقّ الأمة مثل هذه الأحاديث بالقبول»، ثم قال: «ولم يسم نفسه شخصًا، إنما أتى مرسلًا».

وقال في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (ص٢٧٩): «وقال ابن فورك: لفظ «الشخص» غير ثابت من طريق السند، وإنما منعنا من إطلاق لفظ الشخص لأمور:

أحدها: أن اللفظ لم يثبت من طريق السمع.

وثانيها: إجماع الأمة على المنع منه.

ثالثها: أن معناه أن تكون أجسامًا مؤلفة على نوع من التركيب». ونقله عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٤١٣/١٣)، ونقله عنه أيضًا شهاب الدين أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني في كتابه «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٣٨٣/١٥).

وقال بدر الدين العيني الحنفي في كتابه «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٦٣/٢٥، ١٦٤): «ووقع في بعض النسخ باب قول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا أحد أغير من الله».

وقال: «قلت اختلاف ألفاظ الحديث هو أن في رواية ابن مسعود «ما من أحد أغير من الله» وفي رواية عائشة «ما أحد أغير من الله» وفي رواية أسماء «لا شىء أغير من الله» وفي رواية أبي هريرة «إن الله تعالى يغار» كل ذلك مضى في كتاب النكاح في باب الغيرة» ثم قال: «وقال الداودي في قوله «لا شخص أغير من الله»: لم يأتِ متصلًا ولم تتلقّ الأمة مثل هذه الأحاديث بالقبول».

وقال: «وقال الخطابي: إطلاق الشخص في صفات الله غير جائز لأن الشخص إنما يكون جسمًا مؤلفًا، وخليق أن لا تكون هذه اللفظة صحيحة وأن تكون تصحيفًا من الراوي، وكثير من الرواة يحدث بالمعنى، وليس كلهم فقهاء، وفي كلام آحاد الرواة جفاء وتعجرف» وقال: «وبقي أن يكون لفظ الشخص جرى على هذا السبيل فاعتوره الفساد من وجوه؛ **أحدها**: أن اللفظ لا يثبت إلا من طريق السمع.

والثاني: إجماع الأمة على المنع منه.

والثالث: أن معناه أن يكون جسمًا مؤلفًا فلا يطلق على الله».

وقال: «والخطابي لم ينكر هذه اللفظة وحده وكذلك أنكرها الداودي وابن فورك والقرطبي، قال: أصل وضع «الشخص» في اللغة لجرم الإنسان وجسمه واستعمل في كل شيء ظاهر يقال شخص الشيء إذا ظهر وهذا المعنى محال على الله». فكلامه يدل على أنه لا يرضى بإطلاق هذه اللفظة على الله.

وقال أبو يحي زكريا بن محمد الأنصاري في كتابه «تحفة الباري بشرح صحيح البخاري» (٥٣٩/٦): «في نسخة «لا أحد أغير من الله» قيل: إطلاق الشخص على الله ممتنع لأنه إنما يكون جسمًا مؤلفًا».

وقد اتفق كل العلماء على أن الغيرة المضافة إلى الله على معنى أنه يكره لعبده المعاصي، لا على معنى التأثر النفساني والتحسر، فالله ليس كمثله شيء وهو منزه عن الإحساس والشعور واللذة والألم والانبساط والتغير والتطور والتبدل كما قال ربنا سبحانه ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۝٧٤﴾، وقال زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما: «لا إله إلا أنت سبحانك لا يحويك مكان لا تحسّ ولا تمسّ ولا تجسّ». رواه الحافظ الزبيدي في الإتحاف.

والغضب، والرحمة، والاستواء على العرش، والكون في السماء، وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء **يحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره**، وإنما اختلفوا هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤوله بشيء آخر، وهو مذهب أكثر أهل السلف، وفيه تأويل إجمالي أو مع تأويله بشيء آخر، وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيلي، ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح، معاذ الله أن يظن بهم ذلك، وإنما دعت الضرورة في أزمنتهم لذلك، لكثرة المجسمة والجهمية وغيرهما من فرق الضلال، واستيلائهم على عقول العامة، فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم، ومن ثَمَّ اعتذر كثير منهم وقالوا: لو كنَّا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين في زمانهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك، وقد علمتَ أن مالكًا والأوزاعي، وهما من كبار السلف أوَّلا الحديثَ تأويلًا تفصيليًا، وكذلك سفيان الثوري أوَّل الاستواء على العرش بقصد أمره[١]،

---

(١) قال الإمام الهرريّ رضي الله عنه: «ليس معناه إثبات قصد حادث إنّما معناه إثبات الإرادة الأزليّة، ولم يرد في نص قرءاني أو حديثي صحيح إطلاق لفظ قصد على الله، وإن استعمله الإمامان الماتريديّ والأشعريّ وعدد من المفسرين فمرادهم بذلك الإرادة وهم يعتقدون أنَّ إرادة الله أزليّة لا تحدث شيئًا بعد شيء ولا تتغيّر».
وسمعت من شيخنا الحافظ المجتهد الإمام الهرريّ رضي الله عنه وأرضاه وعن كل الأئمّة والعلماء الصّلحاء أنَّ هذا اللّفظ لا يستعمل ولا يطلق على الله لا سيّما في

ونظيره ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة البقرة]، أي: قصد إليها، ومنهم الإمام جعفر الصادق، بل قال جمع منهم ومن الخلف: إنَّ معتقد الجهة كافر، كما صرَّح به العراقي، وقال: إنَّه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني. وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [سورة الحديد]، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [سورة المجادلة] الآية و﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة]، و﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ

أيّامنا لئلّا يتوهّم الجاهل منه أنّ الله قصد بعد أن لم يكن قاصدًا وهذا فيه نسبة الحدوث والتغيّر إلى الله، فلذلك كان شيخنا رحمه الله لا يوافق على هذه اللّفظة ولا سيّما وقد نقل الإمام الأستاذ أبو بكر محمّد بن الحسن بن فورك في كتابه «مجرّد مقالات الشيخ أبي الحسّن الأشعريّ» (ص٤٥): «وكذلك كان يمنع ـ يعني الأشعريّ ـ وصفه بأنّه عازم أو قاصد وإن كان معنى ذلك معنى الإرادة وقد وصفه بها على الحقيقة لأجل فقد التّوقيف فيه».

قال أبو بكر بن العربي المالكيّ الأشعريّ: «ولم يرد به نصّ، لكن علماؤنا قالوا في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [سورة فصلت] أنَّ معناه قصد، فالقصد على هذا عبارة عن تعلّق الإرادة بالوجود، فيكون القصد مع الإرادة كعلم الشّهادة مع علم الغيب».

فالموافق لأصول الأشعري الرّجوع إلى التّوقيف فيما يجوز إطلاقه على الله تعالى أي الاقتصار على ما ثبت في الشّرع إطلاقه على الله تعالى وعدم تجاوزه إلى غيره.

﴿مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾[سورة ق]، **وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن، والحجر الأسود يمين الله في الأرض**»[1].

وقال القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي في: شرح صحيح مسلم المسمَّى «إكمال المُعْلِمِ بفوائد مسلم»[2]: «**لا خلاف بين المسلمين قاطبة محدثيهم وفقيههم ومتكلمهم ومقلدهم ونظارهم أن الظواهر الواردة بذكر الله فى السماء** كقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ١٦﴾ [سورة تبارك] **أنها ليست على ظاهرها، وأنها متأولة عند جميعهم**».

(١) وقد ضعفه بعض الحفاظ وهو مصروف عن ظاهره.

(٢) **إكمال المعلم**، القاضي عياض، (٢/٤٦٥).

البَابُ السَّادِس:

الرُّدُودُ عَلَى شُبُهَات

ويشتمل على عدة مباحث:

- **المبحث الأول**: بيان معنى بعض الآيات التي يستدلون بها لإثبات التجسيم
- **المبحث الثاني**: كشف حال حديث الجارية
- **المبحث الثالث**: إبطال شبهتهم الأخرى لإثبات فوقية الرب
- **المبحث الرابع**: تضعيف حديث العماء
- **المبحث الخامس**: ردُّ ما زاده ابن بطَّة في حديث: «كلَّم الله موسى»
- **المبحث السادس**: الأصول في رد التشبيه عن حديث النزول
- **المبحث السابع**: كشف التخليط في حديث الأطيط
- **المبحث الثامن**: خلاصة مهمة في إبطال تجسيمهم
- **المبحث التاسع**: خلاصة مهمة في نقض شبههم الواهية
- **المبحث العاشر**: نقض استدلال ابن عبد البر بعقيدة فرعون

- **المبحث الحادي عشر**: ردُّ قول ابن بطة بأنَّ الله عزَّ وجلَّ يقرأ القرءان
- **المبحث الثاني عشر**: ردُّ قول ابن بطة بأن القرءان بإطلاقيه غير مخلوق
- **المبحث الثالث عشر**: دحض ما ادعاه ابن بطة من أن الله يتكلم بكلام يشبه الصواعق
- **المبحث الرابع عشر**: شبهة ابن بطة في أن الله يكلم نفسه وإبطالها

المبحث الأول:

بيان معنى بعض الآيات التي يستدلون بها لإثبات التجسيم

١. قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]:

قال فخر الدين الرازي[١] في تفسيره رادًا على من قال الاستواء لله هو استواء حقيقي ولا نؤول الاستواء على القهر والغلبة قال:

«**المسألة الثانية**: المشبهة تعلقت بهذه الآية في أن معبودهم جالس على العرش وهذا باطل بالعقل والنقل من وجوه:

أحدها: أنَّه سبحانه وتعالى كان ولا عرش ولا مكان، ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان بل كان غنيًا عنه فهو بالصفة التي لم يزل عليها إلا أن يزعم زاعم ـ هذا كفر صريح ـ أنه لم يزل مع الله عرش.

وثانيها: أنَّ الجالس على العرش لا بد وأن يكون الجزء الحاصل منه في يمين العرش غير الحاصل في يسار العرش فيكون في نفسه مؤلفًا مركبًا وكل ما كان كذلك احتاج إلى المؤلِف والمركِب وذلك محال.

وثالثها: أن الجالس على العرش إمَّا أن يكون متمكنًا من الانتقال والحركة أو لا يمكنه ذلك

---

(١) **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، (٢٢/٨).

- فإن كان الأول فقد صار محل الحركة والسكون فيكون محدثًا لا محالة.

- وإن كان الثاني كان كالمربوط بل كان كالزَّمِن بل أسوأ منه فإنَّ الزمن إذا شاء الحركة في رأسه وحدقته أمكنه ذلك وهو غير ممكن على معبودهم.

ورابعها: هو أنَّ معبودهم إما أن يحصل في كل مكان أو في مكان دون مكان فإن حصل في كل مكان لزمهم أن يحصل في مكان النجاسات والقاذورات وذلك لا يقوله عاقل، وإن حصل في مكان دون مكان افتقر إلى مخصص يخصصه بذلك المكان فيكون محتاجًا وهو على الله محال.

وخامسها: أنَّ قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾[سورة الشورى] يتناول نفي المساواة من جميع الوجوه بدليل صحة الاستثناء فإنَّه يحسن –أي هذا على زعم الذين يصفونه بهذه الصفات فعلى زعمهم يكون كذلك- أن يقال ليس كمثله شيء إلا في الجلوس وإلا في المقدار وإلا في اللون وصحة الاستثناء تقتضي دخول جميع هذه الأمور تحته، فلو كان جالسًا لحصل من يماثله في الجلوس فحينئذٍ يبطل معنى الآية.

وسادسها: قوله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ [سورة الحاقة] فإذا كانوا حاملين للعرش والعرش مكان معبودهم فيلزم أن تكون الملائكة حاملين لخالقهم ومعبودهم وذلك غير معقول لأنَّ الخالق هو الذي يحفظ المخلوق أمَّا المخلوق فلا يحفظ الخالق ولا يحمله.

وسابعها: أنَّه لو جاز أن يكون المستقر في المكان إلهًا فكيف يعلم أنَّ الشمس والقمر ليس بإله لأنَّ طريقنا إلى نفي إلهية الشمس والقمر أنهما موصوفان بالحركة والسكون وما كان كذلك كان محدثًا ولم يكن إلهًا فإذا أبطلتم هذا الطريق انسد عليكم باب القدح في إلهية الشمس والقمر.

وثامنها: أنَّ العالم كرة[1] فالجهة التي هي فوق بالنسبة إلينا هي تحت بالنسبة إلى ساكني ذلك الجانب الآخر من الأرض وبالعكس، فلو كان المعبود مختصًا بجهة فتلك الجهة وإن كانت فوقًا لبعض الناس لكنها تحت لبعض آخرين، وباتفاق العقلاء لا يجوز أن يقال المعبود تحت جميع الأشياء.

وتاسعها: أجمعت الأمة على أن قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [سورة الإخلاص] من المحكمات لا من المتشابهات فلو كان مختصًا بالمكان لكان الجانب الذي منه يلي ما على يمينه غير الجانب الذي منه يلي ما على يساره فيكون مركبًا منقسمًا فلا يكون أحدًا في الحقيقة فيَبطُل قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [سورة الإخلاص].

وعاشرها: أنَّ الخليل عليه السلام قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَافِلِينَ ٧٦﴾ [سورة الأنعام] ولو كان المعبود جسمًا لكان آفلًا أبدًا غائبًا أبدًا فكان يندرج تحت قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَافِلِينَ ٧٦﴾ فثبت بهذه الدلائل أنَّ الاستقرار على الله تعالى محال».

(١) قوله كرة أي كالكرة وهذا للتشبيه ولا يعني أنَّها بشكل الكرة تمامًا.

ثم قال في موضع آخر[1]:«المراد من الاستواء الاستيلاء قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ولا دم مهراق

فإن قيل هذا التأويل غير جائز لوجوه.

أحدها: أن الاستيلاء معناه حصول الغلبة بعد العجز وذلك في حق الله تعالى محال.

وثانيها: أنَّه إنَّما يقال فلان استولى على كذا إذا كان له منازع ينازعه، وكان المستولي عليه موجودًا قبل ذلك، وهذا في حق الله تعالى محال، لأنَّ العرش إنَّما حدث بتخليقه وتكوينه.

وثالثها: الاستيلاء حاصل بالنسبة إلى كل المخلوقات فلا يبقى لتخصيص العرش بالذكر فائدة.

والجواب: أنا إذا فسرنا الاستيلاء **بالاقتدار** زالت هذه المطاعن بالكلية».

ونقول في نقض هذه الشبه التي يلقونها: وأما دعوى المجسمة تفسير استوى باستولى وقهر يقتضي سبق المغالبة فهو مردود بقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأنعام]، فلم توهم هذه الآية سبق المغالبة وحيث لا إيهام هنا فلا إيهام هناك.

وأما اعتراضهم على ذلك بقولهم: «إن الله قاهر لكل شىء فلا فائدة من تخصيص العرش بالذكر».

---

(١) **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، (٢٢/٩).

فيرد عليهم بأنَّ الله قاهر للعرش وهو أعظم المخلوقات فهو قاهر لما دون العرش بالأولى وقد قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾ فلم يقتض ذلك أنَّ الله ليس ربًا لما سوى العرش بل الله رب العالمين كما في قوله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [سورة الفاتحة].

قال تقي الدين السبكي[1] ما نصه: «فالمقْدم على هذا التأويل ـ أي على تفسير الاستواء بالاستيلاء ـ لم يرتكب محذورًا ولا وصف الله بما لا يجوز عليه».

وبذلك فسّرها أبو نصر القشيري[2]فقال: «ولو أشعر ما قلنا توهم غلبته لأشعر قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ [سورة الأنعام] بذلك أيضًا حتى يقال كان مقهورًا قبل خلق العباد، هيهات إذ لم يكن للعباد وجود قبل خلقه إياهم، بل لو كان الأمر على ما توهمه الجهلة من أنَّه استواء بالذات لأشعر ذلك بالتغيير واعوجاج سابق على وقت الاستواء، فإنَّ البارئ تعالى كان موجودًا قبل العرش، ومن أنصف علم أنَّ قول من يقول العرش بالرب استوى[3] أمثل من قول من يقول: الرب

(١) **إتحاف السادة المتقين**، مرتضى الزبيدي، (١٠٧/٢).

(٢) **إتحاف السادة المتقين**، مرتضى الزبيدي، (١٠٨،١٠٩/٢).

(٣) العرش بالرب استوى معناه العرش بإيجاد الله تعالى تمَّ أما استوى الله بالعرش لا يصح لأنه يُشعر بالنقص والنقص على الله مستحيل.

بالعرش استوى ـ فالرب إذًا موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة منزّه عن الكون في المكان وعن المحاذاة».

ثم قال: «وقد نبغت ـ ظهرت ـ نابغة من الرعاع ـ السفهاء ـ لولا استنزالهم للعوام بما يقرب من أفهامهم ويتصور في أوهامهم لأجللت هذا الكتاب عن تلطيخه بذكرهم، يقولون نحن نأخذ بالظاهر ونجري الآيات الموهمة تشبيهًا والأخبار المقتضية حدًّا وعضوًا على الظاهر ولا يجوز أن نطرق التأويل إلى شيء من ذلك، ويتمسكون بقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۝٧﴾ [سورة آل عمران] وهؤلاء والذي أرواحنا بيده أضرّ على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، لأنَّ ضلالات الكفار ظاهرة يتجنَّبها المسلمون وهؤلاء أتوا الدين والعوام من طريق يغترّ به المستضعفون، فأوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع وأحلّوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالأعضاء والجوارح والركوب والنزول والاتكاء والاستلقاء والاستواء بالذات والتردد في الجهات، فمن أصغى إلى ظاهرهم يبادر بوهمه إلى تخيّل المحسوسات فاعتقد الفضائح فسال به السيل وهو لا يدري».

قال أبو منصور الماتريدي[1][2] في تفسيره المشهور المسمى «تأويلات أهل السنة» ومثله في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] مع ما له وجهان:

أَحدهما: أَن يكون معنى العرش الملك والاستواءُ التام الذي لا يوصف بنقصان في ملكه، أَو الاستيلاءُ عليه، ولا سلطان لغيره، ولا تدبير لأَحد فيه على الحقيقية.

والثاني: أَن يكون العرش أَعلى الخلق وأَرفعه -أي مكانًا ومسافة-.

وكذلك لا تقدره الأوهام؛ فيكون موصوفًا بعلوه على التعالي عن الأمكنة، وأَنه على ما كان قبل كون الأَمكنة، وهو فوق كل شيء؛ أي بالغلبة، والقدرة، والجلال عن الأَمكنة، ولا قوة إلا بالله.

وأَصله ما ذكرنا: ألا نُقَدرَ فعلَه بفعل الخلق، ولا وصفه بوصف الخلق؛ لأنه أخبر أنه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ۝١١﴾ [سورة الشورى].

وقال في موضع آخر[3]: «ثمَّ لو كان العرش الذي قال عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] هو ما فهمه أهل التشبيّه من مكان، لم يكن ليفهم من الاستواء عليه الاستقرار، وأن يكون لله مكان يوصف

(١) **تأويلات أهل السنة**، أبو منصور الماتريدي، (٤١١/١).

(٢) هذا كلام إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي الذي هو مرجع ومنه تتشعب الفرقة الماتريدية وهي من السواد الأعظم.

(٣) **تأويلات أهل السنة**، أبو منصور الماتريدي، (٤٤٤/٤، ٤٥٤).

بالكون فيه وعليه؛ لأنَّه ليس في كون أحد في مكان وإن جل قدره، وعظم خطره رفعةً ولا نباهةً فيما يتعارف من أمر الملوك والأجلة، بل كل منسوبًا إلى مكان من جهة التمكين فيه والقرار منسوب إلى استعانة وحاجة منه إليه جلَّ اللَّه عن ذلك وعلى أنه إمَّا أن يكون مثله أو أعظم منه لكان له عديلًا بالعظمة أو دونه، ومن السخف الجلوس على مكان لا يطمئنّ به أو يقصر عنه، إذ قد يجوز أن يزاد فيه؛ فيكون أعظم منه، جلَّ اللَّه عن هذا الوصف وتعالى، بل كان ولا مكان فهو على ما كان يتعالى عن الاستحالة – يعني هو منزه عن الأشياء المستحيلة عليه- والتغير إذ هو أثر الحدث، وأمارة الكون، بعد أن لم يكن، ولا قوة إلا باللَّه، ثم الأصل أنّه لو كان فهو بإضافة اللَّه إلى العلو عليه تعظيمًا له، وعلى ذلك في كل شيء يضاف إلى اللَّه أو اللَّه إليه من جهة الخضوع فهو على تعظيم ذلك، لا على أن يفهم منه ما يفهم مثله من الخلائق؛ نحو القول بأنَّ المساجد لله، وناقة اللَّه وزينة اللَّه، وحدود اللَّه، ونحو ذلك.

فما بال المشبهة فهمت من إضافة الاستواء على العرش المعنى المكروه على احتمال الاستواء معاني سوى الذي ذكر، أو أن يقال: استوى: ثم واستوى: قصد[1]، واستوى: علا، واستوى: استقر ـ هذا في حق المخلوق

(١) قال الإمام الهرريّ رضي الله عنه: «ليس معناه إثبات قصد حادث إنّما معناه إثبات الإرادة الأزليّة، ولم يرد في نص قرءاني أو حديثي صحيح إطلاق لفظ قصد على الله، وإن استعمله الإمامان الماتريديّ والأشعريّ وعدد من المفسرين فمرادهم بذلك الإرادة وهم يعتقدون أنَّ إرادة الله أزليّة لا تحدث شيئًا بعد شيء ولا تتغيّر».

إنما هو يحكي المعنى اللغوي عن معنى استوى ـ، واستوى: استولى؛ فإذا كان معناه يتوجَّه إلى هذه الوجوه، لم يحتمل أن يكون أحد يقدر من ذلك ـ أن يعطي معنى الجلوس ـ؛ إذ هو ما يتوجه إليه، ويعتمد عليه لولا الجهل به.

ثمَّ الأصل أن الإضافات إلى الأشياء يفترق المقصود بها، وإن كان في ظاهر المخرج واحدًا باختلاف مَنْ إليه القصد بالإضافة، والإضافة جميعًا. يقال: جاء الحق، وجاء فلان، وبيت فلان، وبيت اللَّه، وقيل في الملائكة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۝٣١﴾ [سورة المدثر]، وقال في الفسقة: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٢٧﴾ [سورة يونس]، ونحو ذلك لا على الجمع في المعنى، فالاستواء الذي يتوجّه إلى وجوه أحق بذلك، واللَّه الموفق».

وقال في موضع آخر[١]: «وقوله عزَّ وجلَّ ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] قال الشيخ رحمه اللَّه: القول بالكون على العرش - وهو موضع - بمعنى كونه بذاته أو في كل الأمكنة لا يعدو عن إحاطة ذلك به أو الاستواء أو مجاوزته عنه أو إحاطته:

فإن كان الأول: فهو إذن محدود محاط به منقوص عن الخلق؛ إذ هو دونه، ولو جاز الوصف له بذاته بما يحيط به الأمكنة لجاز أن يحيط به الأوقات؛ فيصير متناهيًا بذاته مقصرًا عن خلقه.

وإن كان على الوجه الثاني: فلو زيد في الخلق، لانتقص أيضًا، وفيه ما في الأول.

---

(١) **تأويلات أهل السنة**، أبو منصور الماتريدي، (٧/٢٦٧).

ولو كان على الوجه الثالث: فهو الأمر المكروه الدال على الحاجة وعلى التقصير من أن ينشئ ما لا يفضل عنه مما يذم ذا من فعل الملوك أن يفضل عنهم من المقاعد شيئًا.

وبعد: فإنَّ في ذلك تجزئة بما كان بعضه في ذي أبعاض، وبعضه يفضل عن ذلك، وذلك كله وصف الخلائق، والله يتعالى عن ذلك.

وبعد: فإنه ليس في الارتفاع إلى ما يعلو من المكان للجلوس شرف ولا علو ولا وصف بالعظمة والكبرياء كمن يعلو السطوح أو الجبال أنه لا يستحق الرفعة على من دونه عند استواء الجوهر؛ فلا يجوز صرف تأويل الآية إليه؛ حيث فيها ذكر العظمة والجلال؛ إذ ذكر في قوله: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [سورة طه] وصفه بالعظمة والسلطان، والقدرة، فكذلك على تعظيم العرش، أي شيء كان من نور أو جوهر؛ لا يبلغه علم الخلق، وإضافة الاستواء إليه لوجهين:

أحدهما: على تعظيمه، بما ذكر على إثره، ذكر سلطانه في ربوبيته، وقدرته وخلقه ما ذكر.

والثاني: على تخصيصه بالذكر بما هو أعظم الخلق وأجله؛ على المعروف من إضافة الأمور العظيمة إلى أعظم الأشياء، كما يقال: «تمَّ لفلان ملك بلد كذا، واستوى على موضع كذا» لا على خصوص ذلك في الحق، ولكن معلوم أنَّ من له ملك ذلك فما دونه أحق به؛ وعلى ذلك قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ۝٣﴾ الآية [سورة المائدة] بما صارت له أم القرى

وأيس الذين كفروا من دينهم، وكذا ما ذكر من إرسال الرسل إلى الفراعنة، وإلى أم القرى لا بتخصيص ذلك، ولكن يذكر عظم الأمر، فمثله أمر العرش، وهو كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ١٢٣﴾ [سورة الأنعام] وقوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ١٦﴾ [سورة الإسراء] على لحوق غيرٍ بهم، ويحتمل أن يكون على المنع بوصف المكان؛ إذ هو أعلى الأمكنة عند الخلق ولا تقدر العقول شيئًا، فأشار إليه ليعلم علوه عن الأمكنة وتعاليه عن الحاجة، وعلى ذلك قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ٧﴾ الآية [سورة المجادلة]، والنجوى ليس من نوع ما يضاف إلى المكان، ولكن يضاف إلى الإسرار فأخبر بعلوه عن الأمكنة، وتعاليه عن أن يخفى عليه شيء، ثمَّ بقدرته وقوته بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ١٦﴾ [سورة ق] أي: بالسلطان والقوة، وبالألوهية في البقاع كلها؛ لأنّها أمكنة العادة بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [سورة الزخرف] ـ أي معبود في السماء ومعبود في الأرض ـ ويملك كل شيء بقوله: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ٦﴾ [سورة طه] وبقوله: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٤٠﴾[سورة المائدة]، ثم بعلوه وجلاله بقوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ٧٦﴾ [سورة يوسف]، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٢٩﴾ [سورة البقرة]، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٢٠﴾[سورة المائدة]، فجمع في هذه الأحرف ما فرق في تلك، ليعلم أنَّه بكل ما سمى به ووصف كان ذلك له بذاته لا

بشيء من خلقه، وكذلك عزه وشرفه ـ عظمته ـ ومجده، جل ثناؤه عن الأشباه ولا إله غيره».

وقال[1]: «ثم لم ينصرف وهم أحد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ [سورة الفجر] إلى إتيان مكان، فما بال بعض الناس انصرف وهمهم في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [سورة طه] على جعل العرش مكانًا له».

وقال كذلك[2]: «والأصل عندنا في ذلك: أن اللَّه عزَّ وجلَّ قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ١١﴾[سورة الشورى] فنفى عن نفسه شبه خلقه، وقد بينَّا أنَّه في فعله وصفته متعال عن الأشباه؛ فيجب القول بـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [سورة طه] على ما جاء به التنزيل، وينفى عنه شبه الخلق لما أضاف إليه، وإذ لزم القول في اللَّه بالتعالي عن الأشباه ذاتًا وفعلًا، لم يجز أن يفهم من الإضافة إليه المفهوم من غيره في الوجود، واللَّه الموفق».

قال النسفي[3] رحمه الله تعالى في قوله: « ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ٧﴾ [سورة آل عمران] القرآن ﴿مِنۡهُ﴾ من الكتاب ﴿ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها ﴿وَأُخَرُ﴾

---

(١) **تأويلات أهل السنة**، أبو منصور الماتريدي، (١٠/٥١٩).

(٢) **تأويلات أهل السنة**، أبو منصور الماتريدي، (٧/٢٦٩).

(٣) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، النسفي، (١/٢٣٧).

وآيات أخر ﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ مشتبهات محتملات مثال ذلك: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء ولا يجوز الأول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ۝١١﴾ [سورة الشورى]».

وقال نظام الدين النيسابوري[1] في تفسيره لآية آل عمران عن حمل المتشابه: «والتحقيق أنه عام لكل مبطل متشبث بأهداب المتشابهات، لأن اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عن عموم اللفظ، ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه. ومن جملته ما وعد الله به الرسول من النصرة والكفار من النقمة فكانوا يقولون ائتنا بعذاب الله، ومتى الساعة، ولو ما تأتينا بالملائكة، فموهوا الأمر على الضعفة.

قال أهل السنة: ويدخل في هذا الباب استدلال المشبهة بقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] فإنَّه لما ثبت بصريح العقل امتناع كون الإله في مكان وإلا لزم انقسامه، وكل منقسم مركب، وكل مركب ممكن. فمن تمسك به كان متمسكًا بالمتشابهات».

٢. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍ ۝٤﴾ [سورة السجدة]:

---

(١) **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، نظام الدين النيسابوري، (١٠٧/٢).

قال النسفي[1]: «﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ﴾استولى ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾أضاف الاستيلاء إلى العرش وإن كان سبحانه وتعالى مستوليًا على جميع المخلوقات لأنَّ العرش أعظمها وأعلاها وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما تقوله المشبهة باطل لأنَّه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان لأنَّ التغير من صفات الأكوان والمنقول عن الصادق والحسن وأبي حنيفة ومالك رضي الله عنه أن الاستواء معلوم والتكييف فيه مجهول والإيمان به واجب والجحود له كفر والسؤال عنه بدعه».

٣. قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٥٤﴾ [سورة الأعراف]:

قال النسفي[2]: «أي استولى فقد يقدس الديَّان عن المكان والمعبود عن الحدود».

٤. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍ ٤﴾ [سورة السجدة]:

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (١/٥٧٣).

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٢/٦).

قال النسفي[1]: «قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان».

٥. قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ٤٢﴾ [سورة الإسراء]:

قال الرازي في تفسيره[2]: «في تفسيره وجهان:

الوجه الأول: أنَّ المراد من قوله: ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ٤٢﴾ هو أنَّا لو فرضنا وجود آلهة مع الله تعالى لغلب بعضهم بعضًا، وحاصله يرجع إلى دليل التمانع.

الوجه الثاني: أنَّ الكفار كانوا يقولون ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ٣﴾[سورة الزمر]، فقال الله لو كانت هذه الأصنام كما تقولون من أنها تقربكم إلى الله زلفى لطلبت لأنفسها أيضًا قربة إلى الله تعالى وسبيلًا إليه ولطلبت لأنفسها المراتب العالية، والدرجات الشريفة من الأحوال الرفيعة، فلما لم تقدر أن تتخذ لأنفسها سبيلًا إلى الله فكيف يعقل أن تقربكم إلى الله».

---

(١) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، النسفي، (١٤١/٢).

(٢) **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، (٣٤٦/٢٠).

ولم يقل هو ولا غيره من المفسرين المعتبرين أنَّ الله على العرش وأنَّ في هذه الآية دليل على أنَّ الله على العرش كما فعل ابن عبد البر لما ساق آيات ليتخذها حجة على أنَّ الله في السماء على العرش.

٦. قوله تعالى: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ١٠ ﴾ [سورة فاطر]:

هذا من المتشابه الّذي يعلم معناه الرّاسخون، فالكلم الطّيّب هو كلا إله إلّا الله والعمل الصّالح يشمل كلّ عمل صالح يتقرّب به إلى الله كنحو الصّلاة والصّدقة وصلة الرّحم، فالمعنى أنّ كلّ ذلك يصعد إلى الله أي يتقبّله، هذا ليس فيه أنّ الله له حيّز يتحيّز فيه ويسكنه، فالسّماء محلّ كرامة الله أي المكان الّذي هو مشرّف عند الله لأنّها مسكن الملائكة، هذا التّفسير موافق للآية المحكمة: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١ ﴾ [سورة الشورى][1].

٧. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ ١٤٣﴾ [سورة الأعراف]:

أي أرى نفسَه الجبلَ بأن خَلقَ في الجبَل إدْراكًا ورؤيةً فرأى اللهَ تَعالى الذي ليس كمثله شيء[2].

---

(١) **الشرح القويم**، عبدالله الهرري، (ص٢٤٣).

(٢) من كلام شيخنا الهرري رحمه الله في بعض مجالسه.

٨. قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [سورة الملك]:

«أي الملائكة»[١]. وقال الرازي في تفسيره[٢]: «اعلم أن المشبهة احتجوا على إثبات المكان لله تعالى بقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، والجواب عنه أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين، لأنَّ كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطًا به من جميع الجوانب، فيكون أصغر من السماء، والسماء أصغر من العرش بكثير، فيلزم أن يكون الله تعالى شيئًا حقيرًا بالنسبة إلى العرش، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال، ولأنه تعالى قال: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِ ١٢﴾ [سورة الأنعام] فلو كان الله في السماء لوجب أن يكون مالكًا لنفسه وهذا محال، فعلمنا أن هذه الآية يجب صرفها عن ظاهرها إلى التأويل».

٩. قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [سورة الأعلى]:

في البحر المحيط[٣] لأبي حيان الأندلسي: «سبح: نزه عن النقائص، اسم ربك: الظاهر أن التنزيه يقع على الاسم، أي نزهه عن أن يسمى به

---

(١) **الشامل في أصول الدين**، الجويني، (ص٣١٩).

(٢) **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، (٣٠/٥٩٢).

(٣) **البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، (١٠/٤٥٥).

صنم أو وثن فيقال له رب أو إله، وإذا كان قد أمر بتنزيهه اللفظ أن يطلق على غيره فهو أبلغ، وتنزيه الذات أحرى»، قال الرازي: «يفسر العلو ـ هنا ـ بالقهر والاقتدار[1]»، ولم يفسرها أحد من أصحاب العقول السوية بالعلو الحقيقي كما فعلتم.

١٠. قوله تعالى: ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [سورة البقرة]:

قال النسفي[2]: «﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٢٥٥﴾ في ملكه وسلطانه ﴿ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ في عزه وجلاله أو العلي المتعالي عن الصفات التي لا تليق به العظيم المتصف بالصفات التي تليق به فهما جامعان لكمال التوحيد».

١١. قوله تعالى: ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾ [سورة الرعد]:

قال البيضاوي[3]: «الْكَبِيرُ العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء. الْمُتَعَالِ المستعلي على كل شيء بقدرته، أو الذي كبر عن نعت[4] المخلوقين وتعالى عنه.

---

(١) **التفسير الكبير**، الرازي، (١٢٣/٣١).

(٢) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، النسفي، (٢١٠/١).

(٣) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين البيضاوي، (١٨٢/٣).

(٤) أي تعالى عن صفات المخلوقين ومن صفات المخلوقين التغير والتعب والجسمية والتحيز أما الله تعالى لا يشبه المخلوقين بوجه من الوجوه.

١٢. قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ١٥﴾ [سورة غافر]:

قال المفسر شمس الدين القرطبي[١] في كتابه المشهور: «﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ١٥﴾ أي خالقه ومالكه لا أنه محتاج إليه»، وقال الرازي[٢] في تفسيره: «الصفة الثانية: قوله: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ١٥﴾ ومعناه أنه مالك العرش ومدبره وخالقه، واحتج بعض الأغمار من المشبهة بقوله ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ١٥﴾ وحملوه على أنَّ المراد بالدرجات السموات، وبقوله ذو العرش أنه موجود في العرش فوق سبع سموات، وقد أعظموا الفرية على الله تعالى، فإنا بينَّا بالدلائل القاهرة العقلية أنَّ كونه تعالى جسمًا وفي جهة محال، وأيضًا فظاهر اللفظ لا يدل على ما قالوه، لأنَّ قوله ذو العرش لا يفيد إلا إضافته إلى العرش ويكفي فيه إضافته إليه بكونه مالكًا له ومخرجًا له من العدم إلى الوجود، فأي ضرورة تدعونا إلى الذهاب إلى القول الباطل والمذهب الفاسد، والفائدة في تخصيص العرش بالذكر هو أنه أعظم الأجسام، والمقصود بيان كمال إلهيته ونفاذ قدرته، فكل ما كان محل التصرف والتدبير أعظم، كانت دلالته على كمال القدرة أقوى»، ومن هنا يُعلَم من هذه الآية كما قال شيخنا الهرري أنَّ هذه الآية فيها أنَّه سبحانه تعالى أعلم من كل عالم وأقدر من كل قادر ونافذ المشيئة في كل شيء.

---

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، شمس الدين القرطبي، (١٥/٢٩٩).

(٢) **مفاتيح الغيب**، الرازي، (٢٧/٤٩٨).

١٣. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ۚ﴾[سورة الأنعام]:

قال الرازي[١]: «المسألة الثانية: المشبهة استدلوا بهذه الآية على أنه تعالى موجود في الجهة التي هي فوق العالم وهو مردود ويدل عليه وجوه:

الأول: أنَّه لو كان موجودًا فوق العالم لكان إما أن يكون في الصغر بحيث لا يتميز جانب منه من جانب وإمَّا أن يكون ذاهبًا في الأقطار متمددًا في الجهات.

- والأول: يقتضي أن يكون في الصغر والحقارة كالجوهر الفرد فلو جاز ذلك فلم لا يجوز أن يكون إله العالم بعض الذرات المخلوطة بالهباءات الواقعة في كوة البيت وذلك لا يقوله عاقل.
- وإن كان الثاني كان متبعضًا متجزئًا، وذلك على الله محال.

والثاني: أنَّه إمَّا أن يكون غير متناه من كل الجوانب فيلزم كون ذاته مخالطًا للقاذورات وهو باطل أو يكون متناهيًا من كل الجهات وحينئذٍ يصح عليه الزيادة والنقصان. وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بمقداره المعين بتخصيص مخصص، فيكون محدثًا أو يكون متناهيًا من بعض الجوانب دون البعض، فيكون الجانب الموصوف بكونه متناهيًا غير الجانب الموصوف بكونه غير متناه وذلك يوجب القسمة والتجزئة.

والثالث: إمَّا أن يُفسَر المكان بالسطح الحاوي أو بالبعد والخلاء.

---

(١) **مفاتيح الغيب**، الرازي، (٤٩٦/١٢).

- فإن كان الأول: فنقول أجسام العالم متناهية فخارِج العالم لا خلاء ولا ملاء ولا مكان ولا حيث ولا جهة، فيمتنع حصول ذات الله تعالى فيه.

- وإن كان الثاني فنقول الخلاء متساوي الأجزاء في حقيقته وإذا كان كذلك، فلو صح حصول الله في جزء من أجزاء ذلك الخلاء لصح حصوله في سائر الأجزاء، ولو كان كذلك لكان حصوله فيه بتخصيص مخصص، وكل ما كان واقعًا بالفاعل المختار فهو محدث، فحصول ذاته في الجزء محدث، وذاته لا تنفك عن ذلك الحصول وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث، فيلزم كون ذاته محدثة وهو محال.

والرابع: أنَّ البعد والخلاء أمر قابل للقسمة والتجزئة، وكل ما كان كذلك فهو ممكن لذاته ومفتقر إلى الموجد ويكون موجده موجودًا قبله فيكون ذات الله تعالى قد كانت موجودة قبل وجود الخلاء والجهة والحيث والحيز.

- وإذا ثبت هذا: فبعد الحيز والجهة والخلاء وجب أن تبقى ذات الله تعالى كما كانت وإلا فقد وقع التغيير في ذات الله تعالى وذلك محال.
- وإذا ثبت هذا وجب القول بكونه منزهًا عن الأحياز والجهات في جميع الأوقات.

والخامس: أنه ثبت أن العالم كرة[1].

○ وإذا ثبت هذا فالذي يكون فوق رؤوس أهل الري يكون تحت أقدام قوم آخرين.

○ وإذا ثبت هذا، فإما أن يقال: إنَّه تعالى فوق أقوام بأعيانهم. أو يقال: إنَّه تعالى فوق الكل.

- **والأول**: باطل، لأن كونه فوقًا لبعضهم يوجب كونه تحتًا لآخرين، وذلك باطل.

- **والثاني**: يوجب كونه تعالى محيطًا بكرة الفلك فيصير حاصل الأمر إلى أن إله العالم هو فلك محيط بجميع الأفلاك وذلك لا يقوله مسلم.

والسادس: هو أن لفظ الفوقية في هذه الآية مسبوق بلفظ وملحوق بلفظ آخر، أما أنها مسبوقة فلأنها مسبوقة بلفظ القاهر، والقاهر مشعر[2] بكمال القدرة وتمام المكانة. وأما أنها ملحوقة بلفظ فلأنها

---

(١) قوله كرة أي كالكرة وهذا للتشبيه ولا يعني أنَّها بشكل الكرة تمامًا لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾ [سورة النازعات] وقال ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾[سورة الغاشية] وقال شيخنا الإمام الهرري القول بأن الأرض كروية على معنى تشبه الكرة ما فيه ضرر.

(٢) قوله مشعر معناه يوصل إلى استحضار المعنى المراد ولا يعني أنَّ صفة من صفات الله أو أنَّ ذات الله شيء محسوس يشعر به كما يشعر بالهواء البارد أو الحار لأنَّ الله ليس كمثله شيء والله منزه عن الانفعالات والتأثرات والاحساس والشعور فلا يقال نشعر بوجود الله معنا بل يقال نعتقد أنَّ الله عالم بنا ومطلع علينا ولا يقال

ملحوقة بقوله عباده وهذا اللفظ مشعر بالمملوكية والمقدورية، فوجب حمل تلك الفوقية على فوقية القدرة لا على فوقية الجهة».

ثم قال[1]: «أما لو كان المراد منها الفوقية بالجهة فإنَّ ذلك لا يفيد هذا المقصود لأنه لا يلزم من مجرد كونه حاصلًا في جهة فوق أن يكون التعويل عليه في كل الأمور مفيدًا وأن يكون الرجوع إليه في كل المطالب لازمًا. أما إذا حملنا ذلك على فوقية القدرة حسن ترتيب هذه النتيجة عليه فظهر بمجموع ما ذكرنا أن المراد ما ذكرناه، لا ما ذكره أهل التشبيه والله أعلم».

١٤. قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة النحل]:

قال الإمام فخر الدين الرازي[2]: «المسألة الثانية: قالت المشبهة قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴿٥٠﴾﴾ هذا يدل على أن الإله تعالى فوقهم بالذات.

واعلم أنَّا بالغنا في الجواب عن هذه الشبهة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأنعام] والذي نزيده هاهنا أن قوله:

الله يُحِس بوجودنا أو يشعر بنا وإنَّما يقال «هو عالم بنا لا تخفى عليه خافية» قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى].

(١) **مفاتيح الغيب**، الرازي، (١٢/٤٩٧).

(٢) **مفاتيح الغيب**، الرازي، (٢٠/٢١٨).

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ۝٥٠﴾ معناه يخافون ربهم من أن ينزل عليهم العذاب من فوقهم، وإذا كان اللفظ محتملًا لهذا المعنى سقط قولهم، وأيضًا يجب حمل هذه الفوقية على الفوقية بالقدرة والقهر كقوله[1]: ﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ۝١٢٧﴾ [سورة الأعراف] والذي يقوي هذا الوجه أنه تعالى لما قال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ۝٥٠﴾ وجب أن يكون المقتضى لهذا الخوف هو كون ربهم فوقهم لما ثبت في أصول الفقه أنَّ الحكم المترتب على الوصف يشعر بكون الحكم معللًا بذلك الوصف، فإذا ثبت هذا فنقول هذا التعطيل[2] إنَّما يصح لو كان المراد بالفوقية الفوقية بالقهر والقدرة لأنها هي الموجبة للخوف، أما الفوقية بالجهة والمكان فهي لا توجب الخوف بدليل أن حارس البيت فوق المَلِك بالمكان والجهة مع أنه أخسّ عبيده فسقطت هذه الشبهة».

١٥. قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ ۝٥﴾ [سورة السجدة]:

معناه في الدنيا تنزل التدابير لأهل الأرض من السماء ثم يكون الفصل يوم القيامة بين العباد، ينزل الحكم من السماء إلى أهل الأرض

---

(١) يعني قول فرعون معناه أن فرعون يخبر عن نفسه بأنه كان فوق قومه بالقهر والغلبة لا بالجهة والمكان.

(٢) قول المشبهة إنَّ الله بذاته في جهة فوق هذا تعطيل أي إنكار لوجود الخالق.

للحساب والجزاء[1]، وقال النسفي[2] في تفسير هذه الآية: «﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ أي أمر الدنيا ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى أن تقوم الساعة ﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ ۝٥﴾ ذلك الأمر كله أي يصير إليه ليحكم فيه».

١٦. **قوله تعالى:** ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾ [سورة المعارج]:

قال البيضاوي في تفسيره[3]: «﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح أو يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم أو في دار ثوابهم أو مراتب الملائكة أو في السموات فإن الملائكة يعرجون فيها»، وقال الرازي[4] في تفسيره: «المسألة الثانية: احتج القائلون بأن الله في مكان، إما في العرش أو فوقه بهذه الآية من وجهين:

الأول: أن الآية دلت على أن الله تعالى موصوف بأنه ذو المعارج وهو إنَّما يكون كذلك لو كان في جهة فوق.

---

(١) ذكرها شيخنا الهرري رحمات الله تعالى عليه في بعض دروسه.

(٢) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، النسفي، (٦/٣).

(٣) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين البيضاوي، (٥/٢٤٤).

(٤) **مفاتيح الغيب**، الرازي، (٣٠/٦٣٩).

والثاني: قوله: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ فبين أن عروج الملائكة وصعودهم إليه، وذلك يقتضي كونه تعالى في جهة فوق.

والجواب: لما دلت الدلائل على امتناع كونه تعالى في المكان والجهة ثبت أنه لا بد من التأويل، فأما وصف الله بأنه ذو المعارج فقد ذكرنا الوجوه فيه، وأما حرف «إلى» في قوله: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ فليس المراد منه المكان بل المراد انتهاء الأمور إلى مراده كقوله: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ ١٢٣﴾ [سورة هود] المراد الانتهاء إلى موضع العزِّ والكرامة كقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩﴾ [سورة الصافات] ويكون هذا إشارة إلى أنَّ دار الثواب أعلى الأمكنة وأرفعها».

* **قوله تعالى**: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ٥٥﴾ [سورة آل عمران] قال الرازي[1] في الآية رادًا على المشبهة المجسمة قاصمًا ظهورهم لما تبين له سوء حالهم وخطرهم على الأمة الإسلامية وفقه الله سبحانه وتعالى أن عرف الحق ونصر أهله فأيده الله بالبراهيين العقلية والسمعية حفظًا لهذه الأمة الإسلامية من زيغ الباطل وكَدرات وشبه المشبهة المجسمة كابن بطة وابن عبد البر والذهبي سلفهم وخلفهم فقال: «والمشبهة يتمسكون بهذه الآية في إثبات المكان لله تعالى وأنه في السماء، وقد دللنا في المواضع الكثيرة من هذا الكتاب بالدلائل القاطعة على أنه يمتنع كونه تعالى في المكان فوجب حمل اللفظ على التأويل، وهو من وجوه:

---

(١) **مفاتيح الغيب**، الرازي، (٢٣٨/٨) (بتصرف).

- **الوجه الأول**: أن المراد إلى محل كرامتي، وجعل ذلك رفعًا إليه للتفخيم والتعظيم[1] ومثله قوله ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ۝٩٩﴾ [سورة الصافات] وإنَّما ذهب إبراهيم ﷺ من العراق إلى الشام[2] وقد يقول السلطان: ارفعوا هذا الأمر إلى القاضي، وقد يسمى المجاور جار الله ومعنى جار الله أي جار بيته الحرام وهذا يطلق على المجاور للكعبة في مكة وببيت الله أي البيت المشرف عند الله الذي بني لتوحيد الله ولتعظيمه وليس معناه أنَّ الله حال فيه أو يسكنه، والمراد من كل ذلك التفخيم والتعظيم، وقد سبق شرحها في الحاشية فكذا هاهنا.

- **الوجه الثالث**: أنَّ بتقدير القول بأنَّ الله في مكان لم يكن ارتفاع عيسى إلى ذلك سببًا لانتفاعه وفرحه بل إنما ينتفع بذلك لو وجد هناك مطلوبه من الثواب والرَّوح ـ أي الرحمة ـ والراحة والريحان، وإذا كان لا بد من إضمار ما ذكرناه لم يبق في الآية دلالة على إثبات المكان لله تعالى».

---

(١) وهو راجع إلى تعظيم وتفخيم السماء لأنها قبلة الدعاء ومسكن الملائكة ومهبط الرحمات لذلك قال العلماء إلى محل كرامتي لأنَّ الله يسكنها كما يعتقد الكفار والله لا يتشرف لا بالسماء ولا بالعرش ولا بأحد من مخلوقاته لأنَّ كماله أزلي أبدي فلا يزيد ولا ينقص ولا يتغير.

(٢) أي إلى بيت المقدس وهو أم بر الشام والشام من عريش مصر إلى بالس العراق فيدخل في ذلك الأردن وفلسطين ولبنان وسوريا إلى بالس من أرض العراق.

* قال الله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ١٥٨﴾ [سورة النساء] قال ابن عطية[1] في تفسيره: «يعني إلى سمائه وكرامته».

وقال الرازي[2]: «**المسألة الثانية**: المشبهة احتجوا بقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ١٥٨﴾ في إثبات الجهة.

والجواب: المراد الرفع إلى موضع لا يجري فيه حكم غير الله تعالى كقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾ [سورة البقرة] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ١٠٠﴾ [سورة النساء] وكانت الهجرة في ذلك الوقت إلى المدينة، وقال إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ٩٩﴾ [سورة الصافات] ».

وقال السمين الحلبي[3]: «والضمير في «إليه» عائد على «الله» على حَذْفِ مضاف أي: إلى سمائِه ومحلِّ أمره ونهيه».

١٧. قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ٣٨﴾ [سورة فصلت]:

قال المفسرون المراد بالآية الملائكة ولم يقل أحد منهم أن عند هنا ـ المراد بها ـ أن الملائكة عند الله بينهم وبينه مسافة وله جهة كما أنَّ

---

(١) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية الأندلسي، (١٣٤/٢).

(٢) **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، (٢٦٢/١١).

(٣) **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، السمين الحلبي، (١٤٨/٤).

لهم جهة كما احتجت المشبهة بهذه الآية ـ الصواب تنزيه الله عن المكان ـ.

فقال الرازي[1]: «**السؤال الثاني**: أن المشبهة تمسكوا بقوله ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ في إثبات المكان والجهة لله تعالى.

والجواب: أنَّه يقال عند الملك من الجند كذا وكذا، ولا يراد به قرب المكان. فكذا هاهنا. ويدل عليه قوله تعالى في الحديث القدسي «**أنا عند ظن عبدي بي**»[2] ويقال عند الشافعي رضي الله عنه إنَّ المسلم لا يقتل بالذمي».

١٨. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ١٩﴾ [سورة الأنبياء]:

---

(١) **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، (٢٧/٥٦٦).

(٢) قال النووي في شرحه على مسلم: قال العلماء معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه قالوا وفي حالة الصحة يكون خائفًا راجيًا ويكونان سواء وقيل يكون الخوف أرجح فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه لأنَّ مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، النووي، (١٧/٢١٠).

لفظ عند هنا ليس من قبيل الجهة والمكان تعالى الله عن ذلك كله وديننا منصور مهما تكالبت أهل البدع وقوي انتشارها فأقوال العلماء ثابتة وكثيرة وترد عليهم فانظروا كيف تواتر شرح لفظ عند على توالي العصور:

قال النسفي في تفسيره[1]: «﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ منزلة ومكانة لا منزلًا ولا مكانًا يعني الملائكة».

وقال أبو حيان الأندلسي[2]: «وعند هنا لا يراد بها ظرف المكان لأنه تعالى منزه عن المكان، بل المعنى شرف المكانة وعلو المنزلة».

وقال النيسابوري[3]: «وليس المراد عندية المكان والجهة بل عندية القرب[4] والشرف».

وقال ابن عطية[5]: «ثم خصص من هذا العموم من أراد تشريفه من الملائكة بقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ لأن «عند» هنا ليست في المسافات إنما هي تشريف في المنزلة فوصفهم تعالى بأنهم لا يَسْتَكْبِرُونَ عن عبادة الله ولا يسأمونها ولا يكلون فيها».

---

(١) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، النسفي، (٢/٣٩٨).

(٢) **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان، (٧/٤١٦).

(٣) **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، نظام الدين النيسابوري، (١/٢٤٢).

(٤) أي القرب المعنوي وليس القرب المكاني وهذا يظهر من كلامه السابق.

(٥) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية الأندلسي، (٤/٧٧).

١٩. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [سورة الحديد]:

هذه الآية تحمل على العلم كما قال أهل العلم ولا تحمل على ظاهرها لأنَّها لو حملت عليه لكان فيها أنَّ الله في الأرض معنا أين ما كنّا في البيت أو في الحديقة أو حتى من يحملها على ظاهرها يقول الله حال في هذه الأرض حال في القاذورات وفي النجاسات وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا وهذا لا يقوله صاحب فهم سليم وهذه الآية دليل على أنَّ التأويل ليس تعطيلًا فأنتم أنفسكم يا مشبهة تحملونها على العلم وهذا تأويل وصرف لها عن ظاهرها فلم تؤولون هذه وتحملون بقية الآيات المتشابهة على ظواهرها فتقعون في التشبيه والتجسيم والتضارب والتناقض وتقولون التأويل تعطيل وقد أولتم ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ وعلى هذا فأنتم معطلة على زعمكم حيث أولتم هذه الآية و أنتم كاليهود الذين قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٍ﴾[سورة البقرة] فتنطبق عليكم الآية يعني تؤولون آية ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ على العلم ولا تؤولون الاستواء بالقهر ولا تؤولون سائر الآيات الموهمة تشبيهًا لله التي لها وجه يليق بالله كما قال العلماء على اختلاف العصور بل كما فسرها الرسول فأنتم يا مشبهة خالفتم الرسول عليه الصلاة والسلام وخالفتم الأمة الإسلامية جمعاء فيا فضيحتكم ويا خزيكم، وأنتم داخلون تحت آية ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ [سورة آل عمران] وهاكم **نقل الإجماع على التأويل** من أقوال مفسرين معتبرين:

قال ابن عطية[1]: «وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ معناه بقدرته وعلمه وإحاطته، وهذه آية **أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها**، وأنها مخرجة عن معنى لفظها المعهود، ودخل في الإجماع من يقول بأن المشتبه كله ينبغي أن يمر ـ أي لا يحمل على الظاهر بل يؤول تأويلًا إجماليًا مع كمال التنزيه ـ ويؤمن به ولا يفسر **فقد أجمعوا على تأويل هذه لبيان وجوب إخراجها عن ظاهرها** ـ وكذا في كل نص متشابه لا يجوز حمله على الظاهر ـ قال سفيان الثوري معناه: علمه معكم، وتأولهم هذه حجة عليهم في غيرها».

قال الرازي[2]: «**المسألة الثانية**: قال المتكلمون: هذه المعية إما بالعلم وإما بالحفظ والحراسة، وعلى التقديرين **فقد انعقد الإجماع على أنه سبحانه ليس معنا بالمكان والجهة والحيز**، فإذن قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ **لا بد فيه من التأويل وإذا جوزنا التأويل في موضع وجب تجويزه في سائر المواضع**.

المسألة الثالثة: اعلم أن في هذه الآيات ترتيبًا عجيبًا، وذلك لأنَّه بيَّن بقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[سورة الحديد] كونه إلهًا لجميع الممكنات والكائنات، ثم بيَّن كونه إلهًا للعرش والسموات والأرضين. ثم بيَّن بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ كونه عالمًا بظواهرنا وبواطننا، فتأمَّل

(١) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية الأندلسي، (٥/٢٥٧).

(٢) **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، (٢٩/٤٤٩).

في كيفية هذا الترتيب، ثم تأمَّل في ألفاظ هذه الآيات فإن فيها أسرارًا عجيبة وتنبيهات على أمور عالية».

٢٠. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الأنعام]:

قال البغوي[١] في تفسيره: «قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: وهو إله السموات والأرض كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [سورة الزخرف]، وقيل: هو المعبود في السموات والأرض ـ أي المعبود فيهما ـ».

وقال الرازي[٢]: «**المسألة الأولى**: القائلون بأن الله تعالى مختص بالمكان تمسكوا بهذه الآية وهو قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٣﴾ [سورة الأنعام] وذلك يدل على أنَّ الإله مستقر في السماء قالوا: ويتأكد هذا أيضًا بقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ١٦﴾ [سورة الملك] قالوا: ولا يلزمنا أن يقال فيلزم أن يكون في الأرض لقوله تعالى في هذه الآية ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ وذلك يقتضي حصوله تعالى في المكانين معًا وهو محال لأنَّا نقول أجمعنا على أنه ليس بموجود في الأرض، ولا يلزم من ترك العمل بأحد الظاهرين ترك العمل بالظاهر الآخر من غير دليل، فوجب أن يبقى ظاهر قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٣﴾ على ذلك

---

(١) **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، البغوي، (١٠٩/٢).

(٢) **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، (٤٨١/١٢).

الظاهر، ولأنَّ من القراء[1] من وقف عند قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٣﴾ ثم يبتدئ فيقول: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، والمعنى أنَّه سبحانه يعلم سرائركم الموجودة في الأرض فيكون قوله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ صلة لقوله: ﴿سِرَّكُمْ﴾ هذا تمام كلامهم.

واعلم أنّا نقيم الدلالة:

أولًا: على أنَّه لا يمكن حمل هذا الكلام على ظاهره، وذلك من وجوه:

الأول: أنَّه تعالى قال في هذه السورة ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ ١٢﴾ [سورة الأنعام] فبيَّن بهذه الآية أنَّ كل ما في السموات والأرض فهو ملك لله تعالى ومملوك له، فلو كان الله أحد الأشياء الموجودة في السموات لزم كونه ملكًا لنفسه، وذلك محال، ونظير هذه الآية قوله في سورة طه: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٦﴾ [سورة طه] فإن قالوا قوله: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ١٢﴾ هذا يقتضي أنَّ كل ما في السموات فهو لله إلا أنَّ كلمة ما مختصة بمن لا يعقل فلا يدخل فيها ذات الله تعالى.

قلنا: لا نسلم والدليل عليه قوله ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧﴾[سورة الشمس]، ونظيره ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ

---

(١) وسنبين إن شاء الله تعالى قبح هذا الوقف بنُقول من ابن الجزري وبدر الدين الزركشي مع توجيه لهذه القراءة من القيرواني فيه تنزيه لله سبحانه وتعالى على أن يكون الله في السماوات.

﴿أَعۡبُدُ ۝٥﴾[سورة الكافرون] ولا شك أنَّ المراد بكلمة ما هاهنا هو الله سبحانه.

والثاني: أنَّ قوله ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۝٣﴾ إما أن يكون المراد منه أنه موجود في جميع السموات، أو المراد أنه موجود في سماء واحدة. والثاني: ترك للظاهر والأول: على قسمين لأنَّه إما أن يكون الحاصل منه تعالى في أحد السموات عين ما حصل منه في سائر السموات أو غيره، والأول: يقتضي حصول المتحيز الواحد في مكانين وهو باطل ببديهة العقل. والثاني: يقتضي كونه تعالى مركبًا من الأجزاء والأبعاض وهو محال.

والثالث: أنَّه لو كان موجودًا في السموات لكان محدودًا متناهيًا وكل ما كان كذلك كان قبوله للزيادة والنقصان ممكنًا، وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بالمقدار المعين لتخصيص مخصص وتقدير مقدر وكل ما كان كذلك فهو محدث.

والرابع: أنه لو كان في السموات فهل يقدر على خلق عالم آخر فوق هذه السموات أو لا يقدر، والثاني: يوجب تعجيزه والأول: يقتضي أنه تعالى لو فعل ذلك لحصل تحت هذا العالم، والقوم ينكرون كونه تحت العالم.

والخامس: أنَّه تعالى قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ۝٤﴾[سورة الحديد] وقال: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ۝١٦﴾[سورة ق] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ﴾ [سورة الزخرف] وقال: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ۝١١٥﴾ [سورة البقرة]

وكل ذلك يبطل القول بالمكان والجهة لله تعالى، فثبت بهذه الدلائل أنه لا يمكن حمل هذا الكلام على ظاهره فوجب التأويل وهو من وجوه:

الأول: أن قوله ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني وهو الله في تدبير السموات والأرض كما يقال: فلان في أمر كذا أي في تدبيره وإصلاح مهماته، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [سورة الزخرف].

والثاني: أن قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ ٣﴾ كلام تام، ثم ابتدأ وقال:﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣﴾ والمعنى إله سبحانه وتعالى يعلم في السموات سرائر الملائكة، وفي الأرض يعلم سرائر الإنس والجن.

والثالث: أن يكون الكلام على التقديم والتأخير والتقدير: وهو الله يعلم في السموات وفي الأرض سركم وجهركم، ومما يقوي هذه التأويلات أنَّ قولنا: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ نظير قولنا هو الفاضل العالم، وكلمة هو إنَّما تذكر هاهنا لإفادة الحصر، وهذه الفائدة إنَّما تحصل إذا جعلنا لفظ الله اسمًا مشتقًا فأما لو جعلناه اسم علم شخص قائم مقام التعيين لم يصح إدخال هذه اللفظة عليه، وإذا جعلنا قولنا: الله لفظًا مفيدًا صار معناه وهو المعبود في السماء وفي الأرض، وعلى هذا التقدير يزول السؤال والله أعلم.

بالنسبة للوقف على: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الذي **تحتج به المشبهة لإثبات فوقية العلو لله** ذكر ابن كثير[1] المتذبذب الموافق لابن تيمية في أمور في تفسيره: **والقول الثّالث:** أنَّ قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وقف تامّ، ثمّ استأنف الخبر، فقال: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ وهذا اختيار ابن جرير، وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾ أي جميع أعمالكم خيرها وشرها».

مع العلم أنَّ ابن الجزري[2] في «النشر»، قال: «ليس كل ما يتعسفه بعض المعربين أو يتكلفه بعض القراء، **أو يتأوله بعض أهل الأهواء**[3] مما يقتضي وقفًا وابتداءً ينبغي أن يعتمد الوقف عليه، بل ينبغي تحري المعنى الأتم والوقف الأوجه»، ثم قال[4]: «ونحو الوقف على: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ والابتداء: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ **وأشد قبحًا من ذلك الوقف** على: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ **والابتداء:** ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾».

---

(١) **تفسير ابن كثير**، ابن كثير، (٢١٥/٣).

(٢) **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري، (٢٣١/١).

(٣) وما هذا إلا إشارة للمشبهة المجسمة وأهل البدع الذين يتعمدون التبديل في الدين والتغيير فيه.

(٤) **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري، (٣٤٧/١).

وقال بدر الدين الزركشي في «البرهان في علوم القرآن»[1]: «ومثله **الوقف مراعاة للتنزيه** على قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ وقد ذكر صاحب الاكتفا أنَّه تام وذلك ظاهر على قول ابن عباس أنَّه على التقديم والتأخير والمعنى وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات والأرض».

وقال كذلك في البرهان[2]: «﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ اختار البيهقي معناه أنه المعبود في السماوات والأرض مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [سورة الزخرف] وهذا القول هو أصحُّ الأقوال، وقال الأشعري في الموجز: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ۝٣﴾ أي عالم بما فيهما وقيل: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جملة تامة ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ﴾ كلام آخر **وهذا قول المجسمة واستدلت الجهمية بهذه الآية على أنه تعالى في كل مكان وظاهر ما فهموه من الآية من أسخف الأقوال**».

وفي موضع آخر[3]: «وكذا قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ۝٣﴾ فإنَّها جاءت مجموعة لتعلق الظرف بما في اسم الله تبارك وتعالى من معنى الإلهية فالمعنى هو الإله المعبود في كل واحدة من السموات فذكر الجمع هنا أحسن **ولما خفي هذا المعنى على بعض المجسمة قال بالوقف على قوله:** ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ثم يبتدئ بقوله ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾».

---

(١) **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين الزركشي، (٣٤٧/١).

(٢) **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين الزركشي، (٨٣/٢).

(٣) **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين الزركشي، (٧/٤).

وقال أبو الحسن علي القيرواني في كتابه[1] «النكت في القرآن الكريم»: «قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ۝٣﴾ [سورة الأنعام] يسأل عن العامل في الظرف من وقوله: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾.

وفي هذا جوابان:

أحدهما: أن «في» متعلقة بما دل عليه اسم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لأنَّه وقع موقع «المدبر» كأنّه قال: «وهو المدبر في السموات وفي الأرض».

والجواب الثاني: أن تكون «في» متعلقة بمحذوف، كأنَّه قال: «وهو الله مدبر في السموات وفي الأرض وقوله: «﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾».

ويجوز فيه وجه آخر وهو أن يكون المعنى: وهو الله ملكه في السموات، وفي الأرض يعلم سركم وجهركم، أي: ويعلم سركم وجهركم في الأرض، **ولا يجوز أن يتعلق بالاستقرار؛ لأن ذلك يؤدي إلى احتواء الأمكنة عليه والله تعالى لا تحتويه الأمكنة ولا الأزمنة**».

٢١. قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [سورة الإسراء]:

(١) **النكت في القرآن الكريم**، أبو الحسن علي القيرواني، (ص ٢١١).

قال الكرماني[1] ناقلًا قول الجمهور في تفسير هذه الآية قال: «قوله: ﴿مَقَامًا مَّحۡمُودًا ٧٩﴾ هو عند الجمهور مقام الشفاعة».

قال الرازي[2] في تفسيره بعد أن ذكر القول الصحيح في الآية وهو الشفاعة في قوله: «وجب أن يكون المراد من قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ٧٩﴾ هو الشفاعة في إسقاط العقاب على ما هو مذهب أهل السنة ولما ثبت أن لفظ الآية مشعر بهذا المعنى إشعارًا قويًا ثم وردت الأخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى وجب حمل اللفظ عليه ومما يؤكد هذا الوجه الدعاء المشهور «وابعثه المقام المحمود الذي وعدته» واتفق النَّاس على أنَّ المراد منه الشفاعة».

ثم ذكر القول المتروك الذي لا يقوله ذو لب: «**القول الرابع**: قال الواحدي روي عن ابن مسعود أنَّه قال: «يقعد الله محمدًا على العرش» وعن مجاهد أنَّه قال «يجلسه معه على العرش»، ثم قال الواحدي: «وهذا قول رذل موحش فظيع ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير ويدل عليه وجوه:

الأول: أنَّ البعث ضد الإجلاس يقال بعثت النَّازل والقاعد فانبعث ويقال بعث الله الميت أي أقامه من قبره فتفسير البعث بالإجلاس تفسير للضد بالضد وهو فاسد.

---

(١) **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، برهان الدين الكرماني، (١/٦٣٨).

(٢) **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، (٢١/٣٨٨).

والثاني: أنَّه تعالى قال مقامًا محمودًا ولم يقل مقعدًا والمقام موضع القيام لا موضع القعود.

والثالث: لو كان تعالى جالسًا على العرش بحيث يجلس عنده محمد عليه الصلاة والسلام لكان محدودًا متناهيًا ومن كان كذلك فهو محدث.

والرابع: يقال إنَّ جلوسه مع الله على العرش ليس فيه كثير إعزاز لأنَّ هؤلاء الجهال والحمقى يقولون في كل أهل الجنة إنَّهم يزورون الله تعالى وإنَّهم يجلسون معه وإنَّه تعالى يسألهم عن أحوالهم التي كانوا فيها في الدنيا وإذا كانت هذه الحالة حاصلة عندهم لكل المؤمنين لم يكن لتخصيص محمَّد ﷺ بها مزيد شرف ورتبة.

والخامس: أنَّه إذا قيل السلطان بعث فلانًا فهم منه أنَّه أرسله إلى قوم لإصلاح مهماتهم ولا يفهم منه أنه أجلسه مع نفسه فثبت أن هذا القول كلام رذل ساقط لا يميل إليه إلا إنسان قليل العقل عديم الدين والله أعلم»(١).

(١) ونقل قول الواحدي أيضًا موافقًا له أبو حيان الأندلسي في تفسيره (٧/١٠٢).

المبحث الثاني:

كشف حال حديث الجارية

طالما استدلت المشبهة والوهابية بأحاديث متكلم بها عند الحفاظ والمحدثين والعلماء إما من حيث الضعف في السند أو في المتن أو من حيث التأويل وحملها على المعنى المراد وترى أيها المتيقظ الواعي أنهم يجتنبون الأحاديث التي تفيد تنزيهًا والآيات المحكمة التي يرجع إليها أهل السنة وتجعلها أصلًا ويركضون تجاه الضعيف والمتروك والموضوع كحديث الجارية المضطرب المعلول الذي جاء بروايات عدة بألفاظ عدة لا يمكن الجمع بينها ولا دليل لمن أثبتوا لله التحيز في جهة فوق ولا حجة لهم في هذا الحديث لأنَّ هذا الحديث من أحاديث الآحاد وظاهره معارض للحديث المتواتر، وقد قرر علماء الأصول وعلماء الحديث[1] أنَّ الحديث إذا خالف النصّ القرءاني أو الحديث المتواتر أو صريح العقل ولم يقبل تأويلًا فهو باطل موضوع كذب على الرسول.

وعبارة الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه «الفقيه والمتفقه» ما نصه[2]: «وإذا روى الثقة المأمون خبرًا متصل الإسناد رُدَّ بأمور:

---

(١) **تشنيف المسامع**، بدر الدين الزركشي، (٢/٣٧٤).

(٢) **الفقيه والمتفقه**، الخطيب البغدادي، (١/٣٥٤).

أحدها: أن يخالف موجَبات العقول فيُعلم بطلانه لأنَّ الشرع إنَّما يرد بمجَوَّزَات العقول وأما بخلاف العقول فلا.

والثاني: أن يخالف نص الكتاب أو السنة المتواترة فيعلم أنه لا أصل له أو منسوخ.

والثالث: أن يخالف الإجماع فيُستدل على أنه منسوخ أو لا أصل له لأنَّه لا يجوز أن يكون صحيحًا غير منسوخ وتجمع الأمة على خلافه.

والرابع: أن ينفرد الواحد برواية ما يجب على كافة الخلق علمه فيدل ذلك على أنه لا أصل له لأنه لا يجوز أن يكون له أصل وينفرد هو بعلمه من بين الخلق العظيم.

والخامس: أن ينفرد الواحد برواية ما جرت العادة بأن ينقله أهل التواتر فلا يقبل لأنه لا يجوز أن ينفرد في مثل هذا بالرواية».

زيادة على هذا الحديث مخالف من وجوه عدة:

- **مخالف لموجبات العقول وللبراهين** القائمة على تنزيه الله سبحانه عن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات، قال الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ [سورة الشورى]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [سورة الأنعام] وذلك يدل على أن الزمان وكل ما فيه ملك لله تعالى فهاتانِ الآيتانِ تدلانِ على أنَّ المكان والمكانيات والزمان والزمانيات كلها ملك لله تعالى وذلك يدل على تنزيه الله سبحانه عن المكان والزمان.

- **مخالف للحديث المتواتر** الذي رواه خمسة عشر صحابيًا وهو «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ**»[1] وفي هذا الحديث دليل على أنّ الرسول لا يحكم بإسلام الشخص الذي يريد الدخول بالإسلام إلا بالشهادتين، وهذا من أصول الشريعة فلا يحكم له بقول «الله في السماء» بالإسلام لأنَّ هذا القول مشترك بين اليهود والنصارى وغيرهم وإنما الأصل المعروف في شريعة الله أنك تحكم له بالإسلام حينما يقر بالشهادتين ويعترف بهما مع الجزم والاعتقاد.

- **مخالف لديننا** لو حمل هذا الحديث على ظاهره والأحاديث والآيات الموهمة لله مكانًا على ظاهره وقد ذكرنا بعضها في كتابنا لأدى ذلك إلى التعارض والتناقض في ديننا وقرءاننا **وهذا محال** في العقل والنقل فبطل احتجاجهم به.

وقد كثر كلام العلماء فيه لكن لم يحمله أحد على ظاهره المؤدي للتشبيه فترى:

منهم من أوَّل فقال قول: «أين الله» سؤال عن تعظيم الجارية لله تعالى، فلفظة «أين» في اللغة تستعمل لذلك، كقول عمرو بن العاص: «وأين معاوية من علي»، ودليل هذا التأويل الرواية الأخرى للحديث في موطأ مالك: «أتشهدين أن لا إله إلا الله»، ومعلوم أن شهادة أنَّ لا إله إلا الله

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، (١٤/١)، رقم الحديث: ٢٥.

دلالتها إثبات تعظيم الله تعالى، لا إثبات الحيز والجهة والمكان له، وقول: «في السماء» دلالته أنَّ الله عظيم القدر جدًّا، وهذا معروف في لغة العرب. ودليله قول الجارية وإقرارها: أشهد أنْ لا إله إلا الله فرواية مالك تفسر رواية مسلمٍ، على فرض ثبوتها لذلك اللفظ وممن أوَّله النووي في شرحه على مسلم.

ومنهم من حكم بشذوذه وضعفه وقال باضطرابه لأنه روي بهذا اللفظ، وبلفظ[1]:«**من ربك**» فقالت: الله، وبلفظ[2]:«**أين الله**» فأشارت إلى السماء، وبلفظ: «**أتشهدين أن لا إله إلا الله**» قالت: نعم، قال: «**أتشهدين أني رسول الله**» قالت: نعم، وممن ضعفه الكوثري في كتابه «السيف الصقيل» والبيهقي في «الأسماء والصفات» وغيرهم[3].

---

(١) **سنن النسائي**، النسائي، (٢٥٢/٦)، رقم الحديث: ٣٦٥٣.

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، (٣٦١/١)، رقم الحديث: ٥٣٧.

(٣) وقد بسطنا الكلام في حديث الجارية في كتابنا «**النجوم السارية في اضطراب وبطلان الاحتجاج بحديث الجارية**» فلينظر إليه.

المبحث الثالث:

إبطال شبهتهم الأخرى لإثبات فوقية الرب

إنَّ ما ادَّعاه ابن عبد البر بقوله: «ومن الحجّة أيضًا في أنه عزّ وجلّ على العرش فوق السموات السّبع أنّ الموحّدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم **شدّة رفعوا وجوههم إلى السّماء يستغيثون ربّهم تبارك وتعالى**» وبهذا يؤكد ما صرح به بعباراته السابقة من نسبة المكان إلى الله والاستقرار يشير ذلك إلى هنا، فهذا ما قاله ليس بصحيح لأن الله لا يسكن السماء وما ادعاه بأن الناس إذا نزلت بهم شدة يرفعون رؤوسهم إلى السماء لأن الله في السماء هو باطل وكذلك ما تحتج به المشبهة كذلك من رفع الناس الأيدي في الدّعاء ويقولون: «في هذا دليل أنَّ الله فوقنا»، هو باطل بل هذا الرفع منهم هو لأنَّ السّماء مهبط الرّحمات والبركات أي تنزل علينا البركة والرّحمة منها وليس لأنّ الله موجود بذاته في السّماء، كما أنّنا نستقبل الكعبة الشّريفة في الصّلاة لأنّ الله تعالى أمرنا بذلك فهي قبلة الصلاة وليس لأنّ لها ميزةً وخصوصيّةً بسكنى الله فيها، ألم يسمعوا بقول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [سورة الذّاريات] لما في السماء من نزول الخير وما فيها من ملائكة كرام ونزول مطر منهاوغير ذلك، فنظر المسلمين للأعلى ومدّ اليدين معناه طلب استنزال الرّحمة والله لا يخيب القاصدين بحق، فهذا الدّاعي الّذي دعا الله تعالى وكان مادًّا يديه أو رافعًا رأسه إلى السّماء ليستنزل الرّحمات من الله

تعالى فإذا مسح بعد إنهاء الدّعاء باليدين وجهه معنى ذلك أنّ هذه اليد نزلت عليها رحمات وبمسحه وجهه بهما أصابت هذه الرّحمات وجهه.

تتمة: فكفرت المشبهة باعتقادها التّحيّز في حق الله تعالى وأنّ الله شىء كالهواء أو كالنّور يملأ مكانًا أو غرفةً أو مسجدًا ويردّ على المعتقدين أنّ الله متحيز في جهة العلو ويقولون لذلك ترفع الأيدي عند الدّعاء بما ثبت عن الرّسول أنّه استسقى أي طلب المطر وجعل بطن كفّيه إلى الأرض وظاهرهما إلى السّماء وبأنّه ﷺ نهى المصلي أن يرفع رأسه إلى السّماء، ولو كان الله متحيزًا في جهة العلو كما تظنّ المشبهة ما نهانا عن رفع أبصارنا في الصّلاة إلى السّماء، وبأنّه ﷺ كان يرفع إصبعه المسبحة عند قول «إلّا الله» في التّحيّات ويحنيها قليلًا فلو كان الأمر كما تقول المشبهة ما كان يحنيها بل يرفعها إلى السّماء وكلّ هذا ثابت حديثًا عند المحدثين. فماذا تفعل المشبهة والوهّابيّة؟! ونسمي المساجد بيوت الله لا لأنّ الله يسكنها بل لأنّها أماكن معدّة لذكر الله وعبادته، ويقال في العرش إنّه جرم أعدّه الله ليطوف به الملائكة كما يطوف المؤمنون في الأرض بالكعبة، وتعلقهم بالإجماع برفع الأيدي إلى السماء عند المناجاة والدعاء باطلٌ، لما ليس في ذلك دليل كونه تعالى في تلك الجهة، هذا كما أنهم أمروا بالتوجه في الصلاة إلى الكعبة وليس هو في الكعبة، وأمروا برمي أبصارهم إلى موضع سجودهم حالة القيام في الصلاة بعد نزول قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [سورة المؤمنون] بعدما كانوا

يصلون شاخصة أبصارهم نحو السماء، وليس هو في الأرض، وكذا حالة السجود أمروا بوضع الوجوه على الأرض، وليس هو تعالى تحت الأرض، فكذا هذا. وكذا المتحري يصلي إلى المشرق واليمن والشام، وليس هو تعالى في هذه الجهات. ويَحتمل أنه تعالى أمر بالتوجه إلى هذه المواضع المختلفة عند اختلاف الأحوال ليندفع وهم تحيزه في جهة ويصير ذلك دليلاً لمن عرفه أنه ليس بجهة منا. وقيل إن العرش جعل قبلة للقلوب عند الدعاء كما جعلت الكعبة قبلة للأبدان في حالة الصلاة. واستعمال لفظة الإِنزال والتنزيل منصرف إلى الآتي بالقرءان، فأما القرءان فلا يوصف بالانتقال من مكان إلى مكان، والآتي به وهو جبريل عليه السلام كان ينزل من جهة العلو لما أن مقامه كان بتلك الجهة، فبعد هذا فليعلم أن هذه شبه التي تمسكوا بها في إثبات تحيز الله في جهة فوق شبه واهية ضعيفة لا تنفعهم بل عند بعضهم من يقول أشياء أشنع من هذه ننزه كتابنا عن ذكرها.

المبحث الرابع:
تضعيف حديث العماء

ذكر هذا الحديث ابن بطة العكبري[1] في كتابه «الإبانة» كما ذكرناه سابقًا واحتجت به المشبهة لإثبات الجهة في حقه سبحانه وتعالى فقد ذكر تضعيف هذا الحديث بدر الدين بن جماعة في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل» **في الباب الذي سمَّاه «في الأحاديث الضعيفة التي وضعتها الزنادقة أعداء الدين وأرباب البدع المضلين ليلبسوا على الناس دينهم»**، قال فيه: «حديث أبي رزين العقيلي قال قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق، قال: كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق العرش على الماء، هذا حديثٌ تفرَّد به يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس ويقال حدس ولا يعرف لوكيع هذا راوٍ غير يعلى هذا وهما مجهولان وقد رواه الترمذي وليس كل ما رواه حجة في الفروع فكيف في معرفة الله تعالى التي هي أصل الدين، واحتج بعض الحشوية بعدم إنكار النبي ﷺ سؤاله بقوله أين الدالة على المكان، وقد **بينا ضعف الحديث وعدم الاحتجاج به**».

(١) **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، بدر الدين بن جماعة، (٢٠١/١ ـ ٢٠٣).

المبحث الخامس:

ردُّ ما زاده ابن بطَّة في حديث: «كلَّم الله موسى»

هذه الزيادة التي زادها ابن بطة في الحديث بقوله[1]: «حدثنا إسماعيل ابن محمد الصفار، وأبو محمد الحسن بن علي بن زيد بن حميد العسكري، قالا: حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال النبي ﷺ: كلم الله موسى يوم كلمه عليه جبة صوف وكساء صوف، وبرنس صوف، ونعلان من جلد حمار غير ذكي، فقال: من ذا العبراني الذي يكلمني من الشجرة؟ قال: أنا الله، هذه زيادة باطلة لم يقل بها أحد ولا زادها غير ابن بطة».

وقد ردها المناوي[2] في «فيض القدير» فقال: «واعلم أن هذا الحديث قد وقع فيه في بعض الروايات زيادة منكرة بشعة قال الحافظ ابن حجر: وقفت لابن بطة على أمر استعظمته واقشعر جلدي منه أخرج ابن الجوزي في الموضوعات الحديث عن ابن مسعود باللفظ المذكور زاد في آخره فقال: من ذا العبراني الذي يكلمني من الشجرة قال: أنا الله قال ابن الجوزي: **هذا حديث لا يصح فإن كلام الله لا يشبه كلام المخلوق** والمتهم به حميد الأعرج قال ابن حجر: كلا والله إن حميدًا بريء من هذه

---

(١) **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، (٦/٣٠٦).

(٢) **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المناوي القاهري، (٤/٥٤٣).

الزيادة المنكرة وما أدري ما أقول في ابن بطة بعد هذا. (ت) من حديث حميد بن علي الأعرج عن عبد الله بن الحارث (عن ابن مسعود) ثم قال الترمذي: سألت البخاري عنه فقال حميد هذا منكر الحديث اهـ. وذكر مثله في المستدرك ثم قال: هذا أصل كبير في التصوف وعده في الميزان من مناكير الأعرج لكن شاهده خبر أبي أمامة عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الإيمان في قلوبكم قال الذهبي: ساقه من طريق ضعيف وسقط نصف السند من النسخة اهـ، وقال الزين العراقي: هو حديث غير صحيح، وقال المنذري: صححه الحاكم ظانًا أن حميدًا الأعرج هو ابن قيس المكي وإنما هو ابن علي وقيل ابن عمار أحد المتروكين».

فلا حجة لابن بطة في إثباته هذه الزيادة، وهذا القول منه يرد عليه من وجوه هي:

- الحفاظ ضعفوه وضعفوا الزيادة التي فيه التي هو تفرد بها.
- هذا ينافي التنزيه ينافي الآية: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ [سوة الشورى].
- نسب الجهل والعبث لموسى فبناءً على كلامه موسى لا يعرف التنزيه، لا يعرف ربَّه ولا يعرف ما يجب له وما لا يجوز عليه، فعلى زعمه موسى جاهلٌ يظنُّ ربه عبرانيًّا والعياذ بالله تعالى.
- هذا الحديث رويَ برواياتٍ صحيحة أخرى ليس فيها هذا اللفظ.
- أما كونه من جلد حمار غير مذكى فقال العلماء «موسى ما كان يعرف أنه غير مذكى».

المبحث السادس:

الأصول في رد التشبيه عن حديث النزول

اتفق الثلاثة ابن بطة وابن عبد البر والذهبي أهل التجسيم على جعل هذا الحديث بمروياته حجةً لهم على أن الله في السماء وينزل وعبروا بعبارات شنيعة منها ينزل بذاته ومنها فوق عرشه فوق سماواته وعبارات أخرى كما بيّناه في الفصل السابق مما هو تصريح بنسبة المجيء والإتيان والحركة والصعود والنزول على الله سبحانه وتعالى مع العلم أن الحديث صحيح، لكن لا يجوز لأحد من العالمين أن يفسر القرءان على هواه وعلى ما تشتهيه نفسه كحال المشبهة المجسمة الوهابية حيث إنهم قالوا: «ينزل ربنا أي ينزل حقيقة نزول حركةٍ وانتقالٍ»، وهذا محال على رب العالمين بل هذا بشاعة وذلك لأن الليل والنهار وأجزاءهما كالنصف والثلث يختلف باختلاف البلدان فترى الليل طلع في بلد وغاب في بلد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ [سورة يونس] وجاء في تفسير هذه الآية في الجلالين[1] للسيوطي: «﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ أي وفي الأرض من حيوان وجبال وبحار وأنهار

---

(١) **تفسير الجلالين**، جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، (ص٢٦٦).

وأشجار وغيرها ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴾ فيؤمنون خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها»، فكما ذكرنا المراد بالاختلاف مجيء الليل وذهاب النهار، ومجيء النهار وذهاب الليل فمن أين يا مشبهة قلتم ينزل من خصه بذلك ما دليلكم؟؟.

بناءً على هذا يلزم على معتقدكم أن يكون الله كل الوقت ينزل ثم يطلع ثم ينزل ثم يطلع وهكذا كالمطاط كل ساعة من ساعات الليل والنهار، وهذا ينافي قولكم إنه مختص بالعرش، فبطل عليكم ذلك المعتقد، ثم إن العرش أكبر جسم خلقه الله بحيث إن الكرسي بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة وإن السمٰوات بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض وعلى هذا تكون سماء الدنيا بالنسبة للعرش أقل من خردلة ملقاة في فلاة، فكيف تسع الله الذي هو في معتقدكم بقدر العرش أو أوسع من العرش؟!.

وإن قلتم: هو ينزل إلى السماء الدنيا وهي باقية على حالها وهو على حاله فهذا محال .

وإن قلتم: أنَّ الله يصير أقل من قدر خردلة حتى تسعه السماء الدنيا فهذا أيضًا أمر محال.

وإن قلتم أنَّ الكرسي والسمٰوات تكون بقدر العرش أو أوسع منه، فلتأتونا بدليل من القرآن أو الحديث على هذا أتستطيعون؟ لا والله بل ما هذا إلا من افترائكم على الله وعلى ديننا.

فائدة مهمة: اعلم أنَّ النزول لا ينحصر في معاني الحركة والانتقال بل يأتي بعدة معانٍ حقيقية ومجازية كما في لسان العرب لابن منظور[(١)] فقد ذكر أنها تستعمل بمعنى نزل عن الأمر أي تركه والتنزل أي النزول في مهلة وفي النزال أي الحرب والنزول من الأعلى إلى الأسفل ونفاه عن الله بقوله: «النزول والصعود والحركة والسكون من صفات الأجسام، والله عز وجل يتعالى عن ذلك ويتقدس، والمراد به نزول الرحمة والألطاف الإلهية وقربها من العباد، وتخصيصها بالليل وبالثلث الأخير منه لأنه وقت التهجد وغفلة الناس عمن يتعرض لنفحات رحمة الله، وعند ذلك تكون النية خالصة والرغبة إلى الله عز وجل وافرة».

وقد اختلف في النزول على أقوال، الثلاثة الأول مقبولة أما الرابعة والخامسة فغير مقبول وهي:

- **القول الأول**: من أجراه على ما ورد مؤمنًا به على طريق الإجمال منزهًا الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم.
- **القول الثاني**: من فصل بين ما يكون تأويله قريبًا مستعملًا في كلام العرب وبين ما يكون بعيدًا مهجورًا فأول في بعض وفوض في بعض وهو منقول عن مالك وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد.

---

(١) **لسان العرب**، ابن منظور، (١١/٦٥٧).

- **القول الثالث**: من أوله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب.
- **القول الرابع**: من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة، والعجب أنهم أولوا ما في القرءان من نحو ذلك وأنكروا ما في الحديث إما جهلًا وإما عنادًا.
- **القول الخامس**: من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم.

قال البيهقي: «وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه، من الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب فحينئذٍ التفويض أسلم».

قال الشاعر:

نبينا لم يُثبت انتقالًا ... إلى إله الخلق حين قالا
في كل ليلة من الليالي ... إلى السّما ينزِلُ ذو الجلالِ
يقولُ هل من سائلٍ دعاني ... أو طالبٍ عَفْوي عن العصيانِ
معناه ربي يأمر الملائكْ ... فينزلُوا مُبلّغين ذلِكْ
من قال من فوق إلى تحت نَزَلْ ... قد شبه الله بخلقه وَزَلْ
فالله قدْ جل عن التطورِ ... يُحالُ أن يُدرَكَ بالتصوّرِ
وذاتُهُ لم يتغيّر في الأزَل ... وقلْ كما كانَ الإلهُ لم يَزَلْ
هنا النهارُ ظلمةٌ هناكَ ... هل فكروا ما يقتضيه ذاكَ
لو كان ربي في السّماء قد سَكَنْ ... لكانَ في تحرّكٍ وما سكنْ

لـكان نـازِلًا بـلا انـقـطـاعِ حـيـثُ الـظـلامُ حـلَّ في البـقـاعِ
إن جـاءكُـم مـا لـيس بـالمعقولِ ففسـرُوا المنقولَ بـالمنقولِ
وأوضَحَتْ روايـة النسـائي ينزِلُ من يَسكُنُ في السّماءِ
تـأتي صراحـةً على ذكـر المـلَـكْ ومن يُشبّه ربَّنا فقد هلكْ

وهاكم الآن أقوال علماء الأمة من شافعية وحنبلية وحنفية ومالكية في تنزيه الله سبحانه وتعالى عن اعتقاد التشبيه في الحديث الصحيح ينزل ربنا.

أقوال الحنفية

١. قال الملا علي القاري الحنفي في «مرقاة المفاتيح» بعد أن نقل كلام النووي بشأنِ معنى حديث النزول وأقوال العلماء فيه وبكلامه، وبكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي، وإمام الحرمين والغزالي، وغيرهم من أئمتنا[١]: «يعلم أنّ المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة، والشخص، والرجل، والقدم، واليد، والوجه، والغضب، والرحمة، والاستواء على العرش، والكون في السماء، وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان، تستلزم أشياء يُحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره، وإنما اختلفوا، هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه

(١) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ملا علي القاري، (٣/٩٢٤).

سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤوله بشيء ءاخر، وهو مذهب أكثر أهل السلف، وفيه تأويل إجمالي أو مع تأويله بشيء ءاخر، وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيلي».

إلى أن قال: «بل قال جمع منهم ومن الخلف: أنّ معتقد الجهة كافر كما صرّح به العراقي، وقال: إنه ـ أي القول بتكفير معتقد الجهة ـ قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني».

٢. الإمام العيني في شرح صحيح البخاري قال أثناء كلامه عن حديث النزول[١]: «وقال ابن فورك: ضبط لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن النبي ﷺ بضم الياء من ينزل يعني من الإنزال وذكر أنه ضبط عمن سمع منه من الثقات الضابطين، وكذا قال القرطبي قد قيده بعض الناس بذلك، فيكون معدى إلى مفعول محذوف، أي يُنزِل اللهُ ملكًا، قال: والدليل على صحة هذا ما رواه النسائي من حديث الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله عز وجل يمهل حتى يأتي شطر الليل الأول، ثم يأمر مناديًا يقول: هل من داع فيستجاب له**» الحديث، وصححه عبد الحق، وحمل صاحب المفهم على النزول المعنوي على رواية مالك عنه عند مسلم، فإنه قال فيه، «يتنزل ربنا»، بزيادة تاء بعد ياء المضارعة، فقال: كذا صحت الرواية هنا، وهي ظاهرة في النزول المعنوي وإليها يُرد «ينزل» على أحد التأويلات، ومعنى ذلك أنّ مقتضى عظمة الله

(١) **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين العيني، (١٩٩/٧).

وجلاله واستغنائه عن خلقه أن لا يعبأ بحقير ذليل، لكن ينزل بمقتضى كرمه ولطفه، لأن يقول من يقرض غير عدوم ولا ظلوم، ويكون قوله: «إلى السماء الدنيا» عبارة عن الحالة القريبة إلينا والدنيا، والله أعلم».

وقال العينيّ[١]: «وقال القاضي البيضاويّ: لَمّا ثبت بالقواطع العقلية أنه منزّه عن الجسمية والتحيُّز، امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه، فالمراد دنوّ رحمته».

ثم قال[٢]: «لا فرق بين المجيء والإتيان والنزول إذا أُضيف إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره، فإذا أُضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته تعالى».

وقال أيضًا ما نصه: «الله تعالى ليس بجسمٍ خلافًا للمجسمة، ولا في جهة خلافًا للكرامية».

٣. قال الشيخ ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي ما نصه[٣]: «رواية مسلم بلفظ: يتنزل ربنا بزيادة تاء بعد ياء المضارعة، وعلى هذا فالحديث من المتشابهات. والعلماء فيه على

---

(١) **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين العيني، (٧/٢٠٠).

(٢) **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين العيني، (٧/٢٠٠).

(٣) **مرعاة المفاتيح**، المباركفوري، (٤/٢١٨).

قسمين:

الأول: المفوِّضة أجروه على ما ورد مؤمنين به على طريق الإجمال، منزهين الله تعالى عن الكيفية والتشبيه، وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وابن المبارك والزهري ومكحول وغيرهم.

والثاني: المؤولة فأولوه بتأويلين: أحدهما أن معنى ينزل ربنا ينزل أمره لبعض ملائكته، أو ينزل ملكه بأمره، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه».

أقوال المالكية

١. وصحّ أيضًا التأويل التفصيليّ عن إمام المذهب الإمام مالك[1] وهو من السّلف فقد ثبت عنه أنه قال في حديث: «ينزل ربّنا كلّ ليلة إلى السّماء الدّنيا فيقول هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له هل من سائل فيعطى»، إنما ينزل الملك بأمر ربّنا فينادي مبلّغًا عن اللّه تلك الكلمات.

وسئل الإمام مالك رحمه الله عن نزول الرب عزّ وجلّ، فقال: «ينزل أمره تعالى كل سحر، فأما هو عزّ وجلّ فإنه دائم لا يزول ولا ينتقل سبحانه لا

(١) **الرسالة الوافية**، أبو عمرو الداني، (ص١٣٦).

إله إلا هو».

٢. وقال الشيخ محمود خطاب السبكي[1]: «والنصوص في ذلك -إثبات التأويل وصرف النصوص عن ظاهرها- على أن السلف والخلف مجمعون على صرف حديث النزول عن ظاهره وأن الله منزه عن النزول بذاته لأن هذا من سمات الحوادث ومنافٍ لعموم قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ و﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص]، ومنه تعلم بطلان ما زعمه المجسمة كابن حامد وأبي يعلى وأضرابهما من أنه تعالى على العرش بذاته وينزل منه وينتقل إلى سماء الدنيا، وأن ما في مختصر الصواعق لابن القيم من أن جماعة من أهل الحديث منهم أبو الفرج بن الجوزي صرّحوا بأنه تعالى ينزل إلى سماء الدنيا بذاته كذبٌ وافتراءٌ عليهم، فقد تقدم لك قول ابن الجوزي: إنه يستحيل على الله تعالى الحركة والنقلة والتغير، والواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة، وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان لا يجوز على الله تعالى، وأنه ردٌّ لما ذهب إليه ابن حامد وأبو يعلى، ومن نسب ذلك إلى الإمام أحمد فقد كذب عليه.

ومنه تعلم أيضًا كذب ما نسب في مختصر الصواعق إلى حماد بن زيد من قوله (إن الله في مكانه يقرب من خلقه كيف يشاء)، وعلى فرض ثبوته عنه فلا يصح التمسك به ولا اعتقاده لمنافاته قوله تعالى وكذا ما نسبه إلى ابن

(١) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص ١٦٤،١٦٣).

عبد البر من أن أهل السنة مجمعون على حمل المتشابهات على الحقيقة لا على المجاز فهو كذبٌ وافتراء، فها هي كلمتهم متفقة على أنهم مجمعون على صرف المتشابه عن ظاهره لقيام الأدلة القطعية عقلية ونقلية على استحالة ظاهرها في حق الله تعالى».

٣. قال الشيخ أبو الحسن علي النوري الصفاقسي في «معين السائلين من فضل رب العالمين» ما نصه[١]: «قلت: ومعنى «ينزل ربنا»: ينزل ملك ربنا، فيقول حاكيًا عن الله: من.... إلى آخره لأن الجهة، والمكان، والحركة، والانتقال، والهبوط، والصعود من صفات الحوادث الناقصة، وجميع ذلك على المولى ـ تبارك وتعالى ـ مستحيل، فوجب التأويل».

ثم قال[٢]: «والجهات الست وهي: يمين، وشمال، وأمام، وخلف، وفوق، وتحت، وما هو بمعناها نحو: جانب، وقدام، ووراء، وأسفل وغير ذلك، فيستحيل عليه تعالى أن يكون له جهة، وأن يكون سبحانه في جهة من جهات الجرم لأن الجهات حادثة مخلوقة لله تعالى، وقد كان الله ولا جهة ولا مكان ولا زمان، وقد أجمعت جميع الطوائف على استحالة جميع الجهات عليه تعالى، إلا جهة فوق، فخالف فيها المجسمة كاليهود لعنهم

---

(١) **معين السائلين من فضل رب العالمين**، الصفاقسي، (ص ٤١).

(٢) **العقيدة النورية في معتقد السادات الأشعرية**، الصفاقسي، (ص ٨٩-٩٠).

الله، وقد وافقهم على هذا الاعتقاد الفاسد الأغبياء من عوام المسلمين [1]، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، ولو تأملوا أن السمـٰوات والعرش كلها خلق الله تعالى، أخرجها من العدم الذي كانت عليه إلى الوجود، لما اعتقدوا بوهمهم أن الله تعالى في جهة فوق أو على العرش، وأين كان قبل أن يخلق العرش؟!».

٤. الإمام الزرقاني في شرحه على موطإ الإمام مالك نقل ما نقله ابن حجر عن ابن العربي وابن فورك وزاد ما نصه[2]: «وكذا حكي عن مالك انه أوله بنزول رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال فعل الملِك كذا أي أتباعه بأمره».

٥. قال الإمام أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على الترمذي ما نصه[3]: «ثم إن الذي يتشبث بظاهر ما جاء في حديث النزول في الرواية المشهورة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له من الثلث الأخير إلى الفجر هو جاهل بأساليب اللغة العربية، وليس له مهرب من المحال الشنيع كما نص عليه الخطابي، ويلزم على ما ذهب إليه من التشبث بالظاهر أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأعراف] أن ءادم وحواء التي لم تكن نبية

---

(١) أي ممن ينتسب إلى الإسلام صورةً كما مَرَّ.

(٢) **شرح الزرقاني على موطإ الإمام مالك**، الزرقاني، (٢/٤٦).

(٣) **عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي**، ابن العربي، (ص٢٣٥).

قط سمعا كلام الله الذاتي الذي ليس بحرف ولا صوت مساويين لموسى على زعم المشبهة المتمسكين بالظواهر، فلو كان الأمر كذلك لم يبق لنبي الله موسى مزية، وذلك أن الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [سورة النساء] فخص موسى بوصف كليم الله».

وقال القاضي ابن العربي أيضًا في العارضة في شرحه على الترمذي: «واختلف الناس في هذا الحديث وأمثاله على ثلاثة أقوال فمنهم من رده لأنه خبر واحد ورد بما لا يجوز ظاهره على الله وهم المبتدعة ومنهم من قبله وأمرَّه كما جاء ولم يتأوّله ولا تكلم فيه مع اعتقاده أن الله ليس كمثله شيء ومنهم من تأوله وفسره وبه أقول لأنه معنى قريب عربي فصيح، أما إنه قد تعدى إليه قوم ليسوا من أهل العلم بالتفسير فتعدوا عليه بالقول بالتكثير قالوا في هذا الحديث دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سمـٰوات قلنا هذا جهل عظيم وإنما قال ينزل إلى السماء ولم يقل في هذا الحديث من أين ينزل ولا كيف ينزل فأما قوله ينزل فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن مَلَكه الذي ينزل بأمره ونهيه، والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني فإن حملته في الحديث على الحسي فتلك صفة الملَك المبعوث بذلك وإن حملته على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولًا عن مرتبة إلى مرتبة فهي عربية صحيحة».

٦. قال القاضي أبو بكر محمد الباقلاني المالكي الأشعري ما نصه[١]:«ويجب أن يعلم أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه، فمن ذلك: أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال، ولا القيام ولا القعود، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [سورة الشورى] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [سورة الإخلاص] ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك».

٧. قال الإمام المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي في تفسيره[٢]: «والله جلَّ ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان، وأنى له التحول والانتقال ولا مكان له ولا أوان، ولا يجري عليه وقت ولا زمان، لأنَّ في جريان الوقت على الشىء فوت الأوقات، ومن فاته شىء فهو عاجز».

قال القرطبي[٣] في تفسير سورة ءال عمران عند قوله تعالى ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [سورة ءال عمران] بعد ذكره حديث النزول وما قيل فيه ما نصه: «وأولى ما قيل فيه ما جاء في كتاب النسائي مفسرًا عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول

---

(١) **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، أبو بكر الباقلاني، (ص٦٤).

(٢) **الجامع لأحكام القرءان**، القرطبي، (٢٠/٥٥).

(٣) **الجامع لأحكام القرءان**، القرطبي، (٤/٣٩).

الله ﷺ: «**إن الله عزَّ وجلَّ يُمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا فيقول هل من داع يُستجاب له، هل من مستغفر يُغفرُ له، هل من سائل يُعطى**» صححه أبو محمد عبد الحق، وهو يرفع الإشكال ويوضح كل احتمال وأن الأول من باب حذف المضاف أي ينزل ملك ربنا فيقول. وقد روي ينزل بضم الياء وهو يبين ما ذكرنا».

٨. قال الحافظ أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي في كتابه بهجة النفوس ردًّا على المجسمة ما نصه[١]: «وأما ما زعموا من الجسمانية وتعلقوا في ذلك بظاهر قوله عليه السلام ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا الى غير ذلك من الآي والأحاديث التي جاءت في هذا المعنى فليس لهم في ذلك حجة أيضًا لأن ذلك في اللغة محتمل لأوجه عديدة كقولهم جاء زيد يريدون ذاته ويريدون غلامه ويريدون كتابه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [سورة النساء]».

أقوال الشافعية

١. قال بدر الدين بن جماعة ما نصه في كتابه[٢] «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل»: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «ينزل ربنا

(١) **بهجة النفوس**، ابن أبي جمرة، (ص ٣٩).

(٢) **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، بدر الدين بن جماعة، (ص١٦٤، ١٦٥).

كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر» الحديث ورواه أبو سعيد «إن الله يمهل حتى إذا كان ثلث الليل ينزل إلى سماء الدنيا فيقول هل من تائب يتوب».

اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفل لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه:

الأول: النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة أجسام منتقِل ومنتَقَل عنه ومنتَقَل إليه، وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجدَّدت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله وتنقلات كثيرة لأنَّ ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئًا فشيئًا، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلًا ونهارًا من قوم إلى قوم وعوده إلى العرش في كلّ لحظة على قولهم ونزوله فيها إلى سماء الدنيا، ولا يقول ذلك ذو لُبّ وتحصيل.

الثالث: أن القائل بأنه فوق العرش وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا وهي بالنسبة إلى العرش كحَلْقَة في فلاة فيلزم عليه أحد أمرين إما اتساع السماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه أو تضاؤل الذات المقدس حتى تسعه ونحن نقطع بانتفاء الأمرين.

الرابع: إن كان المراد بالنزول استماع الخلق إليه فذلك لم يحصل باتفاق وإن كان المراد به النداء من غير إسماع فلا فائدة فيه ويتعالى الله عن ذلك.

إذا ثبت ذلك فقد ذهب جماعة من السلف إلى السكوت عن المراد بذلك النزول مع قطعهم بأن ما لا يليق بجلاله تعالى غير مراد وتنزيهه عن الحركة والانتقال.

قال الأوزاعي وقد سئل عن ذلك فقال «يفعل الله ما يشاء».

وحكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوَّله على حذف المفعول أي ينزل ملكًا، ويقوّيه حديث النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا ينادي يقول: هل من داع فيستجاب له**» الحديث. وصححه عبد الحقّ.

٢. وقال الإمام أبو القاسم الأنصاري النيسابوري[١] شارح كتاب الإرشاد لإمام الحرمين بعد كلام في الاستدلال على نفي التحيز في الجهة عن الله تعالى ما نصه: «ثم نقول سبيل التوصل إلى دَركِ المعلومات الأدلة دون الأوهام، ورُب أمر يتوصل العقل إلى ثبوته مع تقاعد الوهم عنه، وكيف يدرِك العقل موجودًا يحاذي العرش مع استحالة أن يكون مثل العرش في القدر أو دونه أو أكبر منه، وهذا حكمُ كلّ مختص بجهة. ثم نقول الجوهر الفرد لا يتصور في الوهم وهو معقول بالدليل، وكذلك الوقت الواحد والأزل والأبد، وكذلك الروح عند من يقول إنه جسم، ومن أراد تصوير الأرض والسماء مثلًا في نفسه فلا يتصور له إلا بعضها، وكذلك تصوير ما لا نهاية له من معلومات الله تعالى ومقدوراته، فإذا زالت

---

(١) **شرح الإرشاد** (مخطوط)، أبو القاسم الأنصاري، (ق ٥٩).

الأوهام عن كثير من الموجودات فكيف يُطْلَبُ بها القديم سبحانه الذي لا تشبهه المخلوقات فهو سبحانه لا يُتصور في الوهم فإنه لا يُتصور إلا صورةٌ ولا يُتَقَدَّرُ إلا مُقَدَّرٌ قال الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴿١١﴾ ﴾[سورة الشورى] ومن لا مثل له لا يتمثل في الوهم، فمن عرفه عرفه بنعت جلاله بأدلة العقول وهي الأفعال الدالة عليه وعلى صفاته، وقد قيل في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة النجم] إليه انتهى فكر من تفكَّر هذا قول أبيّ بن كعب وعبد الرحمن بن أَنْعُم، وروى أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ «لا فكْرَةَ في الرب» وروى أنس أن النبي ﷺ قال: «**إذا ذكر الله تعالى فانتهوا**»، وقال: «**تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق**»».

٣. قال الإمام الحافظ النووي[١] في شرحه على مسلم عند قوله «ينزل ربنا» الحديث ما نصه: «هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما أن **أحدهما:** وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق .

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا

(١) **شرح النووي على مسلم**، النووي، (٦/٣٦، ٣٧).

تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما تأويل مالك بن أنس وغيره معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله بأمره. والثاني أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف».

٤. وقال البيهقي أيضًا في الأسماء والصفات[١]: «وأما الإتيان والمجيء فعلى قول أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه يُحْدِثُ اللهُ تعالى يوم القيامة فعلًا يسميه إتيانًا ومجيئًا لا بأن يتحرك أو ينتقل فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شيء، وهذا كقوله عز وجل: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النحل] ولم يُرد به إتيانًا من حيث النقلة وإنما أراد إحداث الفعل الذي به خرب بنيانهم وخرَّ عليهم السقف من فوقهم فسمى ذلك الفعل إتيانًا وهكذا قال في أخبار النزول إن المراد به فعل يُحدثه الله عز وجل في سماء الدنيا كل ليلة يسميه نزولًا بلا حركة ولا نقلة تعالى الله عن صفات المخلوقين».

وروى البيهقي بإسناده عن الإمام إسحاق بن راهويه وهو من أئمة السلف أنه قال[٢]: «سألني ابن طاهر عن حديث النبي ﷺ ـ يعني في النزول ـ فقلت له النزول بلا كيف».

(١) **الأسماء والصفات**، البيهقي، (٢/٣٧٠).

(٢) **الأسماء والصفات**، البيهقي، (٢/٣٧٦).

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي صاحب السنن[١]: «يجب أن يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى، ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج، ولا استقرار في مكان، ولا مماسة لشيء من خلقه، لكنه مستوٍ على عرشه كما أخبر بلا كيف بلا أين، بائن من جميع خلقه، وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان، وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنقلة، وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها، ونفينا عنها التكييف، فقد قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ١١﴾ [سورة الشورى]، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾ [سورة الإخلاص]، وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ٦٥﴾ [سورة مريم]».

٥. وقال أبو سليمان الخطابي في شرحه على البخاري عند شرح حديث النزول ما نصه[٢]: «إن الحركة والانتقال من نعوت الحدث وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا».

٦. قال الشيخ عبد الله الهرري رحمات الله عليه[٣]: «وكذلك هناك أحاديث نبوية الله تعالى أوحى بها إلى نبيّه ليبلّغها كما أوحي إليه فبلّغها

---

(١) **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**

، البيهقي، (ص١١٦).

(٢) **شرح السنة**، البغوي، (١٧٨/١٥).

(٣) ملخصًا من بعض دروسه.

لأمّته كما أوحي إليه، هذه الأحاديث أيضًا قد يفهمها الفاهم على الوجه الصّحيح وقد يفهمها العبد المخذول الذي لم يوفقه الله تعالى للصّواب والرّشاد على خلاف المراد بها.

ومن هذه الأحاديث التي لا يجوز حملها على ظواهرها بل يجب ترك حملها على الظّواهر، حديث: «ينزل ربنا كل ليلةٍ إلى سماء الدّنيا فيقول هل من مستغفر فأغفر له»، إلى آخره رواه البخاري ومسلم. هذا الحديث يفهم منه الموفق أن هذا النّزول الذي نسبه الرسول إلى الله ليس نزول حركةٍ ونقلةٍ إنما هو أمر آخر يليق بالله تعالى ليس من صفات البشر وإمّا أن يقول هذا النّزول نزول بأمر الله فإنّ الملك لما ينزل بأمر الله فينادي مبلغًا عن الله، هذا الملك ما نزل إلا بأمر الله، نزل ليبلغ عن الله تعالى فصحّ نسبته إلى الله تبارك وتعالى لأنّه هو الآمر، لأنّ هذا معروف في تخاطب العرب أنّ هذا إسناد مجازي. ينزل ربنا أي ينزل ملك ربّنا، يقال له مجاز الحذف عند علماء البيان، حذف لفظ الملك لأنّه يفهم.

العقل الصّحيح يفهم أن ظاهره غير مراد لأنّه لا يجوز على الله النّزول الذي هو من صفات البشر، فالرسول لما قال: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حينما يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من ذا الذي يدعوني فاستجيب له**» مراد الرسول أن الملائكة تنزل من فوق إلى السماء الدنيا وهم كثرة هذا بإزاء هذه البلدة وآخر بإزاء بلدة أخرى وآخر بإزاء بلدة أخرى هؤلاء يرددون كلمات مبلغين عن الله من ذا الذي يدعوني

فأستجيب له و غيرها، ثم يصعدون عند الفجر إلى مراكزهم فوق السماء الدنيا أهل السنة هكذا يعتقدون لا يفسرون بعض الآيات على الظواهر كما تفسرها الوهابية سيدنا أحمد الرفاعي قال تفسير هذه الآيات على الظواهر: «أصل من أصول الكفر»، فليس المراد أن الله يتحرك هذا كما يقال بنى الأمير المدينة، الأمير ليس هو أخذ الحجارة وركب بعضها فوق بعض إنما أمر ومع هذا يقال بنى الأمير المدينة لأنه هو الآمر فالحقيقة أن الملائكة بأمر الله ينزلون وينادون بتلك الكلمات مبلغين عن الله ثم يصعدون الى أماكنهم التي هي فوق، فوق السماء الدنيا، هذا مراد الرسول عليه السلام بقوله ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الأخير ويقول هل من داع فأستجيب له، وهل من مستغفر فأغفر له، وهل من سائل فأعطيه. هم الذين ينزلون ويصعدون الى أماكنهم ليس معنى الحديث أن الله هو ينزل الى السماء الدنيا بذاته، ثم اعلم أن الله تعالى العرش والأرض السابعة بالنسبة الى ذاته على حد سواء، لا يقال إنه قريب من العرش بذاته بحيث يكون بعيدًا من الأرض السابعة، والعرش ما خلقه ليتخذه مركزًا له ومستقرًا خَلَقَه ليكون كعبة للملائكة، الملائكة يطوفون بالعرش كما نحن نطوف بالكعبة في مكة هذا وظيفة العرش.

فالله تعالى يأمر الملائكة بالنزول فينزلون، مسافة خمسين ألف سنة من العرش الى السماء الدنيا، أكثر من مسيرة خمسين ألف سنة لكن

الملائكة لو كان أحدهم عند العرش سهل عليهم أن ينزلوا في دقيقة إلى الأرض، الله تعالى جعل أجسادهم لطيفة أرق من الهواء، الهواء اذا لمسك تشعر بأنه لمسك، أما الملائكة قد لا تشعر أنهم لمسوك من شدة لطافة أجسامهم ولا يتعبون ما خلق فيهم التعب».

٧. قال ابن حجر[١]: «وقال الشيخ البيضاويّ: لما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزّه عن الجسمية والتحيُّز، امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه».

٨. إمام الحرمين الجويني يقول في «الإرشاد» أثناء كلامه عما روي بشأن النزول[٢]: «وأما الأحاديث التي يتمسكون بها، فآحاد لا تفضي إلى العلم، ولو أضربنا عن جميعها لكان سائغًا، لكنَّا نومئ إلى تأويل ما دوّن منها في الصحاح، فمنها حديث النزول، وهو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة جمعة ويقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فأجيب له» الحديث، ولا وجه لحمل النزول على التحول وتفريغ مكان وشغل غيره فإنّ ذلك من صفات الأجسام ونعوت الأجرام، وتجويز ذلك يؤدي إلى طرفي نقيض، أحدهما الحكم بحدوث الإله، والثاني القدح في الدليل على حدوث الأجسام والوجه حمل النزول وإن كان مضافًا إلى الله تعالى، على نزول

---

(١) **فتح الباري**، ابن حجر، (٣/٣١).

(٢) **كتاب الإرشاد**، إمام الحرمين الجويني، (ص١٥٠، ١٥١).

ملائكته المقربين وذلك سائغ غير بعيد ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴿٣٣﴾﴾[سورة المائدة].

معناه: إنما جزاء الذين يحاربون أولياء الله، ولا يبعد حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تخصيصًا».

٩. وقال[١] العلامة شرف الدين بن التلمساني رحمه الله: «وأما الظَّواهر النقلية المشعرة بالجسمية والجهة.

عنى بظاهر النقلية تمسكهم:

بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[سورة طه].

وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الملك].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[سورة الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴿٧٥﴾﴾[سورة ص].

وقوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴿١٤﴾﴾ [سورة القمر].

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة القلم].

وقوله ﷺ: «**ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له**».

وقوله ﷺ في طلب النار الاستزادة: «**حتى يضع الجبار فيها قدمه**

---

(١) **شرح معالم أصول الدين**، شرف الدين بن التلمساني، (ص ١٨٢).

فتقول: قط قط».

واكتفاؤه ﷺ في إسلام الجارية بإشارتها إلى السماء، فقال: «أعتقها فإنها مؤمنة».

ورفع الأيدي إلى السماء عند الدعاء.

ومما يعتمدونه في التشبيه قوله ﷺ: «إن الله خلق ءادم على صورته».

فَالْجواب الكلِّي عنها، يعني من غير تعرض لتفصيل ما أشعرت به هذه الألفاظ، وحملها على محامل تصح نسبتها إلى الله تعالى لا يأباها العقل[1].

أَن القواطع الْعَقليَّة، يعني ما تقدم ذكره.

دلت على امْتنَاع الجسمية والجهة.

والظواهر النقلية، يعني التي ذكرناها وأشباهها.

مشعرة بِحصول هذَا المعنى والجمع بين تصديقهما محال وإلَّا لزم اجتماع النقيضين، والْجمع بين تكذيبهما محال وإلَّا لزم الخلو عَن النقيضين، يعني فتعيَّن العمل بأحدهما وتأويل الآخر[2].

والْقوْل بترجيح الظواهر النقلية على القواطع الْعقليَّة محَال لِأَن النّقل فرع عن العقل[3]، يعني أن النقل شاهده العقل السليم.

فالقدح فِي الأَصْل لتصحيح الفرع يوجب الْقدح فِي الأَصل والْفرع

---

(١) **شرح معالم أصول الدين**، شرف الدين بن التلمساني، (ص ١٨٥).

(٢) **شرح معالم أصول الدين**، شرف الدين بن التلمساني، (ص ١٨٥).

(٣) العقل شاهدٌ لصحة ما جاء به الشرع وليس هو الأصل.

معًا وَهُو بَاطِل، يعني أن العقل شاهد النقل، فإذا كذبه لم يثبت شرعٌ ولا عقلٌ.

فلم يبق إِلَّا الْإِقرار بِمقتَضى الدَّلائل الْعقلِيَّة، يعني من التنزيه عن سمات الحدوث والتشبيه.

وحمل الظَّوَاهر النقلية إِمَّا على التّأويل، يعني اعتقاد أن المراد بها معنًى غير ظاهرها.

وإِما على تَفوِيض علمها إِلى الله سبحانه وتعالى وهو الْحق»[1].

١٠. قال الحافظ محمد عبد الرؤوف المناوي في كتابه «فيض القدير شرح الجامع الصغير» وفي كتاب «التيسير بشرح الجامع الصغير» ما نصه[2]: «نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة»، ثم قال في «فيض القدير» ما نصه[3]: «لا نزول حركة وانتقال لاستحالته عليه تقدس فهو نزول معنوي».

١١. وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري[4]: «وقال ابن العربي النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك

---

(١) **شرح معالم أصول الدين**، شرف الدين بن التلمساني، (ص ١٨٦).

(٢) **التيسير بشرح الجامع الصغير**، محمد عبد الرؤوف المناوي، (١/٢٧٨).

(٣) **فيض القدير**، محمد عبد الرؤوف المناوي، (٢/٣١٦).

(٤) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، (٣/٣٠).

عبارة عن مَلَكه الذي ينزل بأمره ونهيه». ثم قال: «والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه. وحكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي يُنزِل ملَكا قال الحافظ ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد: «أن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا يقول هل من داع فيستجاب له» الحديث، وحديث عثمان بن أبي العاص عند أحمد «ينادي مناد هل من داع يستجاب له.... » الحديث، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال، وقال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد نور رحمته».

١٢. وقال القسطلاني في شرحه على البخاري عند ذكره لهذا الحديث[١]: «هو نزول رحمة ومزيد لطفً وإجابة دعوة وقبول معذرة، لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله فهو نزول معنوي»، ثم قال: «نعم يجوز حمله على الحسي ويكون راجعًا إلى ملَكه الذي ينزل بأمره ونهيه».

(١) **إرشاد الساري**، القسطلاني، (٢/٣٢٣).

١٣. الحافظ السيوطي قال في أثناء كلامه في شرح حديث النزول في «تنوير الحوالك»[١]: «فالمراد إذن نزول أمره أو الملك بأمره، وذكر ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه يُنزل بضم أوله على حذف المفعول أي يُنزل ملكًا».

١٤. قال ولي الدين أبي زرعة العراقي[٢] في كتابه «الغيث الهامع شرح جمع الجوامع»: «قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ۝٢٢﴾ [سورة الفجر] وقوله عليه الصلاة والسلام: «**ينزل ربنا في كل ليلة إلى سماء الدنيا**» فإنا ننزه الله تعالى عند سماعه عما لا يليق به، ولأئمتنا فيه مذهبان مشهوران:

أحدهما: تفويض المراد منه إلى الله تعالى، والسكوت عن التأويل مع الجزم بأن الظواهر المؤدية إلى الحدوث أو التشبيه غير مرادة وهو مذهب السلف.

ثانيهما: أنا نؤولها على ما يليق بجلال الله تعالى بشرط كون المتأول متسعًا في لغة العرب».

١٥. قال أبو عبد الله بدر الدين الزركشي[٣] في «تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي»: «وقوله ﷺ: «**ينزل ربنا كل ليلة**» فإنا ننزه عند سماعه عما لا يليق به.

---

(١) **كتاب تنوير الحوالك**، السيوطي (١/١٦٧)

(٢) **الغيث الهامع شرح جمع الجوامع**، ولي الدين أبي زرعة العراقي، (ص٧٤١، ٧٤٢).

(٣) **تشنيف المسامع بجمع الجوامع**، بدر الدين الزركشي، (٤/٦٧٦).

وللعلماء فيه مذهبان مشهوران:

فمنهم: من يفوض علمه إلى الله تعالى ويسكت عن التأويل بشرط الجزم بالتنزيه والتقديس واعتقاد عدم إرادة الظواهر المفضية للحدوث والتشبيه، وهذا مذهب السلف رحمهم الله تعالى ولهذا يقفون على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ٧﴾ [سورة آل عمران] ثم يبتدئون: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ٧﴾ [سورة آل عمران] وقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف فقولهم: كما جاءت رد على المعطلة، وقولهم بلا كيف رد على المشبهة.

ومنهم: من يقول بالتأويل وهو مذهب الخلف وشرطوا كون التأويل لإيفاء بجلال الله تعالى وكون المؤول متسعًا في لغة العرب، ولهذا قال بعضهم: «مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم»، أي أحوج إلى مزيد من العلم واتساع فيه.

وقال ابن القشيري في تفسيره: «تعلق قوم باختيار الجهل في ذلك مع دعوى الأخذ بالظاهر ولا يخفى أن الظاهر التشبيه في كل لفظ يوهم التشبيه، فإن اعترف هؤلاء بأنهم لا يشبهون فقد تركوا الظاهر بالضرورة وعند ترك الظاهر فلا مانع من تكلف تأويل ممكن».

واحتج ابن عطية للمتأولين بأن الكل أجمعوا على تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ٤﴾ [سورة الحديد] أنَّ معناه بقدرته وعلمه وإحاطته

قال: «وهذه آية أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها، وأنها تخرجه عن معنى لفظها المعهود»، وقال: «وتأولهم هذا حجة عليهم في غيره».

أقوال الحنابلة

١. الحافظ المتبحر عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي في كتابه «الباز الأشهب» بعد ذكر حديث النزول ما نصه[1]: «إنه يستحيل على الله عزَّ وجلَّ الحركة والنقلة والتغير، وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام جسم عال وهو مكان الساكن وجسم سافل وجسم ينتقل من علو إلى أسفل وهذا لا يجوز على الله قطعا».

وقد ثبت عن الإمام أحمد بن حنبل أنه أوَّلَ[2] روى ذلك البيهقي في كتابه «مناقب أحمد» يدفع فيه ما نَسَبَ إليه بعض أصحابه من الكلمات الموهمة. ومن جملة ما فيه نقلًا عن الإمام أبي الفضل التميمي رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها: «وأنكر ـ يعني أحمد ـ على من يقول بالجسم وقال إنّ الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسَمكٍ وتركيب وصورة وتأليف والله

---

(١) **الباز الأشهب**، ابن الجوزي، (ص٣٦).

(٢) **اعتقاد الإمام المبجّل**، أبو الفضل التميميّ، (١/٢٩٨).

تعالى خارج عن ذلك كله فلم يجز أن يسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل».

٢. قال الشيخ محمد السفاريني الحنبلي في كتاب «لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية» ما نصه[١]: «قال أهل التأويل إن العرب تنسب الفعل إلى من أمر به كما تنسبه إلى من فعله وباشره بنفسه قالوا والمعنى هنا إن الله تعالى يأمر ملكًا بالنزول إلى السماء الدنيا فينادي بأمره، وقال بعضهم إن قوله: «ينزل» راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته المقدس فإن النزول كما يكون في الأجساد يكون في المعاني أو راجع إلى الملَك الذي ينزل بأمره ونهيه تعالى، فإن حمل النزول في الأحاديث على الجسم فتلك صفة الملَك المبعوث بذلك وإن حمل على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل سمى ذلك نزولًا من مرتبة إلى مرتبة فهي عربية صحيحة والحاصل أنَّ تأويله على وجهين إما بأن المراد ينزل أمره أو الملَك بأمره وإما أنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم، ونحو ذلك كما يقال نزل البائع في سلعته إذا قارب المشتري بعدما باعده وأمكنه منها بعد منعه، والمعنى هنا أن القرب في هذا الوقت أقرب إلى رحمة الله منه في غيره من الأوقات وأنه تعالى يُقبِلُ عليهم بالتحنن والعطف -أي يلطف بهم ويرحمهم ويوفقهم للخير وليس معنى ذلك التأثر والانفعال النفساني لأن الله منزه عن كل ما كان من صفات المخلوقين- في هذا الوقت بما يُلقيه

---

(١) **لوامع الأنوار البهية**، السفاريني، (٢٤٨/١).

في قلوبهم من التنبيه والتذكير الباعِثَين لهم على الطاعة، وقد حكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبط رواية البخاري بضم أوله على حذف المفعول أي يُنزل ملكًا قالوا ويقويه ما روى النسائي وغيره عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يُمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا يقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى**» قال القرطبي صححه عبد الحق، قالوا: وهذا يرفع الإشكال ويُزيل كل احتمال والسنة يُفسر بعضها بعضًا وكذا الآيات، قالوا: ولا سبيل إلى حمله على صفات الذات المقدس فإن الحديث فيه التصريح بتجدد النزول واختصاصه ببعض الأوقات والساعات وصفات الرب جل شأنه يجب اتصافها بالقدم وتنزيهها عن التجدد والحدوث، قالوا: وكل ما لم يكن فكان أو لم يثبت فثبت من أوصافه تعالى فهو من قبيل صفة الأفعال، قالوا: فالنزول والاستواء من صفات الأفعال».

المبحث السابع:
كشف التخليط في حديث الأطيط

هذا الحديث ضعفه العلماء ولم يصححه إلا المشبهة وهو يخالف ما جاء به ديننا الحنيف ولا يمكن أن يكون النبي يحدد الله ويجعله

يجلس ويسمع له صوت أطيط مثل هذا الكلام لا يقوله النبي ﷺ وهو تكذيب للقرءان والأنبياء والإسلام وهو عقيدة اليهود المشبهة المجسمة فنرد حديث الأطيط من وجوه.

ـ **أولًا**: يلزم من إثبات هذه الصفة محذور عند أهل السنة والجماعة وهو فاسد قطعًا من عدة طرق:

- في إثبات جلوس الرب عليه إثبات للثقل في حقه تعالى الله عن ذلك لأنه يسَبّبُ ضغطًا حقيقيًا عند جلوسه وإثبات كونه مجسمًا من مادة وقد ثبت تنزه الرب عن المادة والمكان فكان قولهم محالًا.

- الجلوس على العرش ليس من صفات الكمال بل هي من صفات العجز فالملك من ملوك الدنيا إنَّما يجلس ليرتاح بعد تعب، إنما يجلس لتخدمه الناس والله لا يتعب يقول في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة ق] فكيف يقال أنَّ خالق هذا العالم يتحرك ويسمع لحركته صوت أطيط يشبه صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها، والله لا يحتاج لخدمة قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [سورة الإخلاص] أي يحتاج إليه كل أحد وهو لا يحتاج لأحد قادر على كل شىء لا يعجزه شىء فالله غني عن الجلوس، والجلوس ليست صفة مدح لأن الإنس والجن والملائكة والبهائم يجلسون فلو كان الجلوس بذاته صفة مدح لكان الكلب والخنزير والقرد ممدوح بذلك.

- هذا الحديث هو شبيه بكلام اليهود الذين يقولون «الرب يجلس على العرش» وهذا مشهور عندهم وليس من كلام أهل السنة والجماعة بل أهل السنة يكفرون من يقول بذلك كما قال إمامهم الشافعي رضي الله عنه: «من اعتقد أنَّ الله جالس على العرش فهو كافر» رواه ابن المعلم القرشي في كتابه «نجم المهتدي ورجم المعتدي» وروا الفقيه الشافعي نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة في كتابه «كفاية النبيه شرح التنبيه» في كتاب الصلاة باب صفة الأئمة عن القاضي حسين عن نص الشافعي.

- في إثبات الصوت للعرش دليل على عجز الخالق لأنهم يقولون أنه يئط وقولهم يئط معناه عندهم أن الله يتحرك حتى يصدر هذا الصوت، والتحرك عند أهل السنة منفي عن الله وبإثبات المشبهة التحرك أثبتوا السكون له وبإثباتهم هذا شبهوا الله بالخلق وجعلوه عاجزًا والله لا مثيل له بوجه من الوجوه.

- وفي هذا الحديث المكذوب فيه لفظ «يبقى مقدار أربع أصابع» ومعناه باقي أجزاء العرش الله عليها ولو كان عليها كان جسمًا في حيز والحيز لا يحوي إلا ما كان محدودًا وفي جهة من الجهات الست وهم جعلوه في جهة فوق فجعلوه محاطًا فيلزم من ذلك احتياجه إلى غيره، احتياجه إلى من جعله في هذا المكان الذي يحل به ويبقى فيه أربعة أصابع والاحتياج دليل الحدوث فلا يكون واجب الوجود ولا

يكون خالقًا وهذا محال وكلامهم وأخذهم بهذه النصوص تجسيم محض وتلبيس على الأمة.

ـ **ثانيًا**: هذا الحديث لو حمل على ظاهره لكان معناه التشبيه والتشبيه على الله محال كما بينَّا سابقًا وزد على هذا نُقول في تضعيفه:

- ذكر الطيبي في شرحه على المشكاة قال[1]: «هذا الكلام إذا أجري على ظاهره كان فيه نوع من الكيفية، والكيفية عن الله سبحانه وتعالى وعن صفاته منفية».

- قال أبو الفتح الشهرستاني[2] في كتابه «الملل والنحل» في ذكره المشبهة: «أجروها على ما يتعارف في صفات الأجسام، **وزادوا في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي عليه السلام، وأكثرها مقتبسة من اليهود**، فإن التشبيه فيهم طباع، حتى قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه، وأن العرش ليئط من تحته كأطيط الرحل الحديد، وأنه ليفضل من كل جانب أربع أصابع».

- وقال بدر الدين بن جماعة[3] في كتابه «الإيضاح»: «**الحديث الثاني عشر**: عن عبد الله بن خليفة قال فيه الكرسي الذي يجلس عليه

---

(١) **الكاشف عن حقائق السنن**، شرف الدين الطيبي، (١١/٣٦٢٥).

(٢) **الملل والنحل**، أبو الفتح الشهرستاني، (١/١٠٦).

(٣) **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، بدر الدين بن جماعة، (ص٢١٣).

الرب ما يفضل منه إلا أربع أصابع وإن له أطيطا كأطيط الرحل الحديث، وحديثه الآخر عنه عن عمران إن كرسيه فوق السموات والأرض وإنه يقعد عليه فما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع» قال فيهما: «هذان الحديثان باطلان مردودان مضطربان إسنادًا ولفظًا وعبد الله بن خليفة مجهول لا يعرف من هو ثمَّ تارة يرفع الحديث وتارة يوقفه وفي رواته الحكم وعثمان مجهولان ولعله من وضع بعض المبتدعة أو الزنادقة ولقد أنكر على الدارقطني رواية مثل هذا الحديث وإيداعه كتبه وكيف تثبت صفة الباري تعالى بمثل ذلك الخبر الواهي، ولقد غلب على كثير من المحدثين مجرد النقل مع جهلهم بما يجب لله تعالى من الصفات».

ـ **ثالثًا**: لا بد أن يعلم أن المعول عليه في إثبات الصفات لله كتاب الله أولًا، وثانيًا السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ ، فلا تثبت الأسماء والصفات من الأحاديث الضعيفة فعلى هذا ليس لله صفة جلوس.

ـ **رابعًا**: قد ألَّف الحافظ أبو القاسم ابن عساكر جزءًا سمَّاهُ «**بيان التخليط في حديث الأطيط**» بيَّن فيه وجوه التخليط في روايات الأطيط، فلينظره من شاء.

ـ **خامسًا**: لا يلزم من إيراد عالمٍ من علماء أهل السنة حديث الأطيط في كتابٍ لم يشترط فيه ذكر الصحيح أن يكون هذا الحديث معتمدًا، ومعلوم أنه قيل في أصح كتب الحديث مسلم والبخاري ما قيل وردَّ

العلماء بعض الأحاديث فيها فكيف لنا أنَّ نثبت جلوسًا للرب وصوتًا لجلوسه وتكييفًا من هكذا روايات ساقطة مردودة.

ـ **سادسًا**: هذا الحديث روي بروايات ضعيفة مختلفة وكثرة رواياته واختلافه وعدم القدرة على الجمع بينهم تدل على ضعفه فقد قال ابن الجوزي في دفع الشبه[1] ما نصه: «هذا حديث مختلف جدًا، فتارةً يروى عن عبد الله بن خليفة عن عمر عن رسول الله ﷺ وتارة عن عمر موقوفًا عليه. وقد رواه أبو إسحاق ـ فيما قيل ـ عن ابن خليفة عن ابن عمر قال: «إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرحل». ورواه ابن جرير عن عبد الله بن خليفة قال: قال رسول الله ﷺ: إن كرسيه وسع السموات والأرض وإنه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع ثم قال بأصبعه فجمعها.. وإنَّ له أطيطًا كأطيط الرحل إذا ركب من ثقله» ما هذا إلا دليل على الخليطى في هذا الحديث والضعف الشديد الذي يعتوره فالحذر الحذر من حمل المتشابه على ظاهره وترك المحكم فإنّ فيه الخطر الشديد الشديد على الأمة أمة المسلمين.

المبحث الثامن:
خلاصة مهمة في إبطال تجسيمهم

(١) **دفع شبه التشبيه**، ابن الجوزي، (ص٢٤٧، ٢٤٩).

قول المشبهة: «إنَّ الله بذاته في جهة فوق» هذا تعطيل أي إنكار لوجود الخالق لأنهم اعتقدوا في جسم من الأجسام أنه فوق العرش وأنه هو الله وبذلك فقد أثبتوا الألوهية لشيء مخلوق يزعمون أنَّه فوق العرش ولا وجود له وبذلك فقد عبدوا غير الله فصاروا عبدة الأجسام والصور، وأما الله سبحانه فليس جسمًا وليس متحيزًا في السماء أو العرش ولا في أي جهة من الجهات لأنه هو ربها وخالقها وهو موجود قبلها ولا يحتاج إليها، لأن الشيء الذي له مكان هو عاجز مخلوق محتاج لهذا المكان والمحتاج لا يكون إلهًا ويكون له مخصص خصصه بأن يكون في هذا المكان بدل غيره والشيء الذي له مكان:

١. إما أن يكون أكبر من المكان فيكون مبعضًا بعضه في المكان وبعضه خارج هذا المكان والتبعض والتجزؤ صفة الجسم ولذلك قال سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما «نوحده ولا نبعضه»، وقال تعالى في ذم المشركين الكافرين المجسمة: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ ١٥﴾ [سورة الزخرف].

٢. وإما أن يكون أصغر من المكان فيكون محصورًا وهذا فيه إثبات المساحة والمسافة وصغر الحجم وأنَّ المكان يحيط به ويحاصره وهذه صفة الأجسام والمخلوقين العاجزين.

٣. وإما أن يكون بقدر المكان وهذا معناه أنَّه مماثل للمكان والمكان مثله والإله لا مثل له قال تعالى ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ ٧٤﴾ [سورة النحل]

ومن كان له مثل أو أمثال فهو مخلوق لا شك، والمخلوق لا يستطيع أن يخلق نفسه ولا غيره.

وبما أن العالم موجود ووجود العالم معروف بالحس والمشاهدة والله موجود ليس جسمًا ولا مكان له لأنه لو كان في مكان أو كان جسمًا لم يكن مستطيعًا ولا قادرًا على إيجاد العالم ولكان العالم معدومًا ولم يكن مشاهدًا لأن الجسم لا يخلق شيئًا، وبما أن العالم موجود ومحسوس ومشاهد ثبت بالدليل العقلي والسمعي أن موجده لا يشبهه بوجه من الوجوه فثبت بهذا أن الله منزه عن الجسمية وعن صفاتها وعن التحيز والحلول في الجهات والأماكن.

ثم إن الذي يقول الله جسم أو حجم أو كمية أو هو في جهة الفوق أو بذاته على العرش أو يسكن السماء يلزمه على قوله أن يكون الجسم والحجم والمخلوق هو الخالق للكون وللعالم وهذا كفر صراح بواح، ويلزمه على قوله أن يكون الله حادثًا مخلوقًا عاجزًا ضعيفًا، له بداية ليكون في المكان، والمكان مخلوق، وتجوز عليه النهاية، وإنا لنتعجب!! كيف يكون الأزلي الأبدي على زعم وهابية زماننا والمجسمة والمشبهة السابقين حال في شىء حادث مخلوق له بداية وهو العرش والسماء والمكان فقولهم هذا ساقط باطل يدل على سخافة عقولهم وعلى أنهم لا يميزون بين الخالق والمخلوق وبذلك يكونون قد اعتقدوا الألوهية والربوبية في المخلوقين.

والاحتمال الآخر على مقتضى قولهم أن يكون المكان أزليًا مع الله ليكون الله فيه وهذا شرك وهراء لأنهم بذلك يثبتون شريكًا لله في الأزلية وهذا تكذيب لقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ۝٣﴾ [سورة الحديد].

ثم قول الوهابية وقبلهم ابن تيمية وابن بطة والذهبي وابن عبد البر وابن قيم الجوزية وأضرابهم من كل المجسمة والمشبهة السابقين واللاحقين الذي يقولون: «إنَّ الله كان متسفلًا ثم لما خلق العرش استقر عليه» فوصفوه بالحدوث والاحتياجية والتغير والاستقرار والقعود والجلوس والتحول من حال إلى حال وأثبتوا له المكان والحركة والسكون والزيادة والنقصان وكل هذه الصفات الحادثة راجعة في الأصل إلى وصفهم لله تعالى بصفتان من صفات خلقه وهما العلو المكاني والحسي والاستقرار وهما مستحيلان على رب العالمين لأنهما أي علو المسافة والاستقرار:

١. يستدعيان أن الله تعالى كان متسفلًا ثم ارتفع.
٢. ويستدعيان أن الله مخلوق له بداية لم يكن موجودًا ثم غيره أوجده.
٣. ويستدعيان الاستقرار وهذا أمر متعلق باستقرار واتصال جسم أعلى بجسم أسفل وهو إثبات المكان لله.
٤. ويستدعيان احتياج الله لغيره وهو المكان ليكون مستقرًا فيه أو عليه.

٥. ويستدعيان أزلية المكان وغيره كالتغير والصفات المخلوقة الحادثة والحق الذي لا مرية فيه ـ أي شك ـ أن الله وحده هو الأزلي الأبدي لا شريك له في ذلك.

٦. ويستدعيان حلول الله في الكائنات في العرش والمكان، وهو أمر محال بإجماع أهل السنة والجماعة بل هو كفر بإجماع الأنبياء والأولياء وكل المسلمين كما نقل هذا الإجماع الحافظ السيوطي.

٧. ويستدعيان أن الله يوصف بالحركة والانتقال وهو أمر محال على الله.

٨. ويستدعيان نسبة العجز إلى الله حيث إن التحرك والانتقال والمباشرة يدل على الاحتياج وعلى الحدوث ويقتضي عدم التمكن من الفعل في شأن نفسه أو في شأن غيره إلا بالحركة والمباشرة، وعدم وجود هذا التمكن إلا بالحركة فيصير بذلك عاجزًا عن تحصيل ما يريد إلا بالحركة ـ والحركة صفة مخلوقة لأنها تقوم بالمخلوق وهذا مستحيل على الله تعالى ـ.

٩. ويستدعيان التغير على الله من حال إلى حال والله أزلي أبدي يغير في المخلوقات بمشيئته الأزلية التي لا تتغير فهو سبحانه يغير ولا يتغير.

١٠. ويستدعيان أزلية الأحوال وأزلية التغير وأزلية المكان وأزلية المخلوق وأزلية الأجسام وهذا تكذيب لله وللأنبياء وللقرءان والإسلام.

١١. ويستدعيان حدوث صفاتٍ لله تعالى لم يكن متصفًا بها في الأزل ولم يأت بها الشرع ولا ورد بها التوقيف.

١٢. ويستدعيان حدوث ذات الله وصفاته وهذا من أشنع وأبشع الكفر.

١٣. ويستدعيان أنَّ الله تعالى مجعول لجاعل مخلوق لخالق وهذا يؤدي إلى الدور والتسلسل.

١٤. ويستدعيان أنَّ المخلوق خلق الله لأنهَّ لو كان حادثًا مخلوقًا لكان موجده ومحدثه مخلوقًا أيضًا لأنهم وصفوا الخالق بالجسمية والاستقرار والمكان وإذا كانت هذه صفة الخالق فإن كان الخالق بزعمهم هو الله أو غيره وقد وصفوه بصفات المخلوقين فقد قالوا بأن المخلوق خلق الخالق وتنزه الله عن قولهم.

١٥. ويستدعيان أنَّ الله تعالى محمول من قبل خلقه لأنهم بوصفهم له بالاستقرار والجلوس فيكون محمولًا من قبل العرش أو الكرسي أو المكان الذي يستقر فيه أو عليه وهذه صفة المخلوق فالمخلوق يحمل مخلوقًا آخر كما في قوله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ [سورة الحاقة]، فالملائكة مخلوقون يحملون العرش المخلوق ولو كان الله تعالى مستقرًا على العرش على قول الوهابية والمجسمة لكانت الملائكة والعرش يحملون الله وهذا دليل الاحتياج والعجز والضعف ويستدعيان أن الله حادث له بداية وتجوز عليه النهاية والفناء والموت وتقدس الله

وتنزه عن كل صفات الحدوث والتغير والتبدل والإحساس والشعور واللذة والألم والانبساط والانزعاج والتطور وتنزه عن القعود والجلوس والشكل والحجم والكمية والصورة والأعضاء والجوارح والأدوات والحلول في مكان واحد أو في كل الأماكن.

ولزيادة الفائدة والتثبت والتحقيق بعقيدة أهل السنة إليكم بعض النقول التي هي أصل ومرجع ودفع للشرك والباطل من أئمة المذاهب الأربعة:

- قال أبو حنيفة ومن قبله ومن بعده من علماء الأمة الإسلامية: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر»[١]، نقله الطحاوي في عقيدته.
- ونقل الفقيه الحنفي محمد بن محمد علاء الدين البخاري في كتابه «ملجمة المجسمة»[٢] الإجماع على كفر المجسمة فقال ما نصه: «ومن قال بأن الله جسم فهو كافر إجماعًا. قال إمام الحرمين في الإرشاد: إثبات الجهة لله كفر صراح».
- وقال الإمام مالك: «أرى في أهل الأهواء ـ وأهل الأهواء أهل البدع الاعتقادية الكفرية كالمشبهة المجسمة وكل العقائد المكذبة للقرءان والإسلام ـ أرى أن يعرضوا على السيف فإن

---

(١) **إظهار العقيدة السنية**، عبد الله الهرري، (ص١٧٥).

(٢) **ملجمة المجسمة**، محمد بن محمد علاء الدين البخاري، (ص٦١).

رجعوا وإلا ضربت أعناقهم»، رواه الحافظ ابن المنذر في كتابه الإشراف. وهذا بالنسبة للخلفاء والحكام.

- قال الإمام الشافعي: «من اعتقد أن الله جالس على العرش فهو كافر»، رواه ابن المعلم القرشي في كتابه «نجم المهتدي ورجم المعتدي»، ورواه ابن الرفعة في كتابه «كفاية النبيه».
- وقال الإمام الحرمين في كتابه الإرشاد: «ومذهب أهل الحق قاطبة أن الباري سبحانه وتعالى يتعالى ـ أي يتنزه ـ عن التحيز والتخصص بالجهات، وذهبت الكرامية وبعض الحشوية إلى أن الباري ـ تعالى عن قولهم ـ متحيز بجهة فوق، ومن الدليل على فساد ما انتحلوه أن المختص بالجهات تجوز عليه المحازاة مع الأجسام وكل ما حازى الأجسام لم يخلُ من أن يكون محاذيًا لأقدارها أو لأقدار بعضها أو يحاذيها منه بعضه وكل أصل قاد إلى تقدير الإله وتبعيضه فهو كفر صراح».
- وقال الإمام أحمد بن حنبل: «من قال الله جسم لا كالأجسام كفر»، رواه بدر الدين الزركشي في «تشنيف المسامع»[1].

---

(١) وللتوسع والتبحر في معرفة نقول أئمة وعلماء المذاهب الأربعة في تنزيه الله عن الجهة والكيفية والتحيز والمكان والقعود والجلوس والاستقرار على الله تعالى انظر كتابنا «**معجم أهل الإيمان في تنزيه الله عن الجهة والكيفية والمكان**» وهو أربع مجلدات.

المبحث التاسع:

خلاصة مهمة في نقض شبههم الواهية

قال محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن»[1] في دفع شبه المجسمة التي يلقونها على العوام ليضلوهم وليدخلوهم في زمرة الكفَّار أجارنا الله وإياكم من الشبه وأهل الشبه والأهواء قال:

الشبهة الأولى ودفعها: يقولون إنَّ القولَ بأنّ الله لا جهة له وأنَّه ليس فوقًا ولا تحتًا ولا يمينًا ولا شمالًا إلى غير ذلك يستلزم أنَّ الله غير موجود أو هو قول بأنَّ الله غير موجود فإنَّ التجرد من الإنصاف بهذه المتقابلات جملة أمر لا يوسم به إلا المعدوم ومن لم يتشرف بشرف الوجود. وندفع هذه الشبهة بأمور:

أولها: أنَّ هذا قياس للغائب[2] على الشاهد وقياس الغائب على الشاهد فاسد ذلك أنَّ الله تعالى ليس يشبه خلقه حتى يكون حكمه كحكمهم في وجوب أن يكون له جهة من الجهات الست ما دام موجودًا وكيف يقاس المجرد عن المادة بما هو مادي ثمَّ كيف يستوي

---

(١) **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزرقاني، (٢/٢٩٣ ـ ٢٩٥).

(٢) مراده بالغائب الغائبُ عن الحس أي الذي لا يدرك بالحس، وفي التحرير لابن همام وشرحه لتلميذه ابن أمير الحاج تقبيح التعبير عن الله بالغائب. **التقرير والتحبير على التحرير**، ابن أمير الحاج، (٣/١٦٧).

الخالق وخلقه في جريان أحكام الخلق على خالقه، إنَّ المادي هو الذي يجب أن يتصف بشيء من هذه المتقابلات وأن تكون له جهة من تلك الجهات أمَّا ذات الله تعالى فترتفع عنه هذه الصفات كلها ولا يمكن أن تكون له أية جهة من هذه الجهات جميعها ونظير ذلك أن الإنسان لا بد أن يكون له أحد الوصفين فإمَّا جاهل وإمَّا عالم أمَّا الحجر فلا يتصف بواحد منها ألبتة فلا يقال إنَّه جاهل ولا إنَّه عالم بل العلم والجهل مرتفعان عنه بل هما ممتنعان عليه لا محالة لأنَّ طبيعته تأبى قابليته لكليهما وهكذا تنتفي المتقابلات كلها بانتفاء قابلية المحل لها أيًا كانت هذه المتقابلات وأيًا كان هذا المحل الذي ليس قابلًا لها فيمتنع مثلًا أن توصف الدار بأنَّها سمعية أو صمَّاء وأن توصف الأرض بأنَّها متكلمة أو خرساء وأن توصف السماء بأنها متزوجة أو أيِّم وهلمَّ جرًا.

ثانيًا: نقول لهؤلاء أين كان الله قبل أن يخلق العرش والفرش والسماء والأرض وقبل أن يخلق الزمان والمكان وقبل أن تكون هناك جهات ست فإن قالوا لم يكن له جهة ولا مكان نقول قد اعترفتم بما نقول نحن به وهو الآن على ما عليه كان لا جهة له ولا مكان وإن زعموا أنَّ العالم قديم بقدم فقد تداووا من داء بداء واستجاروا من الرمضاءِ بالنار ووجب أن ننتقل بهم إلى إثبات حدوث العالم والله هو ولي الهداية والتوفيق.

ثالثًا: نقول لهؤلاء إذا كنتم تأخذون بظواهر النصوص على حقيقتها فماذا تفعلون بمثل قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ١٦﴾ [سورة تبارك] مع قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة الأنعام] أتقولون إنَّه في السماء حقيقة أم في الأرض حقيقة أم فيهما معًا حقيقة وإذا كان في الأرض وحدها حقيقة فكيف تكون له جهة فوق وإذا كان فيهما معا حقيقة فلماذا يقال له جهة فوق ولا يقال له جهة تحت ولماذا يشار إليه فوق ولا يشار إليه تحت ثمَّ ألا يعلمون أنَّ الجهات أمور نسبية فما هو فوق بالنسبة إلينا يكون تحتًا بالنسبة إلى غيرنا فأين يذهبون!.

رابعًا: نقول لهؤلاء ماذا تقولون في قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ١٠﴾ [سورة الفتح] بإفراد اليد مع قوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ٧٥﴾[سورة ص] بتثنيتها ومع قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ ٤٧﴾ [سورة الذاريات] بجمعها فإذا كنتم تعملون بالنصوص ـ على زعمكم ـ على ظواهرها حقيقة فأخبرونا أله يد واحدة بناء على الآية الأولى أم له يدان اثنتان بناء على الآية الثانية أما له أيد أكثر من اثنتين بناء على الآية الثالثة؟!.

خامسًا: نقول لهؤلاء قد ورد في الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما فكيف تأخذون بظاهر هذا الخبر

مع أنَّ الليل مختلف في البلاد باختلاف المشارق والمغارب وإذا كان ينزل لأهل كل أفق نزولًا حقيقًّيا في ثلث ليلهم الأخير فمتى يستوي على عرشه حقيقة كما تقولون ومتى يكون في السماء حقيقة كما تقولون مع أنَّ الأرض لا تخلو من الليل في وقت من الأوقات ولا في ساعة من الساعات كما هو ثابت مسطور لا يماري فيه إلا جهول مأفون!.

سادسًا: نقول لهؤلاء ما قاله الفقيه الغزالي ونصه: «نقول للمتشبث بظواهر الألفاظ إن كان نزوله من السماء الدنيا ليسمعنا نداءه فما أسمعنا نداءه فأيُّ فائدة في نزوله ولقد كان يمكنه أن ينادينا كذلك وهو على العرش أو على السماء العليا فلابد أن يكون ظاهر النزول غير مراد وأنَّ المراد به شيء آخر غير ظاهره وهل هذا إلا مثل من يريد وهو بالمشرق إسماع شخص في المغرب فتقدم إلى المغرب بخطوات معدودة وأخذ يناديه وهو يعلم أنَّه لا يسمع نداءه فتكون نقله الأقدام عملًا باطلًا وسعيه نحو المغرب عبثًا صرفًا لا فائدة فيه وكيف يستقر مثل هذا في قلب عاقل».

المبحث العاشر:
نقض استدلال ابن عبد البر بعقيدة فرعون

ابن عبد البر نصر عقيدته بقول فرعون والله ذمَّ فرعون في القرآن بقوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ۝٩٧﴾ [سورة هود] أي ليس أمره برشد وصواب، وإنما هو غي وضلال وقال النسفي[1] في كتابه «مدارك التأويل»: «هو تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه إلى أمره وهو ضلال مبين وذلك أنه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان ومثله بمعزل عن الألوهية وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا أن مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط» فهذا حال ابن عبد البر حيث إنه ترك قول الأنبياء محمد وموسى عليهما السلام بل الذي قاله موسى كما في الآية الكريمة: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤﴾ [سورة الشعراء] فلاحظوا إلى قول الله عن موسى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وما قال «الله في السموات» كما كذبت المجسمة على القرءان وعلى موسى. وانظروا الى ما أخبر الله تعالى عن فرعون قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٣﴾ لأنه في الأصل هو لا يؤمن بالله ولا يعتقد بوجوده فلم يقل «أين الله» لأنه لا يعترف بوجوده، فكيف يسأل عن مكانه، فقد غوى وضل السبيل من انجر خلف فرعون الذي قال الله عنه: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤﴾ [سورة النازعات] وإني لأتعجب فأنى

---

(١) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، النسفي، (٢/٨٢).

يكون هذا يا ابن عبد البر سؤال فرعون لموسى عن مكان الله تعالى بزعمك؟ وأين قول موسى كما كذبت عليه وافتريت أنه قال إن الله في السماء؟ فهذا لا وجود له في كل آيات القرءان، لا في منطوقها ولا في مفهومها وإنما هو محض تَقوُّلٍ منك على موسى وفي حقيقة الأمر افتريت أيضًا على إمامك فرعون في هذه الكفرية وقلت إنه أنكرها على موسى فأنت أخذت هذا من موسى لأنه قاله لفرعون وأنكره فرعون على موسى، وفي حقيقة الأمر لا فرعون سأله عن هذا ولا موسى قاله، بل الذي قاله موسى عن الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ولم يقل إن الله بذاته في السماء، فما أوقحك في الكذب على الله وعلى موسى وعلى كتاب الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[سورة الإخلاص] أي ليس له شبيهًا أحد وليس له مثيلًا أحد وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾[سورة مريم] فالأشاعرة والماتريدية هم مجموع أهل السنة والجماعة وهم السواد الأعظم موافقون لما في القرءان ولما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ولإجماع الأمة، وأما انتم أيها المشبهة فقد خرقتم وخالفتم الإجماع وهل بعد الإجماع إلا الضلال؟!.

قال الإمام الأستاذ الكبير الأصولي أبو منصور البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق[1]: «وأجمعوا ـ أي أهل السنة ـ على أنه ـ تعالى ـ لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان».

ولبيان مزيد استدلال وإظهار رداءة فهمه للآية انظروا إلى ما قاله القشيري[2] في تفسيره «لطائف الإشارات» في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۝٣٧﴾ [سورة غافر]: «السبب ما يتوصّل به إلى الشيء أي لعلّي أصل إلى السماء فأطّلع إلى إلٰه موسى. ولو لم يكن من المضاهاة بين من قال إن المعبود في السماء وبين الكافر إلا هذا لكفى به خزيًا لمذهبهم وقد غلط فرعون حين توهّم أنّ المعبود في السماء، ولو كان في السماء لكان فرعون مصيبًا فى طلبه من السماء، وفي قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ۝٣٧﴾ [سورة غافر] أخبر أنّ اعتقاده بأنّ المعبود في السماء خطأ، وأنّه بذلك مصدود عن سبيل الله».

فهذا كلام القشيري الموحد المنزه الذي قال[3] في الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى]: «لأنه فاطر السماوات والأرض، ولأنه لا مثل

---

(١) **الفرق بين الفرق**، أبو منصور البغدادي، (ص٣٢١).

(٢) **لطائف الإشارات**، عبد الكريم القشيري، (٣٠٦/٣).

(٣) **لطائف الإشارات**، عبد الكريم القشيري، (٣٤٥/٣).

يضارعه، ولا شكل يشاكله. والكاف في «كمثله» صلة أي ليس مثله شيء.

ويقال: لفظ «مثل» صلة ومعناه ليس كهو شيء. ويقال معناه ليس له مثل إذ لو كان له مثل لكان كمثله شيء وهو هو، فلما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۝١١﴾ فمعناه ليس له مثل، والحق لا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أحكامه.

وقد وقع قوم في تشبيه ذاته بذات المخلوقين فوصفوه بالحد والنهاية والكون في المكان، وأقبح قولًا منهم من وصفوه بالجوارح والآلات فظنوا أن بصره في حدقة، وسمعه في عضو، وقدرته في يد -أي جارحة- إلى غير ذلك.

وقوم قاسوا حكمه على حكم عباده فقالوا: ما يكون من الخلق قبيحًا فمنه قبيح، وما يكون من الخلق حسنًا فمنه حسن!! وهؤلاء كلهم أصحاب التشبيه، والحق مستحق للتنزيه دون التشبيه، مستحق للتوحيد دون التحديد، مستحق ـ لوصفه بما وصف به نفسه بلا كيفية ـ دون التعطيل والتمثيل».

ولما قاله أبو حيان الأندلسي في كتابه البحر المحيط[1] في قول الله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ۝٣٨﴾ [سورة القصص]: «أوهم قومه إن إله موسى يمكن الوصول إليه والقضاء عليه وهو عالم متيقن أن ذلك

---

(١) **البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، (٨/٣٠٦).

لا يمكن له، وقومه لجهلهم وغباوتهم وإفراط عمايتهم يمكن ذلك عندهم».

ولما قاله البغوي في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨﴾ [سورة القصص]: وإني لأظن موسى من الكاذبين في ادعائه في زعمه أن للأرض إلهًا غيري وأنه رسوله.

فبعد هذا وبعد كل ما بيناه هلّا أوضح لي أحد كيف لشخص يعرف من هو فرعون وسمع عنه يستدل بقوله وكلامه ويأخذ عقيدته منه زاعمًا أنه فهم ذلك من موسى وهو محض تَقوُّلٍ وافتراء على موسى عليه السلام فما هذا إلا لفرط جهله أعاذنا الله وإياكم من الجهل وسوء الفهم والغواية في الدين.

المبحث الحادي عشر:
ردُّ قول ابن بطة بأنَّ الله عزَّ وجلَّ يقرأ القرءان

ذكر ابن بطة حديثًا ضعيفًا [1] يقول فيه: «**فإن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق ءادم بألف عام**» والعياذ بالله تعالى. وقد حاول ابن بطة بذكر هذا الحديث الموضوع أن يثبت رأيه الكاسد وقوله الفاسد بإيهام القراء بأن القرآن بمعنى اللفظ المنزل أي بالحروف والأصوات واللغات أزلي وأن

(١) **الإبانة الصغرى**، ابن بطة، (ص١١٧).

هذه الألفاظ الله قرأها والعياذ بالله من هذا الفساد والزيغ والضلال إن هذا الحديث الموضوع الذي ذكره لينتصر به لمذهب التشبيه والتجسيم هو حديث ضعفه العلماء بل وقالوا عنه موضوع.

وقد ضعَّف العلماء هذا الحديث، فقد قال الفقيه العلامة القاضي بدر الدين بن جماعة في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل» في هذا الحديث[1]: «إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم الحديث هو حديث موضوع قال أبو حاتم بن حبان وغيره يرويه إبراهيم بن مهاجر عن عمر بن حفص وهما لا شيء عند أئمّة الحديث».

فكما رأينا هذان الراويان ضعيفان كما قال أحمد عن عمر بن حفص بن ذكوان قال: «تركنا حديثه وحرقناه» وكما قال ابن عدي: «وإبراهيم بن مهاجر بن مسمار لم أجد قط حديثًا أنكر من حديث «قرأ طه ويس» لأنه لم يروه إلا إبرهيم، ولا يروي بهذا الإسناد ولا بغير هذا المتن إلا إبراهيم هذا»، وهو ضعيف كما في كتاب التقريب وعن ابن المديني «ليس بثقة» وقال النسائي والساجي: «متروك». وقال ابن القيسراني في «التذكرة»: «وإبراهيم هذا منكر الحديث جدًا، كان يحي بن معين يمرض القول فيه»، وقال أيضًا في «معرفة التذكرة»: «إبراهيم بن المهاجر المدني وهو كذَّاب». وأورده ابن حبان فى الضعفاء وقال: «هذا المتن موضوع».

---

(١) **إيضاح الدليل**، بدر الدين بن جماعة، (١/٢٢٣).

فلما علمنا تضعيف العلماء للمتن والسند ليس لابن بطة ولا لسلفه بعد هذا أن يثبتوا قراءة القرآن لله تعالى بهذا المتن ولا بغيره كالحديث الضعيف: «إن أهل الجنّة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين فيقرأ عليهم القرآن، وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر، والياقوت، الزمرد، والذهب، والفضة بالأعمال، فلا تقر أعينهم قط كما تقر بذلك، ولا سمعوا شيئًا أعظم منه، ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين إلى مثلها» والصواب أنَّ الله سبحانه وتعالى محال عليه أن يتكلم بالحرف والصوت فالله تعالى أزلي أبدي وكلامه أزلي أبدي فلو كان يتكلم بحرف وصوت ولغة لكان مخلوقًا كالعالم لأنَّ حدوث الصفة يستلزم حدوث الذات، فكلام الله تعالى لا يشبه كلام المخلوقين ولا بأي وجه من الوجوه. والبيهقي رحمه الله قد صرّح بأنَّه لا يصح حديث في نسبة الصوت إلى الله[١].

المبحث الثاني عشر:

ردُّ قول ابن بطة بأن القرءان بإطلاقيه غير مخلوق

يقول ابن بطة[٢]: «وفرقة قالوا بالقرءان غير مخلوق. وفرقة قالوا: نقول كلام الله ونقف. وفرقة قالوا: ألفاظنا بالقرءان مخلوقة **فهم عندي في المقالة واحد**».

---

(١) **الأسماء والصفات**، البيهقي، (٢/٢٩).

(٢) **الإبانة الصغرى**، ابن بطة، (ص١٢٨).

ويقول أيضًا[1]: «فقالوا: إن القرءان تكلم الله به وقاله فهو كلام الله غير مخلوق، وهذا الذي نتلوه ونقرؤه بألسنتنا ونكتبه في مصاحفنا ليس هو القرءان الذي هو كلام الله هذا حكاية لذلك. فما نقرؤه نحن حكاية لذلك القرءان بألفاظنا، نحن وألفاظنا مخلوقة **فوقفوا في كفرهم واحتالوا لإدخال الكفر على العامة بأغمض مسلك وأدق مذهب، فلم يخف ذلك على العلماء وأظهروا للعامة والخاصة كفرهم وإلحادهم**».

ويقول[2]: «هؤلاء الذين يقولون ألفاظنا بالقرءان مخلوقة، قال: **هم شر من قول الجهمية.** ومن زعم هذا فقد زعم أن جبريل جاء بمخلوق وأن النبيّ تكلم بمخلوق». ثم قال: «قلت لأحمد: هؤلاء الذين يقولون لفظنا بالقرءان مخلوق. فقال: **القرءان على أي جهة ما كان لا يكون مخلوقا أبدًا**».

وقال[3]: «سألت أبي: ما تقول في رجل قال التلاوة مخلوقة وألفاظنا بالقرءان مخلوقة والقرءان كلام الله ليس بمخلوق؟ **قال هذا كافر. وهذا افتراء على الإمام أحمد**».

---

(١) **الإبانة الصغرى**، ابن بطة، (ص١٣١).

(٢) **الإبانة الصغرى**، ابن بطة، (ص١٣٦).

(٣) **الإبانة الصغرى**، ابن بطة، (ص١٣٦).

وما قاله ابن بطة مخالف لكلام أهل الحق في كلام الله ومخالف لأهل السنة وهو افتراء وكذب على الإمام المبجل أحمد بن حنبل بل مقالاته معروفة في هذه المسألة واعتقاده كاعتقاد سلفه وخلفه من المسلمين.

أولًا: المعتمد عند أهل السنة في المسألة:

يجب لله تعالى الكلام وهو صفة أزليّة أبديّة لا يشبه كلام المخلوقين لأن كلام المخلوقين حادث وكلام الإنسان صوت يعتمد على مخارج ومقاطع ويبتدأ ويختتم ويكون بلغات وحروف، ومنه ما يحصل بتصادم جسمين، ويعبّر عنه - أي كلام الله - بالقرءان وكذلك غيره من الكتب المنزّلة، وليست هذه الكتب المنزّلة عين الكلام الذّاتيّ بل هي عبارات عنه. والدّليل على ذلك من حيث العقل أنه لو لم يكن متكلمًا لكان أبكم والبكم نقص والنّقص مستحيل على الله، وأما دليله النّقليّ النّصوص القرءانيّة والحديثيّة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [سورة النساء] أي أسمعه كلامه الأزليّ الأبديّ ففهم منه موسى ما فهم، فتكليم الله أزليّ وموسى وسماعه لكلام الله حادث.

ولتوضيح هذه المسألة ننقل لكم كلام الفقيه أبو بكر محمد بن سابق الصقلي في كتاب «الحدود الكلامية والفقهية على رأي أهل السنة

الأشعرية» ما نصه[1]: «**فالذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة، أنّ كلام الله تعالى صفة من صفات ذاته**، قديم أزليّ، وأنه شيء واحد لا يتجزّأ ولا ينقسم ولا يتبعّض، ولا هو لغة من اللغات، ولا هو حروف وأصوات، لم يزل تعالى متكلمًا به ولا يزال، غير مشبه لما عقلناه من الكلام، وأنّ المتكلم به تعالى بلا لسان ولا لهوات ولا ءالات، ولاحركات ولا نغمات، ولا حلق ولا صدر، ولا شفة ولا خياشيم ولا جارحة، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى]. فكما أنه تعالى متكلّم وليس كمثله متكلّم، كذلك كلامه تعالى مسموع وليس كمثله مسموع، كما أنه موجود وليس كمثله موجود، وكما أنه مرئيّ وليس كمثله مرئيّ. **وقد أجمع أهل السنّة وسائر أهل البدع من الخوارج والقدريّة وغيرهم على اختلاف مذاهبهم، على أنه لا يجوز أن يوجد بذات الله تعالى كلام هو حروف وأصوات، وعلى أنّ من قال إنّ كلام الله ـ المتصف به ـ حروف وأصوات فقد كفر لجهله بالله**؛ لأنه سوّاه بالحوادث، باستفتاح الوجود له، وذلك أن المتكلّم بالحرف والصوت لا يصل إلى النّطق بحرف حتى يذهب ما قبله، ويحدث فيه الحرف الثّاني بعد ذهاب الأول؛ فلا ينطق بالدّال من «قد» حتى يذهب القاف، وتحدث بعدها الدّال، ومن قال إنّ الله عزّ وجل يحدث فيه الحرف

(١) الحدود الكلامية والفقهية على رأي أهل السنة الأشعرية، أبو بكر الصقلي، (ص٢١٣ ـ ٢١٥).

بعد الحرف، فقد جعل ربّه محلًّا للحوادث، وشبّهه بمخلوقاته، وشبّه مخلوقاته به! وهذا كفر بإجماع، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

وأجمع أهل السّنة وأهل البدع على أنّ من قال إنّ التّلاوة المسموعة التي هي أصوات القارئ وحروفه ونغماته قديمة فقد كفر أيضًا، وقال بقدم الحوادث، ولحق بالدّهرية. وهذه المقالة عليها جهّال لا يدرون حقيقة ما يتكلّمون به؛ وكان منهم الشّيرازيّ بمصر ـ وهو بدعي مشبه وليس الشيرازي الفقيه الشافعي ـ لعنه الله ولعن كلّ من يقول بقوله! وقد أضلّ خلقًا كثيرًا بذلك لجهلهم، وهو كفر، ويدل على سخافة قائله وعمى قلبه».

ثانيًا: للقرآن إطلاقان:

والقرءان له إطلاقان يطلق على **اللّفظ المنزّل على محمد، وعلى الكلام الذّاتيّ الأزلي الذي ليس هو بحرف ولا صوت ولا لغة عربيّة ولا غيرها.** فإن قصد به الكلام الذّاتيّ فهو أزليّ ليس بحرف ولا صوت، وإن قصد به وبسائر الكتب السماوية اللّفظ المنزّل فمنه ما هو باللغة العبرية ومنه ما هو باللغة السّريانية وهذه اللغات وغيرها من اللغات لم تكن موجودةً فخلقها الله تعالى فصارت موجودةً والله تعالى كان قبل كلّ شىء، وكان متكلّمًا قبلها ولم يزل متكلمًا وكلامه الذي هو صفته أزليّ أبديّ وهو كلام واحد وهذه الكتب المنزلة كلّها عبارات عن ذلك الكلام الذاتيّ الأزلي الأبدي ولا يلزم من كون العبارة حادثةً كون المعبّر عنه حادثًا ألا ترى

أننا إذا كتبنا على لوح أو جدار «الله» فقيل هذا الله فهل معنى هذا أنّ أشكال الحروف المرسومة هي ذات الله لا يتوهّم هذا عاقل إنّما يفهم من ذلك أن هذه الحروف عبارة عن الإلــه الذي هو موجود معبود خالق لكلّ شىء ومع هذا لا يقال القرءان وغيره من الكتب المنزلة مخلوق لكن يبيّن في مقام التّعليم أن اللفظ المنزّل ليس قائمًا بذات الله بل هو مخلوق لله لأنه حروف يسبق بعضها بعضًا وما كان كذلك حادث مخلوق قطعًا. لكنّه ليس من تصنيف ملك ولا بشر فهو عبارة عن الكلام الذاتيّ الذي لا يوصف بأنّه عربيّ ولا بأنّه عبرانيّ ولا بأنّه سريانيّ وكلّ يطلق عليه كلام الله، أي أنّ صفة الكلام القائمة بذات الله يقال لها كلام الله، واللّفظ المنزّل الذي هو عبارة عنه يقال له كلام الله.

فإذا تقرر هذا بان وظهر أن اللفظ المنزّل ليس عين كلام الله القائم بذاته لأنّه أزلي أبدي كسائر صفاته، واللفظ المنزل حروف متعاقبة يستحيل القدم عليها فلا يخفى من ذلك استحالة أبدية الحروف لتخلل الانقطاع. ومما اتفق عليه أهل السنّة أن الله لا تقوم به صفة غير أزلية أبدية، وعندهم يكتفون في كثير من العبارات بذكر الأزلية لأن الأزليّ تقرر عند العقلاء أنه أبدي لا غير، وقد أشار إليه الإمام الطحاوي في عقيدته بقوله: «منه بدا بلا كيفية قولا».

والأدلة على صحّة هذا الإطلاق كثيرة منها:

* قول الله تعالى:﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ٦﴾ [سورة التوبة] أي حتّى يسمع هذه الحروف المحدثة والألفاظ المخلوقة المنزّلة على سيدنا محمّد، إذ كلّ الأنبياء سوى محمّد وموسى، وقيل: ءادم، ليس فيهم في الدّنيا من سمع كلام الله الذّاتيّ فضلًا عن أن يسمعه أحد من الكفّار.

* وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ١٥﴾ [سورة الفتح] حيث سمّى الله القرءان «كلام الله»، وكلام الله تعالى الذّاتيّ الّذي هو صفته لا يلحقه تغيّر.

* وقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣﴾ [سورة الشعراء] فالّذي ثبت في قلب النّبي ﷺ هو اللّفظ المنزّل الّذي يتخيّله الحافظ له عند استحضاره لأدائه، وحمل المعنى على ذلك يؤديه لأنّ كلام الله تعالى ليس شيئًا يحلّ في شيء، تعالى الله عن ذلك، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٤٩﴾ [سورة العنكبوت].

وللشّيخ أبي الثّناء محمّد بن أحمد القونوي الحنفي (ت ٧٧٠هـ) كلام في هذه المسئلة ذكره في شرحه على العقيدة الطّحاويّة، فقال ما نصّه: «واعلم أنّ ههنا ثلاثة ألفاظ: قراءة ومقروء وقرءان:

فالقراءة: فعل العبد وكسبه وإنّه مخلوق ومحدث قائم بالعبد يسمّى به قارئًا.

والمقروء: كلام الله تعالى[1] وصفته وإنّه غير مخلوق أزلي قائم بذاته يسمّى به متكلمًا.

والقرءان: لفظ مشترك[2] تارةً يطلق على القراءة المخلوقة، قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۝٧٨﴾ [سورة الإسراء] أي القرءان في صلاة الفجر، وتارةً يطلق على المصحف دون القراءة، وقد ورد عن النبي ﷺ في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر أنه قال: «**نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو**»[3] وأراد النّهي عن المسافرة بالمصحف صيانةً عن الاستخفاف به، ولم يرد به النّهي عن القراءة، وتارةً يطلق على المعبّر عنه وهو كلامه القديم، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٩٨﴾ [سورة النحل] أي كلام الله، فإذا ذكر لفظ القرءان مع قرينة تدلّ على الحدوث والحلول نحو أن يقال: قرأت جزءًا من القرءان أو نصف القرءان أو ثلثه أو ربعه أو يحرم القرءان على الجنب أو النّهي عن المسافرة بالقرءان يحمل على القراءة والمصحف، وإذا ذكر مطلقًا يحمل على الصفة الأزليّة القائمة بذات الله تعالى. فلا جرم أنّه لا يجوز أن يقال «القرءان مخلوق» على الإطلاق، وهذا كما إذا قال الرّجل «الله» مطلقًا عن القيد، يفهم من إطلاقه ذات القديم جلّ جلاله، وإذا قرنه بقرينة تدلّ على الحدوث نحو أن يقول كتبت «الله» أو

---

(١) أي المقروء بألستنا بالحروف هو عبارة عن كلام الله الذاتيّ.

(٢) ولو قال القونوي: «لفظ له إطلاقان» لكان أحسن.

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، (٥٦/٤)، رقم الحديث: ٢٩٩٠.

تلفّظت «الله» يحمل على هذه الحروف المنقوشة والأصوات المقطّعة فكذلك لفظة القرءان.

ثمّ قال: «**فإن قيل**: إطلاق اسم كلام الله تعالى على هذه العبارات إن كان باعتبار الدلالة على كلام الله القائم بذاته كان مجازًا، وما كان مجازًا يصحّ نفيه، وهذا لا يصحّ نفيه.

قلنا: هذا وإن كان مجازًا لكن ورد الشّرع بجواز إطلاقه فيما يجب اعتقاده لا يصحّ نفيه ولا يقال إنّ كان قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ١٠٩﴾ [سورة الكهف] صريح في إثبات الكلمات على متعلّقات علم الله.

فإن قيل: الآية إذا قرئت بقراءتين فالله تعالى قال بهما جميعًا أو بإحداهما؟

قيل له: هذا على وجهين: إن كان لكل قراءة معنًى غير الأخرى فإنّ الله تعالى قال بهما جميعًا وصارت القراءتان بمنزلة الآيتين، وإن كانت القراءتان معناهما واحد فالله تعالى قال بإحداهما، ولكنّه رخّص بأن يقرأ بهما جميعًا كذا في تفسير أبي اللّيث السّمرقندي».

وقال أبو بكر الصقلي[1] في كتابه «الحدود الكلامية»: «وأجمع أهل السنة على أن كلام الله مكتوب في مصاحفنا على الحقيقة، متلو في محاربنا، مقروءٌ بألسنتنا، محفوظ في صدورنا، على الحقيقة لا على المجاز، غير حال

---

(١) **الحدود الكلامية والفقهية**، أبو بكر الصقلي، (ص٢١٦).

في شىء من ذلك، وأنَّ المكتوب في المصحف بين اللوحين هو كلام الله تعالى القديم الموجود بذاته، الذي ليس بحروف ولا أصوات ولا مخلوق ولا لغة من لغات البشر وأن الكتابة التي هي المداد والحبر والرق والحرف وحركاتنا وألسنتنا وجميع أفعالنا، كل ذلك مخلوق موجود بعد أن كان معدومًا، ومعدوم بعد أن كان موجودًا، هذا هو الحق المبين، وما سواه يهدي إلى سواء الجحيم».

فيتلخّص من كل ما مضى أنّ القرءان له إطلاقان، وكلام الله له إطلاقان، وكلا الإطلاقين من باب الحقيقة(١)، فأمّا تسمية الكلام الذّاتي لله «كلام الله» فظاهر لا يحتاج إلى تأويل، وأمّا تسمية الثّاني وهو اللّفظ المنزّل «كلام الله» فراجع لأمرين: أنّه يدلّ على كلام الله الذّاتي الّذي لا يشبه كلام

---

(١) الحقائق إمّا لغوية وإمّا شرعية وإمّا عرفيّة. فاللفظ إذا كان يستعمل لمعنًى واحد أو لأكثر من معنًى فإذا استعمل في معناه الحقيقيّ يقال له حقيقة لغويّة، وإن نقل إلى معنًى ءاخر فذلك المعنى الآخر مجاز بالنّسبة لهذا اللفظ. وأما الحقيقة الشّرعيّة فالمراد بها أن حملة الشّرع أحيانًا يستعملون تلك الكلمة في معنًى معروف عندهم اصطلحوا عليه، فهذا الإطلاق الذي اصطلحوا عليه يقال له حقيقة شرعيّة بحيث إذا أطلق هذا اللفظ يتبادر منه هذا المعنى الذي تعارفه حملة الشّرع. وأما الحقيقة العرفيّة فالمراد بها في عرف الناس وعاداتهم، مثال ذلك كلمة الدّابّة في الأصل معناها كلّ ما يدبّ على وجه الأرض من إنسان وبهائم وحشرات ونحو ذلك، ثم الناس جعلوه للحمار وشبه ذلك، فعلى الحقيقة العرفيّة هذه الكلمة معناها الحمار وشبه ذلك.

غيره، وأنّه ليس من تأليف جبريل عليه السّلام ولا من تأليف سيدنا محمّد ﷺ.

ثالثًا: كيفية نزول جبريل بالقرآن:

وأمّا الكلام على كيفيّة إنزال اللّفظ المنزّل، يرجع إلى أنّ الله تعالى خلق صوتًا بحروف القرءان يقرأه بالعربيّة الفصيحة كما أنزل فيما بعد، فأسمع الله تعالى جبريل هذا الكلام المخلوق بصوت وحروف على ترتيب اللّفظ المنزّل وذلك قبل أن ينزل بالقرءان على سيدنا محمّد ﷺ، فمسموع جبريل هذا مخلوق صادر بحروف وصوت غير كلام الله الأزلي الّذي ليس حرفًا ولا صوتًا ولا يسمّى الله المتكلم به مصدرًا.

ثمّ القرءان كان مكتوبًا في اللّوح المحفوظ، فسمع جبريل أيضًا كلام الله الذّاتيّ وفهم منه الأمر بأن يأخذ القرءان من اللّوح المحفوظ وينزل به على سيدنا محمّد ﷺ، وهكذا حصل، فقد نزل به جبريل عليه السّلام إلى بيت العزّة ثمّ صار ينزل به مفرّقًا على سيدنا محمّد ﷺ بأمر من الله تعالى. وبإيضاح ءاخر نقول في المسئلة ملخّصةً مخلّصةً:

١. خلق الله صوتًا مرتّبًا بحروف القرءان، فسمع جبريل القرءان متلوًّا بهذا الصّوت وتلقّاه.

٢. وجد جبريل القرءان، الّذي سمعه بواسطة ذلك الصّوت، مكتوبًا في اللّوح المحفوظ موافقًا لما قد سمع.

٣. سمع جبريل كلام الله الّذي ليس حرفًا ولا صوتًا ففهم منه الأمر بأن يأخذ القرءان كلّه من اللّوح المحفوظ إلى بيت العزّة في السّماء الدّنيا جملةً واحدةً في ليلة القدر المباركة، ومصداق ذلك قوله تعالى:﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [سورة الدخان][1]، ثمّ ينزل به جبريل على سيدنا محمّد ﷺ مفرّقًا، وكلّ نزول على حسب أمر الله كان إلى أن تمّ نزول الآيات في ثلاثة وعشرين عامًا من بدء الوحي.

فظهر لك ممّا بيّنّا أنّ جبريل لم يسمع القرءان من كلام الله الأزلي الّذي ليس حرفًا ولا صوتًا، يعني ليس أنّه سمع كلام الله الّذي ليس حرفًا ولا صوتًا وأنّه فهم منه القرءان الّذي نقرأه اليوم وعبّر به من عند نفسه ممّا فهمه من كلام الله، لأنّ القول بذلك يفضي إلى أنّ القرءان الّذي نقرأه هو من تأليف جبريل ـ حاشا ـ إنّما القرءان الّذي نقرأه والّذي هو عبارة عن كلام الله ليس من تعبير جبريل ولا تأليفه بل وجده جبريل في اللّوح المحفوظ وسمع تلاوته قبل ذلك بصوت خلقه الله ليس هو عين كلام الله، لأنّ كلام الله ليس صوتًا ولا حروفًا.

(١) وهو تفسير ابن عباس لهذه الآية، وذكر ذلك الطبري والبغوي وابن الجوزي والقرطبي والفخر الرازي وابن أبي حاتم والثعلبي وابن عادل الحنبلي وغيرهم في تفاسيرهم المشهورة.

وليس معنى ذلك أيضًا أنّ جبريل لا يسمع كلام الله، بل جبريل من الملائكة الّذين يسمعون كلام الله هو الّذي يسمع كلام الله فقط ويفهم منه الأمر.

وهذا القول ليس بابتداع منّا، فقد قال الإمام أبو المعين ميمون النسفيّ الماتريديّ في بحر الكلام ما نصّه: «فأسمعه جبرائيل عليه السّلام ـ أي الله أسمع جبرائيل القرءان ـ بالصّوت والحروف، فخلق صوتًا فسمعه بذلك الصّوت والحروف، فحفظه جبريل ووعاه».

وقال الشّيخ شهاب الدين النّفراويّ الأزهريّ الأشعريّ في كتابه «الفواكه الدّواني»[1] ما نصّه: «وصفة إنزاله أنّ الله تعالى خلق صوتًا فأسمعه لجبريل بذلك الصّوت والحروف فحفظه جبريل ووعاه».

فليس ما جئنا به بغريب عن علماء هذه الأمّة ومعتقدهم، فما نقلناه هنا هو مذهب الأشاعرة والماتريديّة في هذه المسئلة.

فائدة: ولا يقال نطق، لأن النطق يكون بحرف وصوت. أما ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه من أنه قال «العلم ثلاثة: كتاب ناطق وسنة ماضية ولا أدري»، فمعنى قوله «كتاب ناطق» أي مبين واضح كما أشار إلى ذلك الشيخ عليّ العزيزي في شرحه على «الجامع الصغير»[2]، والمراد به هنا الكتاب المنزل.

---

(١) **الفواكه الدواني**، شهاب الدين النفراوي، (٦٦/١).

(٢) **السراج المنير شرح الجامع الصغير**، العزيزي، (٣٥٠/٣).

تنبيه: ليس معنى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [سورة النساء] أنّه ابتدأ الكلام بعد أن كان ساكتًا ولا أنّه بعدما كلمه انقطع كلامه وسكت، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وإنّما المعنى أنّه تعالى أزال بفضله المانعَ عن موسى عليه السّلام ومكّنه من سماع كلامه القديم، ثمّ حجب موسى عن سماع كلامه تعالى وعاد إلى حاله الأوّل، وهذا التّغيّر هو في حال موسى ولا يطرأ على الله تغيّر ولا ءافة.

ونظير ذلك المؤمنون في الجنة، فالأولياء منهم يرون الله تعالى كلّ يوم مرّةً أوّل النّهار ومرّةً ءاخر النّهار، فالانقطاع والتّغيّر هو في حق المخلوق لا في حق الله عزّ وجلّ. وهنا يحسن التّنبيه إلى ما في بعض التّفاسير من أنّ الله يوم القيامة يسأل «لمن الملك اليوم»، ثم هو يجيب نفسه «لله الواحد القهّار»، فهذه الرواية غير صحيحة، وإنّما الملك هو الّذي ينادي «لمن الملك اليوم» ثمّ يجيب هو «لله الواحد القهّار»، وهذه الرواية أقرب إلى الصحّة.

فينبغي التّنبيه على هذا كي لا يدخل إلى قلب امرئ بسبب غفلته أو جهله وتسرّعه أنّ الله تعالى يتكلّم ثمّ يسكت ثمّ يتكلّم، حاشا لله، **فمن اعتقد هذا فقد كفر وخرج من دين الإسلام، وعليه الرّجوع عن هذا الاعتقاد الفاسد ويجب عليه النّطق بالشّهادتين باللسان** إن كان قادرًا على النّطق. فكلام الله تعالى واحد لا يتعدّد ولا يتجزّأ ولا يبتدأ ولا يختتم ولا يتخلّله انقطاع ولا يصل العبد إلى الإحاطة بحقيقة كلام الله مهما

تفكّر وأطلق فكره في ساحات الوهم يصول أو يجول، فإنّه لا يصل، والله الهادي إلى الصّواب

رابعًا: **حكم التلفظ بعبارة «القرءان مخلوق»**:

التلفظ بهذه العبارة «القرءان مخلوق» حرام لكن يبيّن في مقام التعليم أن اللفظ المنزل ليس قائمًا بذات الله بل هو مخلوق لله لأنَّه حروف يسبق بعضها بعضًا وما كان كذلك فهو حادث مخلوق قطعًا وإلا فالتلفظ بهذه العبارة «القرءان مخلوق» **حرام**، فمن كفّر من السلف المعتزلة لقولهم القرءان مخلوق فذلك لأن المعتزلة لا تعتقد أن لله كلامًا هو صفة له بل تعتقد أن الله متكلم بكلام يخلقه في غيره كالشجرة التي سمع موسى عندها فكفروهم لذلك.

خامسًا: الثابت عن الإمام المبجل أحمد بن حنبل في هذه المسألة:

أسند عن الحاكم عن الأصم عن الصاغاني سمعت محمد فوران أبا محمد صاحب أحمد أنه سأله جماعة من أصحاب أحمد أن يطلب منه خلوة يسأله فيها عن أصحابنا الذين يفرقون بين اللفظ والمحكي قال فطلب منه ذلك فقال القرءان كيف تصرف غير مخلوق، فأما أفعالنا فمخلوقة، قلت: «يا أبا عبد الله فاللفظية تعدهم جهمية إذا لم يتذرّعوا باللفظ إلى القول بخلق القرءان»، قال: «لا، الجهمية يقولون: إنَّ القرءان مخلوق».

قال البيهقي: «فهذا يدل على أنه إنما يجعل اللفظية جهمية إذا تذرعوا باللفظ إلى القول بخلق القرءان، وبان أنّ أحمد لا يخالف أصحابنا المتكلمين وأنه لا خلاف في الحقيقة بين أصحاب الحديث في القرءان».

وقال صاحب الخصال الحنبلي قال أحمد: «من قال الله جسم لا كالأجسام كفر». فتبين أنَّ المجسمة والمعتزلة كلتاهما فرقتان ضالتان.

وقال الحافظ محمد مرتضى الزبيدي: «لم يتوقف أصحابنا من أهل ما وراء النهر في تكفير المعتزلة»، أي لقولهم بأنَّ العبد يخلق أفعاله.

فتبين بهذا **بطلان قول من احتج بقول الإمام أحمد للمعتصم يا أمير المؤمنين.**

ولو قال الخصم: لأنَّ المعتصم وافق المعتزلة في عقيدتهم ومع ذلك لم يكفره الإمام أحمد بل خاطبه بأمير المؤمنين.

فالجواب: أنَّ المعتصم ومأمونًا وغيرهما من الخلفاء الذين وافقوا المعتزلة في القول بأنَّ القرءان مخلوق ودعوا الناس إلى ذلك بالقوة والتعذيب لم يوافقوا المعتزلة في القول بأنَّ العبد يخلق أفعاله ولا في القول بأنَّ الله متكلّم بكلام يخلقه في غيره وليس له صفة الكلام القائمة بذاته، وقد شهد بذلك شيخ المعتزلة ثمامة بن أشرس(١) فقال: «إنَّ المأمون لم يوافقهم إلا في القول بخلق القرءان».

---

(١) ذكر أبو منصور البغداديّ في الفرق بين الفرق أنّ ثمامة كان زعيم القدريّة في زمان المأمون والمعتصم والواثق، وقيل إنّه هو الذي أغوى المأمون بأن دعاه إلى الاعتزال. وانفرد عن سائر أسلاف المعتزلة ببدعتين أكفرته الأمّة كلّها فيها، إحداهما: أنه لما شاركه أصحاب المعارف فى دعواهم أن المعارف ضروريّة زعم أنّ من لم يضطرّه الله تعالى إلى معرفته لم يكن مأمورًا بالمعرفة ولا منهيًّا عن الكفر وكان مخلوقًا للسّخرة والاعتبارية فحسب كسائر الحيوانات الّتي ليست بمكلّفة. وزعم لأجل ذلك أنّ عوامّ الدهريّة والنّصارى والزنادقة يصيرون في الآخرة ترابًا، وزعم أنّ الآخرة إنّما هي دار ثواب أو عقاب وليس فيها لمن مات طفلًا ولا لمن يعرف الله تعالى بالضّرورة طاعة يستحقّون بها ثوابًا ولا معصيةً يستحقّون عليها عقابًا فيصيرون حينئذٍ ترابًا إذ لم يكن لهم حظّ في ثواب ولا عقاب. والبدعة الثّانية من بدع ثمامة قوله بأنّ الأفعال المتولدة أفعال لا فاعل لها، وهذه الضّلالة تجرّ إلى إنكار صانع العالم لأنّه لو صحّ وجود فعل بلا فاعل لصحّ وجود كل فعل بلا فاعل ولم يكن حينئذٍ من الأفعال دلالة على فاعلها ولا كان في حدوث العالم دلالة على صانعه، كما لو أجاز إنسان وجود كتابة لا من كاتب ووجود منسوخ ومبنًى لا من ناسخ وبان. **الفرق بين الفرق**، أبو منصور، (ص١٥٧).

قال أبو عبد الله البخاري[1]: «فأما ما احتج به الفريقان لمذهب أحمد ويدعيه كلّ لنفسه فليس بثابت كثير من أخبارهم، وربما لم يفهموا دقة كلامه بل المعروف من مذهبه ومذهب أهل العلم أنَّ كلام الله تعالى غير مخلوق وما سواه فهو مخلوق، وأنهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة وتجنبوا أهل الكلام والخوض والتنازع إلا فيما جاء به العلم وبينه الرسول ﷺ».

قال أيضًا[2]: وقد كتب رسول الله ﷺ إلى قيصر كتابًا وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة ءال عمران] الآية، وقرأه ترجمان قيصر على قيصر وأصحابه، ولا نشك في قراءة الكفار وأهل الكتاب أنَّها أعمالهم، وأما المقروء فهو كلام الله تعالى الذي ليس بمخلوق ولا خلق، فمن حلف بأصوات قيصر وأصوات المشركين الذين قرءوا كتاب رسول الله ﷺ فليس عليه يمين، وهذا واضح عند من كان عنده أدنى معرفة إذ القراءة غير المقروء قال ﷺ: «**لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ**»[3]، فالمتلو هو الفاتحة لا التلاوة.

---

(١) **خلق أفعال العباد**، البخاري، (ص٦٢).

(٢) **خلق أفعال العباد**، البخاري، (ص١٠٢).

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، (١/١٥٦)، رقم الحديث: ٧٥٦.

وقال البخاري في هذا الكتاب[1]: من قال إن القرءان بعينه في المصحف يلزم أن يقول إنَّ الجنَّ والإنس والجنَّة والنار وفرعون وهامان كلّهم في المصحف لأن جميع ذلك مكتوب فيه، فالقرءان قول الله تعالى والقول صفة القائل والقائل موصوف به، وأما القراءة والكتابة والحفظ للقرءان فهو من أفعال العباد لقوله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ ۝٢٠﴾ [سورة المزمل] وإنَّما يؤمر العبد بما هو فعله.

روى محمد بن إسماعيل السلمي عن أحمد بن حنبل أنه قال: «من قال القرءان محدث فهو كافر»، وروى أبو عوانة الحافظ عن أبي الحسن الميموني قال: «خرج أبو عبد الله أحمد بن حنبل إليّ يومًا فقال: ادخل فدخلت منزله فكنت أنا وهو فقلت: أخبرني عما كنت فيه مع القوم وبأي شىء كانوا يحتجّون عليك فقال: بأشياء من القرءان منها قوله تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢﴾ [سورة الأنبياء]، قال: قلت يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو المحدث لا الذكر نفسه»، وذكر أشياء غيره.

وروى أحمد بن السمّاك عن حنبل بن إسحاق بن حنبل قال سمعت عمي أحمد بن حنبل يقول: «واحتجوا عليه يومئذٍ بهذه الآية فقلت: هذا يا أمير المؤمنين قد يكون على بعض الذكر وليس فيه ألف ولام، وقوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ [سورة ص] معرفة وهذا هو القرءان».

---

(١) **خلق أفعال العباد**، البخاري، (ص١١٣).

وروى حنبل عن عمه أحمد قال: «لم يزل الله تعالى متكلمًا والقرءان كلام الله تعالى غير مخلوق».

ثم قال: «وقال أحمد في كتاب الرد على الجهمية لا يقال في كتاب الله هو الله ولا غيره، وقال عبد الله سمعت أبي يقول: من قال لفظي بالقرءان مخلوق يريد به أن القرءان مخلوق فهو كافر».

وروى عبد الله عنه مطلقًا أنه قال: «من قال لفظي بالقرءان مخلوق فهو كافر»، وعنى به ما ذكره في الرواية الأولى فإن المطلق محمول على المقيد. وروى عنه عبد الله أيضًا أنه قال: «من قصد إلى القرءان بلفظ أو غيره يريد أنه مخلوق فهو جهمي، وهذا يدل على صحة ما قلناه».

وحدث أبو حامد الشارفي عن أبي القاسم بن أبيه سمع عن أحمد بن حنبل قال: «من قال لفظي بالقرءان مخلوق فهو جهمي، ومن قال لفظي بالقرءان غير مخلوق فهو مبتدع».

وقال عبد الله: «كان أبي يكره أن يتكلم في اللفظ يعني فيقال مخلوق أو غير مخلوق».

وحدث محمد بن إسحق الصاغاني عن أبي محمد فوران أنه قال: «جاء ابن شداد برقعة فيها مسائل منها إن لفظي بالقرءان غير مخلوق فرفعت إلى أبي بكر المروّذي وقلت له: اذهب بها إلى أبي عبد الله وأخبره أن ابن شداد ههنا وهذه الرقعة قد جاء بها فما كرهت منها وأنكرته فاضرب عليه، فجاء لي بالرقعة وقد ضرب على موضع لفظي بالقرءان غير مخلوق وكتب القرءان حيث تصرف غير مخلوق».

وحدّث أبو العباس السراج قال سمعت أبا عمارة وأبا جعفر بن أحمد قالا سمعنا أحمد بن حنبل يقول: اللفظ محدث قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨﴾ [سورة القيامة] ولم يقل فإذا لفظناه وقال تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [سورة ق] فاللفظ كلام الآدميين.

وحدث محمد بن إسحاق الصاغاني عن أبي محمد فوران صاحب أحمد ابن حنبل قال: سألني أبو بكر الأثرم في جماعة من كبار أصحابنا أن أطلب من أبي عبد الله خلوة أسأله فيها عن أصحابنا الذين يفرّقون بين اللفظ والمحكي فطلبت منه خلوة وسألته عنها فقال: القرءان كيف تصرف غير مخلوق فأما أفعالنا فمخلوقة، قال: والجهمية هم الذين يقولون القرءان مخلوق.

هذا ما بلغنا في أقاويل أحمد بن حنبل في القرءان فمن أحاط بمجموعها علمًا استيقن أنَّه لا خلاف بينه وبين أصحابنا في المعنى، إلا أنَّه كره إطلاق القول بأنَّ قراءة القرءان وألفاظ القراءة به مخلوق لما في ذلك من الإيهام بأن القراءة بمثابة الكسوة للمقروء، فمن قال إنَّها مخلوقة وقصد بها المقروء فهو مبتدع ومن لم يقصد به القرءان فيكره إطلاقه، وهكذا قال أبو الحسن.

تنبيه: فليحذر كلام محمد سعيد البوطي في بعض مؤلفاته حيث إنَّه استدل بقول الإمام أحمد للمعتصم يا أمير المؤمنين وجعله حكمًا للمعتزلة بأنهم لا يكفّرون.

ثم إن المعتزلة ثبت عنهم أنهم يقولون بأنَّ الله كان قادرًا على خلق حركات العباد وسكناتهم قبل أن يعطيهم القدرة عليها فلما أعطاهم القدرة عليها صار عاجزًا عن خلقها، ذكر ذلك الإمامان أبو منصور الماتريدي وأبو منصور البغدادي، وإمام الحرمين والإمام أبو سعيد المتولي والإمام أبو الحسن شيث بن إبراهيم كل هؤلاء في مؤلف له نص على ذلك، وكذلك نص عليه أبو المعين النسفيّ الحنفي قال: «فالمعتزلة قالوا الله أعطى العبد القدرة على أعماله فلم يبق لله سلطان بل هو عاجز عن خلق مقدور العبد». فكيف يستجيز مسلم أن يقول عمن هذا اعتقاده إنه مسلم.

ثم إنَّه على قولهم نسبوا إلى الله البكم لأنه لا يوصف الذات بأنَّه متكلم بكلام قائم بغيره. فالله تعالى عند المعتزلة متكلم بمعنى أنَّه خالق الكلام في غيره لا أنه موصوف بكلام قائم بذاته وهذا إثبات البكم لله والبكم نقص.

المبحث الثالث عشر:

دحض ما ادعاه ابن بطة من أن الله يتكلم بكلام يشبه الصواعق

وأما ما قاله ابن بطة في «الإبانة الصغرى[1]»: «إن الله تعالى لما كلَّم موسى وكلَّمه بالألسنة كلِّها سوى كلامِه، فقال له موسى: أي رب! هذا كلامك؟ قال: لا، ولو كلمتك بكلامي لم تستقم له، قال يا رب! فهل من خلقك شيء أشبه كلامك؟ قال لا أشد شبهًا بكلامي ما تسمعون أشد من هذه الصواعق». وقوله كذلك[2] ادعاء على كعب الأحبار أنَّه قال: «يقول كعب الأحبار: كلمه بالألسنة كلها قبل لسانه فطفق يقول أي رب! ما أفقه هذا فكلمه الله بلسانه أخو الألسنة بمثل صوته، فقال موسى أي رب! هكذا كلامك؟ قال الله له: لا، لو كلمتك كلامي، لم تك شيئًا. قال موسى: أي رب! هل من خلقك شيء يشبه كلامك؟ قال:لا وأقرب خلقي شبهًا بكلامي الصواعق» وفي موضع آخر يقول [3]: «كيف كلَّم موسى؟ قال: مشافهةً».

فيقال في الرّدِّ عليه: هذا الكلام المروي لا يصح وما هو إلا جهل من قائله بل جهل مركب وذاك من وجوه:

---

(١) **الإبانة الصغرى**، ابن بطة، (ص٣٠٢).

(٢) **الإبانة الصغرى**، ابن بطة، (ص٣٠٢).

(٣) **الإبانة الصغرى**، ابن بطة، (ص٣٠٣).

١. هذا الصّوت الّذي زعمه ابن بطة والصّوتيّة المشبهة أنّه لله تمسّكًا بظاهر إحدى الروايات لا يكون موجودًا اليوم وإنّما يكون ذلك يوم القيامة مشيًا على ظاهر الحديث، وقد ثبت لدى أهل الحق أنّ كلام الله كسائر صفاته قديم موجود باق ببقاء ذاته تعالى، فتعارض ما زعمته **المشبهة مع ما اتّفق عليه جميع المسلمين من أنّ الله تعالى موصوف بصفات أزليّة أبديّة لا مفتتح لها ولا مختتم.**

٢. فإن زعموا أنّ ذلك الصوت الّذي يكون يوم القيامة هو صفة لكلامه، مع النّظر إلى أنّ ذلك الصّوت غير موجود الآن لزومًا ممّا ادّعوه، فقد ادّعوا أنّ صفةً لله عز وجلّ هي معدومة لم توجد بل ستوجد يوم القيامة، ومن قال بهذا فقد **جعل لله تعالى كلامًا مخلوقًا لا محالة**، وفي وقت محدّد بعد أن لم يكن، فبطل بذلك ما ادّعوه أنّ الصّوت صفة لكلام الله تعالى، ومن المعلوم أنه **ليس كلّ لفظ أضيف إلى الله تعالى فهو صفة له حملًا على المعنى الظّاهر** لهذا اللّفظ، فمن زعم هذا وهو يعلم ما يقول فقد كفر وأشرك بالله عزّ وجلّ لا محالة.

٣. **هذا الحديث ضعفه العلماء** ولم يأخذوا به ولا بغيره من أحاديث الصوت فلم تثبت إذًا أحاديث الصوت كما هو مشهور عند العلماء، فالبيهقي رحمه الله في «الأسماء والصفات»(١) ذكر عدة من أحاديث

---

(١) **الأسماء والصفات**، البيهقي، (٢/٢٩).

الصوت هذا ونفى أن يكون المراد بها الله فقال: «يعني والله أعلم: يناديه ملك بصوت. وهذا ظاهر في الخبر».

وهاكم نقول أخرى ترد على من أثبت الصوت وجعل كلام الله ككلامنا والعياذ بالله تعالى من الكفر:

- قال البيهقي رحمه الله تعالى في «الأسماء والصفات»[1]: «أخبرناه أبو محمد السكري، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور، أنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، عن جرير بن جابر الخثعمي، عن كعب، قال: «إن الله عز وجل لما كلم موسى كلمه بالألسنة كلها سوى كلامه، قال له موسى: أي رب هذا كلامك؟ قال: لا، لو كلمتك بكلامي لم تستقم له. قال: أي رب فهل من خلقك شيء يشبه كلامك؟ قال: لا، وأشد خلقي شبها بكلامي أشد ما تسمعون من هذه الصواعق». ورواه ابن أخي الزهري عنه عن أبي بكر فقال عن جرير بن جابر الخثعمي. وقال البخاري وقال يونس وابن أخي الزهري والزبيدي: جرو. وقال شعيب: جرز بن جابر. وهو رجل مجهول، ثم يحتمل أنه أراد: ما سمع للسماوات والأرض من الأصوات عند إسماع الرب جل ذكره إياه كلامه، كما روينا عن أهل السماوات أنهم يسمعون عند نزول الوحي للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، وكما روينا في الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله

(١) **الأسماء والصفات**، البيهقي، (٢/٣٢).

الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان». وكما روينا عن نبينا ﷺ أنه كان يأتيه الوحي أحيانا في مثل صلصلة الجرس، **وكل ذلك مضاف إلى غير الله سبحانه وتعالى، وكذلك الصوت المذكور في هذا الحديث، إن كان صحيحًا، ولا أراه يصح إلا وهو مضاف إلى غير الله سبحانه وتعالى**». وكذا ضعف حديث سبق هذا فيه إضافةُ الصوتِ إلى الله تعالى وقال عنه ضعيف.

-وقال بدر الدين بن جماعة(١) في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل»: «وكذلك دعوى قدم القرآن مع كونه حرفًا وصوتًا فإن القدم والحرف والصوت لا يجتمعان لما علم من حد القديم والحادث وكيف يعقل اجتماع الصوت بالباء والسين والميم فضلًا عما زاد على ذلك في آنٍ واحد ومن لا يقفون يقف العقل الذي جعله الله تعالى دليلًا عليه وعلى صفاته كيف يقفوا يقف ويقدم عليه ضعيف الحديث المنقول وموضوعاته لم يستحق كلامًا بل جوابه سلامًا». ثم نفى في عدة مواضع أن يكون لله صوت كصوت الصلصلة ونسبها للملك وغير ذلك من التنزيه الذي يليق بالله تعالى فجزاهم الله تعالى عنَّا كل خيرٍ.

واعلم أنَّ العلماء طالما نزَّهوا الله فهاكّ بيت من الشعر من صاحب جوهرة التوحيد الشيخ الفقيه إبراهيم اللقاني الذي قال فيها:

ونزّه القرءان أي كلامه عن الحدوث واحذرِ انتقامَه

---

(١) **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، بدر الدين بن جماعة، (ص٩٩).

ومعناه: (**و**)وجوبًا أيّها المكلّف (**نزّه**) أي قدس (**القرءان أي كلامه**) عزّ وجلّ الذّاتيّ واعتقده متعاليًا (**عن**) سمات (**الحدوث**) كالحرف والصّوت واللّغة والاستئناف والانقطاع وغير ذلك (**واحذر**) أي خف (**انتقامه**) أي انتقام الله تعالى منك إن قلت بحدوث كلام الله الأزلي. وقد سبق كلامنا على تنزيه كلام الله تعالى النفسي عن مشابهته كلام المخلوقين.

- قال الإمام الإسفراييني ذاكرًا عقيدة أهل السنة والجماعة ما نصه: «وأن تعلم أن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت لأن الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدم والتأخر، وذلك مستحيل على القديم سبحانه».

- وقال ملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر ما نصه: «ومبتدعة الحنابلة قالوا: كلامه حروف وأصوات تقوم بذاته وهو قديم، وبالغ بعضهم جهلًا حتى قال: الجلد والقرطاس قديمان فضلاً عن الصحف، وهذا قول باطل بالضرورة ومكابرة للإحساس بتقدم الباء على السين في بسم الله ونحوه».

- قال الشيباني في شرح الطحاوية ما نصه: والحرف والصوت مخلوق، خلق الله تعالى ليحصل به التفاهم والتخاطب لحاجة العباد إلى ذلك أي الحروف والأصوات، والبارئ سبحانه وتعالى وكلامه مستغن عن ذلك أي عن الحروف والأصوات، وهو معنى قوله: «ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

- قال أبو بكر الباقلاني في «الإنصاف» ما نصه: «ويدل عليه قول شيخ طبقة التصوف الجنيد رحمه الله، فإنه قال: جلَّت ذاته عن الحدود، وجلَّ كلامه عن الحروف، فلا حدَّ لذاته، ولا حروف لكلامه».

فمن هنا: بعد ما رأينا أقوال العلماء الأجلاء في مسألة إضافة الصوت إلى الله فمن أين يتنطع المتنطعون أدعياء المشايخ كابن تيمية الحراني سلفه وخلفه من المجسمة والوهابية على إثبات لله صوت إنكم إن أثبتم لله الصوت فقد جعلتموه حادثًا لأنه هناك في الدين الإسلامي قاعدة ذهبية عقليَّة متفق عليها عند العلماء جميعًا وهي «أنَّ حدوث الصفة يستلزم حدوث الذات» فنقول بالملخص لو جاز اتصاف الله سبحانه وتعالى بالصوت والحروف يعني بالأعراض التي هي مشاهد تغيرها نقول:

- إما أن يكون اتصافه بالحرف والصوت قديمًا فيلزم أن لا ينعدم اتصافه به لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه.

- أو ثبت حدوث اتصافه بهما واستحالة وجوده في الأزل فيلزم حدوثُ الأجرام واستحال وجوده في الأزل قطعًا لاستحالة انفكاكها عن الأعراض إذ حدوث أحد المتلازمين يستلزم حدوث الآخر ضرورة.

المبحث الرابع عشر:

شبهة ابن بطة في أن الله يكلم نفسه وإبطالها

إنَّ ما ادَّعاه ابن بطة[1] في كتابه الإبانة الصغرى بقوله: فيما يحتج به على الجهمية أن يقال لهم: أرأيتم إذا مات الخلق كلهم فلم يبق أحد غير الله من القائل: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ١٦﴾ [سورة غافر] وقد مات كل مخلوق، ومات ملك الموت، ثم يرد ربنا تعالى على نفسه ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ يكشف بذلك عن خبيث معتقده حيث يقول: إن الله يوم القيامة بعد أن يفني من يريد إفناءهم ينادي بنفسه ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ١٦﴾ معنى ذلك أن الله كان ساكتًا فنادى بالصوت والحرف ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ١٦﴾ ثم يسكت فلا أحد يجيب ومن ثم ينادي بنفسه ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ فيتكلم مرةً أخرى بعد أن كان ساكتًا، وهذا تشبيه وكذب وافتراء.

قال الرازي[2] في تفسيره «بمفاتيح الغيب»: «**الصفة الرابعة**: قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ [سورة غافر] والتقدير يوم ينادي فيه لمن الملك اليوم؟ وهذا النداء في أي الأوقات يحصل فيه قولان:

القول الأول: قال المفسرون إذا هلك كل من السموات ومن في الأرض فيقول الرب تعالى: لمن الملك اليوم؟ يعني يوم القيامة فلا يجيبه أحد فهو

---

(١) **الإبانة الصغرى**، ابن بطة، (ص٢٥١).

(٢) **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، (٢٧/٥٠٠).

تعالى يجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار **قال أهل الأصول هذا القول ضعيف وبيانه من وجوه:**

الأول: أنه تعالى بيّن أن هذا النداء إنما يحصل يوم التلاق ويوم البروز ويوم تجزى كل نفس بما كسبت، والناس في ذلك الوقت أحياء، **فبطل قولهم إن الله تعالى إنما ينادي بهذا النداء حين هلك كل من في السموات والأرض.**

والثاني: أن الكلام لا بد فيه من فائدة لأن الكلام إما أن يذكر حال حضور الغير، أو حال ما لا يحضر الغير: والأول: باطل هاهنا لأنَّ القوم قالوا إنه تعالى إنما يذكر هذا الكلام عند فناء الكل. والثاني: أيضًا باطل لأن الرجل إنما يحسن تكلمه حال كونه وحده إما لأنه يحفظ به شيئًا كالذي يكرر على الدرس وذلك على الله محال، أو لأجل أنه يحصل سرور بما يقوله وذلك أيضًا على الله محال، أو لأجل أن يعبد الله بذلك الذكر وذلك أيضًا على الله محال، فثبت أنَّ قول من يقول إن الله تعالى يذكر هذا النداء حال هلاك جميع المخلوقات باطل لا أصل له.

والقول الثاني: أن في يوم التلاق إذا حضر الأولون والآخرون وبرزوا لله نادى مناد لمن الملك اليوم فيقول كل الحاضرين في محفل القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذًا بهذا الكلام، حيث نالوا بهذا الذكر المنزلة الرفيعة، والكفار يقولونه على الصغار والذلة على وجه التحسر والندامة على أن فاتهم هذا الذكر في الدنيا». وهو القول الصحيح وهو القول الذي رسي عليه المفسرون من القرطبي والنسفي وغيرهم.

فإذًا القول الصحيح المعتمد الموافق لعقيدة المسلمين أن الملَكَ هو الذي ينادي في موقف القيامة بأمرٍ من الله والملَك نفسه يجيب، فعند النفخة الأولى التي ينفخها إسرافيل في البوق يموت الإنس والجن ثم بعد أربعين سنة ينفخ النفخة الثانية فيحيي الله الإنس والجن فيأمر الله ملكًا فينادي ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۝١٦﴾ ثم هو الملك يجيب نفسه بنفسه ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾ حتى يعلم أهل الموقف أن هذا اليوم يوم عظيم ليس مثل الدنيا، في الدنيا هناك مَلِك وهناك ملِك وهناك ملِك (ملوكٌ عدة في أماكن مختلفة).

ثم اعلموا أن الله ليس كما زعم أهل التشبيه والتجسيم الذين وصفوا الله بصفات حادثة واعتقدوا أن كلامه ككلام خلقه يتكلم بعد سكوت ويسكت بعد كلام وأن كلامه يتخلله انقطاع، هذا تشبيه لله بخلقه وتكذيب لقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۝٧٤﴾[سورة النحل]، فلا حجة للمشبهة الصوتية في ما قيل من أن الله تعالى يقول بعد أن يقبض عزرائيلُ أرواح الخلق والملائكة فيقبض اللهُ روحَ عزرائيل ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۝١٦﴾ فيجيب نفسَه بنفسِه ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾، لأنه حديث ضعيف رواه الطبراني.

ويقال لهم أيضًا: أليس الله تعالى كان موجودًا قبل هذه الحروف فهي محدثة أحدثها هو، فكيف يتصف الله بشىء محدث. بل قولهم فيه نسبة الحدوث إلى ذات الله لأن ما يتصف بالحادث فهو حادث وإنما تأويل ما

ورد في القرءان من هذه الألفاظ أنها عبارة عن كلامه الأزلي الأبدي. فالكلام الأزلي يُعبَّرُ عنه باللفظ الماضي وبلفظ المضارع وبلفظ الأمر، فكلام الله القائم بذاته غير مجتزأ ولا متبعض كما أن حياته صفة قائمة بذاته أي ثابتة له لا تتجزأ ولا يتخللها انقطاع. قال أبو حنيفة رضي الله عنه: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» ونسبة الصوت إلى الله أو أنه يتكلم بكلام حادث أو بحروف أو أنه تحدث له صفة لم تكن في الأزل فهو تكذيب للقرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ۝١١﴾ [سورة الشورى].

البَابُ السَّابِع:
مكانةُ عِلمُ الكَلَام

ويشتمل على عدة مباحث:

- **المبحث الأول**: ماهية علم الكلام
- **المبحث الثاني**: الغاية من علم الكلام
- **المبحث الثالث**: فوائد علم الكلام
- **المبحث الرابع**: ثمرة علم الكلام
- **المبحث الخامس**: تناول هذا العلم
- **المبحث السادس**: استمداد هذا العلم وأقسامه
- **المبحث السابع**: إماما علم الكلام
- **المبحث الثامن**: المصنفون فيه والمتكلمون فيه
- **المبحث التاسع**: حكم تعلّم علم التّوحيد والاشتغال بنصب أدلّته
- **المبحث العاشر**: تكفير العلماء لمن ذم وأبغض علم الكلام الذي اشتغل به أهل السنَّة سلفًا وخلفًا
- **المبحث الحادي عشر**: إجماع أهل السنة على الاشتغال بعلم الكلام

إنَّ ابن بطة من جهله لا يميز بين علم الكلام الذي اشتغل به الصحابة ومن بعدهم لإحقاق الحق وإبطال الباطل وهذا ممدوح بل واجب وبين علم الكلام المذموم الذي هو لأهل الأهواء والبدع الاعتقادية الذي يريدون به نشر معتقداتهم المخالفة للإسلام.

فقد قال ابن بطة[1] في كتابه المسمى «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية»: «**صاحب الكلام لا يخرج حب الكلام من قلبه إنه لا يفلح كما تكلم بمحدثه حمل نفسه على الذبّ عنها**».

وقال أيضًا في نفس الصحيفة[2] ناسبًا قولًا للإمام أحمد: «**لا تجالس صاحب كلام وإن ذبّ عن السنة فإنه لا يؤول أمره إلى خير**».

فنقول في الردِّ مبتدئين بأفضل الكلام أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله كلام التوحيد كلام أهل الحق من ذمه فقد باء بأشنع الكلام فهذا ابن بطة ذمه بل ونسب عدم الفلاح لمن اشتغل فيه ونهى عن مجالسة من لبس لباس أهل السنة.

---

(١) **الإبانة الصغرى**، ابن بطة، (ص١٩٣).

(٢) **الإبانة الصغرى**، ابن بطة، (ص١٩٣).

المبحث الأول:

ماهية علم الكلام

هو علم العقيدة علم أصول الدين هو العلم الذي قال عنه أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه: «فيا طلاب الحق لا يهولنّكم قدح المشبهة المجسمة في هذا العلم بقولهم إنه الكلام المذموم لدى السلف، ولم يدروا أن الكلام المذموم هو ما ألّفه المعتزلة على اختلاف فرقهم والمشبهة على اختلاف فرقهم من كرّاميّة وغيرها فإنهم قد افترقوا إلى عدة فرق بيّنها من ألفوا في بيان الفرق كالإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ففيه الكلام على معرفة الصّانع سبحانه ما يليق به كالقدم والوحدة والقدرة والإرادة وغيرها وما يستحيل عليه كالعجز والحدوث والفناء والافتقار والمكان ومعرفة رسوله ما يليق به من الجمال والشجاعة والتقوى وما يستحيل عليه من الجبن والغباوة والبلادة ومعرفة ما أخبر به من أهوال يوم القيامة والجنة والنار وغير ذلك فكيف يذم بعد ذلك».

المبحث الثاني:

الغاية من علم الكلام

هو أن يصير الإيمان والتّصديق بالأحكام الشّرعيّة متقنًا محكمًا، لا تزلزله شبه المبطلين، فيرتقي من مستوى التّقليد إلى ذروة الإيقان بسبب التّمكّن من الاستدلال وقد بلغنا عن حاتم الأصم وكان من أفاضل

الزهّاد وأهل العلم أنه قال: «الكلام أصل الدين والفقه فرعه والعمل ثمره، فمن اكتفى بالكلام دون الفقه والعمل تزندق، ومن اكتفى بالعمل دون الكلام والفقه ابتدع، ومن اكتفى بالفقه دون الكلام والعمل تفسّق، ومن تفنّن في الأبواب كلها تخلص». وقد روي مثل كلام حاتم عن أبي بكر الورّاق.

المبحث الثالث:

فوائد علم الكلام

إرشاد الطّالبين، وإلزام المعاندين بإقامة الحجج والبراهين، وإبعاد شبه الخصوم عن قواعد الدّين، وصحّة النّيّة والاعتقادات الّتي يقع بها العمل في حيّز القبول، ولقد بيّن أهميّة هذا العلم خلق كثير وجمّ غفير من العلماء، منهم التّفتازانيّ أحد أعلام المتكلمين عند أهل السّنّة في كتابه شرح المقاصد بقوله: «فهو أشرف العلوم لما تبيّن أنّ موضوعه أعلى الموضوعات ومعلومه أجلّ المعلومات وغايته أشرف الغايات، مع الإشارة إلى شدّة الاحتياج إليه، وابتناء سائر العلوم الدّينيّة عليه، والإشعار بوثاقة براهينه، لكونها يقينيّات يتطابق عليها العقل والشّرع، فتبيّن أنّه أشرف العلوم لأنّ هذه جهات شرف العلم، وما نقل عن السّلف من الطّعن فيه فمحمول على ما إذا قصد به إفساد عقائد المبتدئين والتّوريط في أودية الضّلال بتزيين ما للفلسفة من المقال».

المبحث الرابع:

ثمرة علم الكلام

الفوز بسعادة الدّارين. في الدّنيا انتظام أمر المعاش بالمحافظة على الاستقامة في سبيل الحق واجتناب نهج الفساد، وفي الآخرة النّجاة من العذاب المرتّب على الكفر وسوء الاعتقاد.

فائدة: واعلم رحمك الله أنّ الاشتغال بالعلم من أفضل القرب وأجلّ الطّاعات، وأهمّ أنواع الخير وءاكد العبادات، فكيف بعلم التّوحيد إذ كان أشرف العلوم من كل الجهات، علم العقيدة وتوحيد الله رب الكائنات، فهو أولى ما أنفقت فيه نفائس الأوقات، وسعى في إدراكه والتّمكّن فيه أصحاب الأنفس الزّكيّات، وبادر إلى الاهتمام به المسارعون إلى المكرمات، وسارع إلى التّحلّي به مستبقو الخيرات، وقد تظاهر على ما ذكرته جمل من ءايات القرءان الكريمات، والأحاديث الصّحيحة النّبويّة المشهورات.

المبحث الخامس:

تناول هذا العلم واستمداده

يتناول هذا العلم القضايا النّظريّة الشّرعيّة الاعتقاديّة.

وأما عن استمداده فهو من الكتاب والسّنّة والإجماع والدّلائل العقليّة.

١- **القرءان**: وهو أصل الحجج وبه تثبت الرسالة وقامت الحجة على دحض الضلال، وهو المهيمن على الكتب السماوية، وبه يميّز الحق من الباطل، وقد أمر الله برد المتنازع فيه إليه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [سورة النساء] والرد إلى الله هو الرد إلى القرءان كما نستدل من قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [سورة الشورى] على أن الله سبحانه وتعالى لا يشبهنا موجود أزلًا وأبدًا بلا مكان، والرد إلى الرسول هو الرد إلى الأحاديث الصحاح الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- **السّنة**: اعلم أن الاحتجاج بالحديث في أمور الاعتقاديات يشترط فيه أن يكون الراوي متفقًا على ثقته أي أن يرد الحديث بإسناد غير مختلف فيه كما ذهب إلى ذلك أهل التنزيه من المحدثين والفقهاء، فلا يكفي الاحتجاج بالحديث الذي ورد من طريق ضعيف لو اعتضد كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «شرح صحيح البخاري»، ونص عبارته[١]: «لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب ويحتاج إلى تأويل، فلا يكفي فيه مجيء الحديث من طريق مختلف فيها ولو اعتضدت»، أي لا يكفي ذلك في مسائل الاعتقاد.

لذلك اصطلح العلماء علماء أهل الحديث على أنه لا تثبت الصفة لله بقول صحابي أو تابعي إلا بما صحَّ من الأحاديث النبوية المرفوعة المتفق

(١) **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (١/ ١٧٤).

على توثيق رواتها، فلا يحتج بالضعيف ولا بالمختلف في توثيق رواته حتى لو ورد إسناد فيه مختلف فيه وجاء حديث ءاخر يعضده فلا يحتجّ به.

وقد نقل البيهقي في «الأسماء والصفات»[1] عن أبي سليمان الخطابي «أنه لا تثبت لله صفة إلا بكتاب ناطق أو خبر مقطوع بصحته».

وكذلك يحتج بالحديث المتواتر وهو أعلى درجات الحديث الصحيح، والمتواتر هو ما أخبر به جمع كثير عن مشاهدة وإحساس واستمرت هذه الكثرة في الطبقة الأولى وهي التي شاهدت المخبر به والثانية والثالثة، فهذا الخبر لا يحتمل الكذب.

وأمّا ما نزل عن التواتر فهو مستفيض ويقال له المشهور، ومنه ما هو دون ذلك، فالمستفيض الذي هو المشهور حجة في الاعتقاديات لإفادته العلم كالمتواتر، والمشهور هو ما رواه ثلاثة عن ثلاثة فأكثر، وقد اشترط أبو حنيفة وأتباعه من الماتريدية أن يكون الحديث في درجة المشهور للاحتجاج به في أمور العقيدة، واحتج في رسائله التي ألفها في الاعتقاد بنحو أربعين حديثًا من قبيل المشهور جمعها كمال الدين البياضي.

وأما ما نزل عن ذلك فلا يحتج به لإثبات الصفات.

٣- **الإجماع**: وهو إجماع أهل الحق في مسئلة دينية، فالأصل الذي يبنى عليه إثبات قدم صفات الله تعالى هو الإجماع القطعي، قال السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: «اعلم أن حكم الجواهر والأعراض كلها

---

(١) **الأسماء والصفات**، البيهقي، (١٦٧/٢).

الحدوث فإذًا العالم كله حادث، وعلى هذا إجماع المسلمين بل كل الملل ومن خالف في هذا فهو كافر لمخالفته الإجماع القطعي».

٤- **العقل**: اعلم أن الله تبارك وتعالى حثَّ عباده في القرءان على النظر في ملكوته لمعرفة جبروته فقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ١٨٥﴾ [سورة الأعراف]، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ٥٣﴾ [سورة فصلت]، وعلماء التوحيد لا يتكلمون في حق الله وفي حق الملائكة وغير ذلك اعتمادًا على مجرد النظر بالعقل، بل يتكلمون في ذلك من باب الاستشهاد بالعقل على صحة ما جاء عن رسول الله ﷺ، فالعقل عند علماء التوحيد شاهد للشرع ليس أصلًا للدين، على أنَّ النظر العقلي السليم لا يخرج عما جاء به الشرع ولا يتناقض معه.

واعلم أيضًا أنَّ علماء الحديث ذكروا أنَّ الحديث إذا خالف النص القرءاني أو الحديث المتواتر أو صريح العقل ولم يقبل تأويلًا فهو باطل، وذكر ذلك الفقهاء والأصوليون في كتب أصول الفقه كتاج الدين السبكي في جمع الجوامع وغيره.

وقال الحافظ الفقيه الخطيب البغدادي في كتابه «الفقيه والمتفقه» ما نصه[1]: «وإذا روى الثقة المأمون خبرا متصل الإسناد رد بأمور: أحدها:

(١) **الفقيه والمتفقه**، الخطيب البغدادي، (١/٣٥٤).

أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه لأن الشرع إنما يرد بمجوّزات العقول وأما بخلاف العقول فلا».

وليعلم أن العقل مفيد للعلم خلافًا للسّمّنية في جميع النظريات وبعض الفلاسفة في الإلهيات، فإن قيل: لو كان هذا يفيد العلم القطعي لتحقق في كل من نظر فيه والواقع خلاف ذلك فإن كثيرًا من الناظرين فيه لا يتحقق لهم ذلك العلم القطعي، فالجواب أن يقال: إنما لم يحصل لهم العلم به لفساد نظرهم، وأما النظر الصحيح هو الذي استوفى شرط النظر فهو في حد ذاته مفيد للعلم القطعي.

تنبيه: قال الشيخ شرف الدين التلمساني في شرح لمع الأدلة[1] ما نصه: «إن الشرع إنما ثبت بالعقل فلا يتصور وروده بما يكذب العقل فإنه شاهده فلو أتى بذلك لبطل الشرع والعقل، فإذا تقرّر هذا فنقول: كل لفظ يرد من الشرع في الذات والأسماء والصفات مما يوهم خلاف العقل فلا يخلُ إما أن يكون متواترًا أو ءاحادًا، فإن كان ءاحادًا وهو نص لا يحتمل التأويل قطعنا بتكذيب ناقله أو سهوه أو غلطه، وإن كان ظاهرًا فالظاهر منه غير مراد، وإن كان متواترًا فلا يتصور أن يكون نصًّا لا يحتمل التأويل فلا بد أن يكون ظاهرًا أو محتملًا فحينئذٍ نقول: الاحتمال الذي دل العقل على خلافه ليس بمراد منه، فإن بقي بعد إزالته احتمال واحد تعين أنه المراد بحكم الحال، وإن بقي احتمالان فصاعدًا فلا يخلو إما أن

---

(١) **شرح لمع الأدلة**، شرف الدين التلمساني (٧٦)، مخطوط.

يدل قاطع على تعيين واحد منها أو لا، فإن دلّ حمل عليه، وإن لم يدل قاطع على التعيين فهل يعين بالظن والاجتهاد؟ اختلف فيه فمذهب السلف عدم التعيين خشية الإلحاد».

وقول ابن التلمساني «إن مذهب السلف عدم التعيين» لعله يريد بذلك عدم كثرة ذلك بالنسبة للخلف وإلا فقد ثبت عن السلف كما ثبت عن الخلف، فمن نفى التأويل عن السلف غالط لثبوت ذلك عن أحمد بالإسناد الصحيح، وكذلك ثبت عن الإمام البخاري وغيرهما.

المبحث السادس:
أقسام هذا العلم

ينقسم إلى قسمين ممدوح و مذموم، فقد قال الإمام الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر مؤرخ الشام الدمشقي المتوفى سنة خمسمائة وإحدى وسبعين في كتابه الذي ألّفه في الدفاع عن الإمام أبي الحسن الأشعري وبيّن فيه كذب من افترى عليه بعد كلام ما نصه[١]: «والكلام المذموم كلام أصحاب الأهوية وما يزخرفه أرباب البدع المردية، فأما الكلام الموافق للكتاب والسنة الموضح لحقائق الأصول عند ظهور الفتنة فهو محمود عند العلماء ومن يعلمه وقد كان الشافعي يحسنه ويفهمه».

---

(١) **تبيين كذب المفتري**، ابن عساكر، (ص ٣٣٩).

المبحث السابع:
إماما علم الكلام

قال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء[1]: «هذه المسائل التي تلقاها الإمامان **الأشعري والماتريدي** هي أصول الأئمة رحمهم الله تعالى، فالأشعري بنى كتبه على مسائل من مذهب الإمامين مالك والشافعي أخذ ذلك بوسائط فأيَّدها وهذبها، والماتريدي كذلك أخذها من نصوص الإمام أبي حنيفة».

والإمام أبو حنيفة وصاحباه أول من تكلّم في أصول الدين بالتوسّع وأتقنها بقواطع البراهين على رأس المائة الأولى، وقد ذكر الأستاذ عبد القاهر البغدادي أن أول متكلمي أهل السنّة من الفقهاء أبو حنيفة والشافعي.

المبحث الثامن:
المصنفون فيه والمتكلمون فيه

صنّف سيد المحدّثين في زمانه محمّد بن إسمـٰـعيل البخاري كتاب «خلق أفعال العباد»، وصنّف المحدث نعيم بن حماد الخزاعي وهو من أقران الإمام كتابًا في الردّ على الجهمية وغيرهم، وصنّف المحدّث محمّد بن

(١) **إتحاف السادة المتقين**، الزبيدي، (١٣/٢).

أسلم الطوسي وهو من أقران الإمام أحمد أيضًا في الردّ على الجهمية[1]، وقد ردّ على المعتزلة فأجاد بالتأليف ثلاثة من علماء السنّة من أقران الإمام أحمد بن حنبل الحارث المحاسبي والحسين الكرابيسي وعبد الله بن سعيد بن كلّاب ـ المتوفى بعد الأربعين ومائتين بقليل ـ ويمتاز الأول بإمامته أيضًا في التصوف.

وقد صنّف إماما أهل السنّة والجماعة في عصرهما وبعده إلى يومنا هذا أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي المصنفات العظيمة في الردّ على طوائف المبتدعة والمخالفين للإسلام مملوءة بحجج المنقول والمعقول، وامتاز الأول بمناظراته العديدة للمعتزلة بالبصرة التي فلّ بها حدّهم وقلل عددهم. وكانت وفاة الأشعري في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة للهجرة، وتوفي الشيخ أبو منصور بعد وفاة الأشعري بقليل.

وصنّف أتباعهما من بعدهما المئات من المجلدات في الردّ على المبتدعة والمخالفين للإسلام بالحجج الدامغة الكثيرة والمناظرات العديدة قطعوا بها المعتزلة الذين هم أفحل طوائف المبتدعة، كما قطعوا غيرهم من المبتدعة والدهريين والفلاسفة والمنجّمين، ورفعوا لواء مذهب الأشعري

---

(١) الجهمية فرقة ضالة تنسب إلى جهم بن صفوان الراسبيّ، كان ينكر الصفات لله وزعم أنَّ الله تعالى في الأمكنة كلها، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلم بن أحوز بمرو في أواخر ملك بني أمية سنة (١٢٨هـ)، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء. **الملل والنحل**، الشهرستاني، (١/١١٣).

والماتريدي في الخافقين[1] وأبرزهم في نشر مذهب الأشعري ثلاثة: الأستاذ أبو بكر بن فورك، وأبو إسحـٰق الإسفراييني، والقاضي الإمام أبو بكر الباقلاني، فالأولان نشراه في المشرق، والقاضي نشره في المشرق والمغرب، فما جاءت المائة الخامسة إلا والأمة الإسلامية أشعرية وماتريدية لم يشذّ عنها سوى نزر من المعتزلة وشرذمة من المشبّهة وطائفة من الخوارج؛ فلا تجد عالمًا محقّقًا أو فقيهًا مدققًا إلا وهو أشعري أو ماتريدي. وما حال هؤلاء المنكرين لعلم الكلام إلا كما قال الشاعر فيهم[2]: [البسيط]

عاب الكلام أناس لا عقول لهم وما عليه إذا عابوه من ضرر

ما ضرّ شمس الضحى في الأفق طالعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وما يروى عن الشافعي أنه قال[3]: «لأن يبتلى المرء بجميع ما نهى الله عنه ما خلا الشرك خير له من أن يبتليه الله بالكلام» فهو ليس على إطلاقه إنما هو في المبتدعة القدرية وغيرهم الذين جانبوا نصوص الشريعة كتابًا وسنّةً وتعمّقوا في الأهواء الفاسدة، وأما الكلام الموافق للكتاب والسنّة الموضح لحقائق الشريعة عند ظهور الفتنة فهو محمود عند العلماء قاطبة لم يذمّه الشافعي، وقد كان الشافعي رضي الله عنه يحسنه ويفهمه وقد ناظر

---

(١) المشرق والمغرب.

(٢) **الفتاوى الحديثية**، ابن حجر الهيتمي، (٤٨٩/١).

(٣) **مناقب الشافعي**، البيهقي، (٤٥٤/١).

بشرًا المريسي وحفصًا الفرد فقطعهما.

وروى البيهقي وغيره لفظًا ءاخر عنه: «لأن يلقى الله عزّ وجلّ العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من هذه الأهواء»[1].

والأهواء جمع هوى وهو ما مالت إليه نفوس المبتدعة الخارجين عما كان عليه السلف، أي ما تعلق به البدعيون في الاعتقاد كالخوارج والمعتزلة والمرجئة والنجارية وغيرهم وهم الاثنتان والسبعون فرقة كما ورد في الحديث المشهور[2]: «**وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنّة وهي الجماعة**» رواه أبو داود.

قال البيهقي في مناقب الشافعي ما نصه[3]: «قلت إنما أراد الشافعي بهذا الكلام حفصًا وأمثاله من أهل البدع وهذا مراده بكل ما حكي عنه في ذم الكلام وذم أهله غير أن بعض الرواة أطلقه وبعضهم قيّده وفي تقييد من قيّده دليل على مراده».

ثم قال: «وكيف يكون كلام أهل السنة والجماعة مذمومًا عنده وقد تكلّم فيه وناظر من ناظره فيه وكشف عن تمويه من ألقى إلى سمع بعض أصحابه من أهل الأهواء شيئًا مما هم فيه».

---

(٢) **سنن أبي داود**، أبو داود، (١٩٨/٤)، رقم الحديث: ٤٥٩٧.

(٣) **مناقب الشافعي**، البيهقي، (٤٥٤/١-٤٥٥).

وقال ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري»[1]: «فالشافعي رحمه الله إنما عنى بمقاله كلام حفص الفرد القدري وأمثاله».

فائدة: سمي هذا العلم أيضًا مع أدلته العقلية والنقلية من الكتاب والسنّة علم الكلام؛ والسبب في تسميته بهذا الاسم كثرة المخالفين فيه من المنتسبين إلى الإسلام وطول الكلام فيه من أهل السنّة لتقرير الحقّ؛ وقيل لأن أشهر الخلافات فيه مسألة كلام الله تعالى أنه قديم -وهو الحقّ- أو حادث -وهو الباطل- فالحشوية قالت كلامه صوت وحرف، حتى بالغ بعضهم فقال: إنَّ هذا الصوت أزلي قديم وإنَّ أشكال الحروف التي في المصحف أزلية قديمة فخرجوا عن دائرة العقل. وقالت طائفة أخرى: إنَّ الله تعالى متكلّم بمعنى أنه خالق الكلام في غيره كالشجرة التي سمع عندها موسى كلام الله لا بمعنى أنه قام بذات الله كلام هو صفة من صفاته وهم المعتزلة قبّحهم الله. وقال أهل السنّة: إن الله متكلّم بكلام ذاتي أزلي أبدي ليس حرفًا ولا صوتًا ولا يختلف باختلاف اللغات.

فإن قيل: لم ينقل أنه ﷺ علّم أحدًا من أصحابه هذا العلم ولا عن أحد من أصحابه أنه تعلم أو علّم غيره وإنما حدث هذا العلم بعد انقراضهم بزمان؛ فلو كان هذا العلم مهمًّا في الدين لكان أولى به الصحابة والتابعون.

---

(١) **تبيين كذب المفتري**، ابن عساكر، (ص٣٣٧).

قلنا: إن عني بهذا المقال أنهم لم يعلموا ذات الله وصفاته وتوحيده وتنزيهه وحقية رسوله وصحة معجزاته بدلالة العقل بل أقرّوا بذلك تقليدًا فهو بعيد من القول شنيع من الكلام؛ وقد ردّ الله عزّ وجلّ في كتابه على من قلّد أباه في عبادة الأصنام بقوله ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الزخرف] أي أن أولئك اقتدوا بآبائهم في إشراكهم بغير دليل يقوم على صحة ذلك الدين وهذا يفهم منه أن علم الدليل مطلوب.

وإن أريد أن الصحابة لم يتلفظوا بهذه العبارات المصطلحة عند أهل هذه الصناعة نحو الجوهر والعرض والجائز والمحال والحدث والقدم فهذا مسلّم به، لكننا نعارض هذا بمثله في سائر العلوم فإنه لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه التلفّظ بالناسخ والمنسوخ والمجمل والمتشابه وغيرها كما هو المستعمل عند أهل التفسير، ولا بالقياس والاستحسان والمعارضة والمناقضة والطرد والشرط والسبب والعلة وغيرها كما هو المستعمل عند الفقهاء، ولا بالجرح والتعديل والآحاد والمشهور والمتواتر والصحيح والغريب وغير ذلك كما هو المستعمل عند أهل الحديث. فهل لقائل أن يقول يجب رفض هذه العلوم لهذه العلّة؛ على أنه في عصر النبي ﷺ لم تظهر تلك الأهواء والبدع كما ظهرت فيما بعد فلم تمسّ الحاجة إلى الدخول في التفاصيل والاصطلاحات.

قال أبو حنيفة رضي الله عنه جوابًا على القائلين لم تتكلمون بعلم

الكلام والصحابة لم يتكلموا فيه: «إنما مثلهم كأناس ليس بحضرتهم من يقاتلهم فلم يحتاجوا إلى إبراز السلاح، ومثلنا كأناس بحضرتهم من يقاتلهم فاحتاجوا إلى إبراز السلاح».

المبحث التاسع:
حكم تعلّم علم التّوحيد والاشتغال بنصب أدلّته

ثمّ العلم بالله ورسوله أي معرفة الله ورسوله على الوجه المرضي شرعًا وعقلًا أمر محتّم أي مفروض من قبل الشّارع تحتّمًا مؤكّدًا بقدر معيّن على كل مكلّف بعينه، ودليل الفرضيّة قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ١٩﴾ [سورة محمد] لذا كان الاعتناء بعلم التّوحيد أولى من الاعتناء بغيره من العلوم الدينيّة فضلًا عن الدّنيويّة. والمحتّم واللّازم والفرض والواجب تستعمل بمعنًى واحد.

وليس العلم بتفاصيل مسائل العقيدة كلها فرض عين، بل معرفة الأدلّة التّفصيليّة من فروض الكفاية الّتي يكفي أن يقوم بها من كلّ ناحية عالم كما نصّ على ذلك الغزاليّ ومثل ذلك الحكم في إيراد الحجج على المبتدعة ودفع شبههم فهي من فروض الكفاية، بل هو من أعظم القربات لا سيّما في هذا الزّمان، كيف لا وقد انتشرت البدع يروج لها أهل الباطل فوق المنابر وعند المحافل، فكان التّصدي لهم من أهم المهمّات في زمان خيّمت فيه الظّلمات، وقد أخبر الحبيب محمد ﷺ عن هذا الزّمان فقال:

«**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ**»[1]، وإليه أشار القاسم بن فيرّه الشّاطبيّ في لاميّته حرز الأماني بقوله [الطويل]:

وهذا زمان الصّبر من لك بالّتي كقبض على جمر فتنجو من البلا

فإذا كان زمان الشّاطبي زمان الصّبر فكيف بيومنا هذا، وسبب ذلك أنّه في غالب المعمورة أنكر المعروف، وعرف المنكر، وفسدت القلوب والنّيّات، وظهرت الخيانات، وأوذي المحقّ، وأكرم المبطل، وانتشر الكفر والضّلال وأهله والدّعاة إليه في الطّرقات والأسواق والمدارس والمعاهد والجامعات والبيوت بل وفي كثير من المساجد الّتي يتولى شؤونها أهل البدع الضّالّون المضلّون والّذين يخرجون النّاس من الإيمان إلى الكفر وكلا الفريقين لا يشعرون. وقد روى الترمذيّ من حديث أبي ثعلبة الخشني عنه عليه الصّلاة والسّلام أنّه قال: «**فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ القَبْضِ عَلَى الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ**[2] **مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ**»[3]، فالّذي يقوم اليوم بحماية عقيدة أهل السّنّة والدفاع عنها ونشرها بين النّاس وبمحاربة فرق الضّلال والتّحذير من كفريّاتهم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويلزم مذهب أهل السّنّة

---

(١) **سنن الترمذي**، الترمذي، (٥٢٦/٤)، رقم الحديث: ٢٢٦٠.

(٢) أي بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

(٣) **سنن الترمذي**، الترمذي، (٢٥٧/٥)، رقم الحديث: ٣٠٥٨.

والجماعة له أجر خمسين من الصّحابة[1] في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وثوابه أكبر من مائة ألف حجّة نافلة وأكثر من ثواب مائتي ألف ركعة نافلة ومن بناء خمسمائة مسجد إن لم تدع الضّرورة لبنائها ومن ثواب مائة ختمة من القرءان، وإن مات ولو على فراشه له أجر شهيد[2] وله في الجنّة مسافة خمسين ألف سنة، ولو كان مرتكبًا لبعض الكبائر تغفر له ويكون له شأن ومرتبة عالية في الجنّة.

فنصب الأدلّة وكشف البراهين النّقليّة لنصرة مذهب وعقيدة أهل السّنّة والجماعة وإبطال شبهات البدعيين والمفسدين هو معنى قول الإمام

---

(١) وذلك لأنّ الإنسان في زمن الصحابة كان إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر يعاونه وينتصر له الكل ويكون مؤيدًا من المسلمين، وأما اليوم فمن صعوبة هذا الأمر إذا قام الواحد منا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنّ الأكثر يحاربونه ويعادونه وربما انقلب عليه أهل بيته وأقرباؤه وأكثر الزعماء والحكام ينتقمون منه، فلما يلقاه من الصعوبة والمشقة وقلة الظهير والنصير كانت هذه المضاعفة.

(٢) أي أجر عظيم كما أنّ للشّهيد أجرًا عظيمًا لكن المتمسك بشريعة النبي ﷺ ينال هذا من غير أن يكون شهيد معركة لقوله ﷺ: «**المتمسك بسنّتي** ـ أي شريعتي ـ **عند فساد أمّتي له أجر شهيد**». الشّهادة لها أجر عظيم عند الله، فهذا الّذي يكون متمسكًا بشريعة الرّسول عندما يصير فساد في الأمّة له أجر أولئك المجاهدين الّذين قسم منهم قتلوا في الجهاد وقسم منهم جاهدوا قاتلوا ورجعوا سالمين من القتل. أمّا الّذين قتلوا في المعركة فهم في الدّرجة العليا، والّذين قاتلوا ورجعوا سالمين من القتل لهم هذا الأجر لكن أولئك لهم مزيّة خاصّة.

أبي حنيفة رضي الله عنه: «يجب الاشتغال بعلم الكلام بقدر الحاجة» أي بإعداد الأدلّة الّتي تدحض شبه المبتدعة كالمشبهة والمعتزلة والمرجئة وغيرهم وهو من أهم فروض الكفاية. ويؤيد هذا ما قاله إمام الحرمين الجوينيّ: «لو بقي النّاس على ما كانوا عليه لم نؤمر بالاشتغال بعلم الكلام، وأمّا الآن فقد كثرت البدع فلا سبيل إلى ترك أمواج الفتن تلتطم، فلا بدّ من إعداد ما يدعى به إلى المسلك الحقّ، وتحلّ به الشّبهة، فصار الاشتغال بأدلّة المعقول وحلّ الشّبهة من فروض الكفايات».

وقال القاضي البيضاويّ في كلامه على الآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾: «وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله وحثّ على البحث والنّظر فيه».

وقال صاحب مغني المحتاج ما نصّه: وقال السّبكيّ: إن أريد بعلم الكلام العلم بالله تعالى وصفاته وما يستحيل عليه ليردّ على المبتدعة وليميّز بين الاعتقاد الصّحيح والفاسد، فذاك من أجلّ العلوم الشّرعيّة، والعالم به من أفضلهم، وقد جعلوه في كتاب السّير من فروض الكفايات. وإن أريد به التّوغّل في شبهه، والخوض فيه على طريق الفلسفة، وتضييع الزّمان فيه، والزّيادة على ذلك أن يكون مبتدعًا وداعيًا إلى ضلالة، فذاك باسم الجهل أحقّ، وأمّا الكلام في الإلهيّات على طريقة الحكماء - يعني الفلاسفة - فذاك ليس من أصول الدّين بل أكثره ضلال وفلسفة والله يعصمنا بمنّه وكرمه ءامين اهـ. وهذا هو القسم الّذي أنكره الشّافعيّ

رضي الله تعالى عنه وقال: «لأن يلقى العبد ربّه بكلّ ذنب ما خلا الشّرك خير له من أن يلقاه بعلم الكلام».

ولم يعجب أحمد بن تيمية ولا سلفه ابن بطة اشتغال العلماء بعلم الكلام لإظهار الحق وإبطال البدع والشّبه الّتي يأتي بها هو ومن كان على شاكلته لأنّ في قلبه مرضًا وقد أقفل الله على قلبه ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [سورة النور].

وقد ذكر ذلك ابن الأمير في حاشيته على شرح اللّقّاني على نظمه قائلًا: أنشد ابن تيمية وأساء الأدب في حق الفخر الرّازي وكتابه المحصّل[1] فقال: [البسيط]

محصّل في أصول الدين حاصله من بعد تحصيله أصل بلا دين

أصل الضّلالات والشّكّ المبين فما فيه فأكثره وحي الشّياطين

قلت: ولعمري فإنّ ابن تيمية نفسه وعاء قد تلقّف ما ألقته الشّياطين وأوحته إليه، فسطّره في كتب حشوها الضّلال والكلام الّذي لم ينزل الله به من سلطان، وعليه وعلى أمثاله من أتباعه ومناصريه على الباطل من الله ما يستحقّ.

---

(١) هو كتاب للفخر الرّازي مسمًّى «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين في علم الكلام»، وهو مطبوع لدى المكتبة الأزهريّة للتّراث سنة ١٤١١هـ في نحو ٦٠٠ صحيفة.

ثمّ إني لأعجب من تعجّب ابن الأمير من إساءة أدب ابن تيمية مع الفخر الرّازي وطعنه في علم الكلام وكتاب المحصّل في أصول الدين، ولعلّ ابن الأمير لم يطّلع على مؤلّفات ابن تيمية فيرى تطاوله على الأنبياء وتكفيره لسيدنا شعيب عليه السّلام، ناهيك عن وصفه الله تعالى بأنّه لو شاء لاستقرّ على جناح بعوضة فاستقلّت به، والعياذ بالله تعالى من هذا الكفر الشّنيع، بل العجب كيف أنّ ابن تيمية يدّعي التّشنيع على ما في كتاب المحصّل في أصول الدين ويزعم محاربة الباطل، وكتبه حشوها الكفر، وفي كل هذا أقول: [الكامل]

علم الكلام وأهله طاعنته ... نقدًا ونقضًا للأصول، فذاكا
منك التّهافت حاصل، ومحصّلًا ... ترمي بحشو الكفر، ما أدراكا
بالباطل، الحق المبين جهلته ... بـمركّب، وكأنك قد ربّاكا
إبليس، أو صاحبته متمسكًا ... بالشر، وهو الخزي قد أسقاكا
متفلسفًا قد عبت دين المصطفى ... فالتّعس لك، والرّبّ قد أخزاكا
شبّهت ربّ الكون فاصل الهاويه ... خالفت إجماعًا لظى مأواكا
كشف الأباطيل ادّعيت، أزانيه ... عن عفّة تحكي، عجيب ذاكا

فمن أفرض الفروض الكفائيّة اليوم إعداد الأدلّة الكافية لإبطال ءاراء أتباع المشبهة ابن بطة وابن عبد البر والذهبي وأستاذه ابن تيمية على الباطل لأنّه إن قلّ العارفون بهذا الأمر ينتشر أتباع المشبهة لأنّ شبههم

الّتي يعتبرونها أدلّةً شرعيةً تروج على ضعفاء العقول، فلا بدّ من أن يوجد في البلد واحد إن كانت تحصل به الكفاية يقوم بالرّد على أهل الضّلال لنقض شبههم. وأمّا ما يشترطه بعض غلاة الأشعريّة من معرفة الدّليل التّفصيلي لكل مسئلة من مسائل التّوحيد على كل مكلّف فهذا قول مزيّف لا نرضى به ولا تصحّ نسبته إلى الإمام أبي الحسن الأشعري قدّس الله سرّه الشّريف، فهو أجلّ من أن يقول بهذه المقالة، واعتقاده أطهر من أن يثبت فيه هذا التّزييف، وفي هذا أنشد الحافظ الإمام أبو القاسم بن عساكر الدمشقيّ (ت ٥٧١هـ) لغيره رحمه الله تعالى: [الكامل]

إنّ اعتقاد الأشعريّ مسدّد   لا يمتري في الحق إلّا ممتري
وبه يقول العالمون بأسرهم   من بين ذي قلم وصاحب منبر
والمدعون عليه غير مقاله   ما فيهم إلّا جهول مفتري
فذر التّعامي واعتصم بمقاله   واعلم يقينًا أنّه القول السّري
وارفض ملامة من نهاك بجهله   عمّا يراه لأنّه لم يشعر
وإذا لحاك العاذلون فقل لهم   قول امرئ في دينه مستبصر
إن كان من ينفي النّقائص كلّها   عن ربه ترمونه بتمشعر
وترونه ذا بدعة في عقله   فليشهد الثّقلان أنّي أشعري

المبحث العاشر:

تكفير العلماء لمن ذم وأبغض علم الكلام الذي اشتغل به أهل السنَّة سلفًا وخلفًا

قال الإمام[١] فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين[٢] في كتابه «مناقب الإمام الشافعي»: «**ومن كان منكرًا لعلم الكلام** ومبغضًا له كان جاهلًا بذات الله وبصفاته، ومن كان كذلك **امتنع أن يكون من المسلمين فضلًا عن أن يكون مجتهدًا في الدين** ومن كان منكرًا ـ لعلم الكلام ـ كان جاهلًا بالله وبالنبوة».

ثم قال: «فعلمنا أن الطاعن في علم الكلام والمبغض له **جاهل بالله وبرسوله وباليوم الآخر** ومن كان كذلك **لم يكن من المسلمين** فضلًا عن أن يكون من المجتهدين».

وقال: «نقول بأن الذم العظيم المنقول عن الشافعي **للكلام يجب صرفه إلى الكلام الذي كان أهل البدع** ينصرونه ويعولون عليه».

وقال: «**والطعن في علم الكلام طعن في معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله واليوم الآخر** وذلك غير لائق بالمسلم فضلًا عن شيخ المجتهدين وقدوة أهل الدين ـ يعني الشافعي ـ».

---

(١) ممزوجًا من كلامه وكلامِ العلماء الذين نقل عنهم.

(٢) **مناقب الإمام الشافعي**، فخر الدين الرازي، (ص٩٥ ـ ٩٩، ١٠١).

وقال: «ونحن نعتقد في أن علم الكلام أشرف العلوم وأجلها وفي أن الشافعي أفضل المجتهدين وأعلمهم فلابد لنا من التوفيق وطريق ذلك أن نحمل طعن الشافعي في علم الكلام **الذي كان أهل البدعة عليه**»[1].

وقال الشيخ العلامة محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبد الله السنوسي التلمساني الحسني في شرح العقيدة الوسطى[2]: «وبالجملة فلا يشك عاقل أن **من يذم النظر في علم التوحيد** ـ أي علم الكلام ـ فهو **شيطان إنس قاطع لطريق الله تعالى** يريد أن يبقى الجاهل على تخليطات في عقائده وبدع وإلحاد في فهم أشياء من الكتاب والسنة على ظواهرها مع الإجماع على تأويلها. **وهذه شهوة إبليس بلا شك**، ومن سعى في تحصيل شهوته فهو صاحبه وخليفته في الفساد والعياذ بالله تعالى وقد ذكر الزبيدي في طبقات النحاة له أن العلم الذي كان يختلف[3] مالك فيه لابن هرمز سنين كانوا يرون أنه علم أصول الدين، وما ترد به مقالة أهل الزيغ والضلال».

وقال: «وقد قال مالك كان ابن هرمز بصيرًا بالكلام وكان يرد على أهل الأهواء ـ كالفلاسفة والملاحدة ـ»، وقال: «وقد ألف مالك رحمه الله تعالى

---

(١) ملخصًا ومختصرًا بتصرف.

(٢) **العقيدة الوسطى وشرحها**، أبو عبد الله السنوسي، (٥٧ ـ ٦٠، ٦٢، ٦٥، ٧٠).

(٣) أي يتردد إليه.

في هذا العلم رسالته قبل أن يولد الشيخ الأشعري، ثم إنه بيّن فيها مناهج الأولين ولخص موارد البراهين».

وقال أيضًا: «قال بعض العلماء **من قدح في علم التوحيد فقد أنكر القرآن والسنة**».

وقال في بيان أن الصحابة يعرفون ويقرون بهذا العلم وكان في قلوبهم ويفهمونه: «فانظر هذا الذي ورد في هؤلاء السادات الأشراف الخواص ـ يعني الصحابة ـ الذين اختارهم الله تعالى على جميع المسلمين[1] سوى النبين والمرسلين رضي الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بحبهم وحشرنا في زمرتهم هل يصح أن يدعى في حقهم أنهم كانوا غير عارفين بعقائد التوحيد، وإن ما حصل لهم من ذلك إنما حصل لهم بمجرد التقليد ولا خفاء أن من توهم ذلك في حقهم **فهو مفتر كذاب منتقص** لهم يدخل في مقتضى الوعيد السابق لمن سبهم ومدعي تلك النقيصة في حقهم يفضحه العقل والنقل وهو مبتدع يجب هجرانه ومعاداته إلى أن يتوب إذ المتضح في حقهم لكل عاقل والمقطوع به أنهم حازوا قصب السبق في كل كمال لاسيما المعرفة بالله تعالى».

وقال في تبرئة الشافعي من ما ينسب إليه من ذم الكلام: «ولذلك لما مرض الشافعي رحمه الله تعالى دخل حفص الفرد فقال من؟ فقال حفص الفرد فقال لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب عما أنت فيه. وهذا

---

(١) أي الأولياء منهم أفضل ممن ليس تقيًا.

التلقيب بأهل علم الكلام في ذلك الزمان **خاص بأولئك**، ولا شك أن أولئك إنما كان كلامهم بالبدع، وإلقاء الشبه وهدم ما دل عليه العقل والنقل».

ثم قال: «وهم أهل لأن يضربوا بالحديد عوضًا عن الضرب بالجريد وأما أهل الكلام في اصطلاحنا اليوم فهم: شيخ أهل السنة أبو الحسن الأشعري رحمه لله وأصحابه كالأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، وسيف السنة القاضي أبو بكر الباقلاني، وإمام الحرمين وأتباعهم».

وقال: «وأما قول من لا بصيرة له ولا تحقيق أنه لا تعلَّم العقائد للعوام، ولا تذكر لهم براهينها من غير فرق منه بين واضحها الذي يمكنهم فهمه وبين غيره فواضح الفساد».

وقال: «وبالجملة فمن أراد الله به خيرًا عرفه مراشده وفتح له في معرفة هذا العلم الذي هو أفضل العلوم وأوجبها، وأولى ما يشتغل به كل موفق».

وقال أيضًا في فضل علم الكلام: «وبالجملة فوجوب علم التوحيد وعظم شرفه لا ينكره إلا أعمى البصيرة مريض السريرة ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وقال السيوطي رحمه الله في كتابه «الحاوي للفتاوى»[1]: «روينا بإسناد صحيح من طريق المزني أن رجلًا سأله عن شيءٍ من الكلام فقال إني أكره هذا بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي فلقد سمعت الشافعي يقول: سئل

---

(١) **الحاوي للفتاوى**، جلال الدين السيوطي، (٢/١٥٥).

مالك عن الكلام والتوحيد فقال مالك: **محال أنْ نظنَّ بالنبيِّ ﷺ أنه علم أمَّته الاستنجاءَ ولم يعلمْهم التوحيدَ**، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**» فما عصم به الدم والمال حقيقة التوحيد، هذا جواب الإمام مالك رضي الله عنه عن هذا السؤال وبه أجبت».

وقال الإمام مالكٍ رحمه الله تعالى فيما نقله عنه السيوطيُّ و اللالكائي: «قال مصعب بن عبدالله الزبيري كان مالك بن أنسٍ يقولُ: **الكلام في الدين أكرهه**[1]، **ولم يزلِ أهلُ بلدنا يكرهونه، وينهون عنه نحو الكلام في رأي جهمٍ والقدر وكل ما أشبه ذلك**[2]. ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل. فأما الكلام في الدينِ وفي اللهِ عزَّ وجلَّ فالسكوت أحب إلي، لأنِّي رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمل».

وقد ثبت عن مالكٍ أنَّه قال: لا تجوز الإجارة في شيءٍ من كتب أهل الأهواء والبدع والتنجيم وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم وتفسخ الإجارة في ذلك، وكذلك كتب القضاء بالنجومِ وعزائم الجنِّ وما أشبه ذلك.

---

(١) **شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي،** (ص٣٠٩).

(٢) كالمعتزلةِ والمشبهة المجسمة الذين خربوا البلاد والعقول فأفسدوها وجعلوا أهلها أذلَّة وهم فرحون فيا فضيحتكم يوم القيامةِ.

وبالملخص أنَّى لشخص مثل ابن بطة أن ينكر علمًا كان عليه أهل السنة من صحابة وتابعين وعلماء ومحدثين وأصولين وفقهاء بل وتعلموه قبل سائر العلوم وأعطوه أهمية شديدة وصنفوا فيه فما هذا من ابن بطة إلا إشارة ودلالة على تجسيمه وأنه ما هو إلا مشبه يقول بمقالات أهل التجسيم، فبعد بيان تخبيصاته وتوضحينا لأهمية علم الكلام وثمرته وفوائده و استمداده أنَّى لعاقل بعد هذا أن يلتفت إلى كلامه أو كلام أتباعه.

المبحث الحادي عشر:

إجماع أهل السنة على الاشتغال بعلم الكلام

يقول الأزهري عبد الرحمن المراكبي[1] في كتابه «السلف والخلف بين التنزيه والتشبيه» عند الكلام عن عصمة الأمة وأنها لا تجتمع على ضلالة ولا تلتقي على معصية قال: «**ولهذا كانت العقائد** –يعني علم الكلام- **والأحكام التي أجمعت عليها الأمة إجماعًا يقينيًا، وتوارثها خلفها بالتواتر العلمي، هي التي تمثل ثوابت هذه الأمة في اعتقادها وفكرها وأحكامها وأصول دينها**» ومن المعروف أن السلف والخلف اشتغلوا بعلم الكلام فلا ينظر إلى من خالف وحاد عن الصواب.

(١) **السلف والخلف بين التنزيه والتشبيه**، عبد الرحمن المراكبي، (ص١٩٣).

ويقول أبو إسحاق الصفار[1] في كتابه المسمى «تلخيص الأدلة لقواعد أهل السنةِ» تحت باب «وجوب الاشتغال بهذا العلم وإبانة فضله» قال فيه: لا خلاف بين العقلاء أن العلم صفة مدح وأن الجهل صفة ذم وما من عاقل في السماء والأرض إلا وهو يرغب في اجتناء صفة العلم واتقاء صفة الجهل، وأولى العلوم العلم بالله عزَّ وجلَّ بالدليل المؤدي إلى اليقين على ما قاله عزَّ وجلَّ في قصة إبراهيم خليله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [سورة الأنعام].

وتأويل هذه الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [سورة الأنعام] ليستدل بها وليكون من المؤمنين، وما كان خليل الله عليه السلام في شكٍّ من دين الله عزّ وجلّ منذ خلقه في بطن أمِّه وركَّب فيه الروح إلهامًا من الله عزّ وجلّ له ذلك ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ أراد أن يجمع له الفضلين، فضل علم الإلهام وفضل علم الدليل، فإنَّ من ازداد علمًا بالحق ازداد يقينًا كما قال عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [سورة التوبة].

وكان علم أصول الدين بالدليل المؤدي لليقين كنز العلوم ومعدنها ومُثمر كلِّ فائدة في الدين والدنيا والآخرة، ومن حرم هذا العلم كان مقصرًا في تحقيق معاني سائر العلوم في الفروع، إذ علم الفرع لا يتم إلا بعد علم الأصل، وروي عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه قال: «كنا

---

(١) **تلخيص الأدلة لقواعد أهل السنة**، أبو إسحاق الصفار، (ص١٢٦ ـ ١٢٨).

نتعلم التوحيد قبل أن نتعلم القرءان، وأنتم الآن تتعلمون القرءان ثم تتعلمون التوحيد».

وقوله «كنَّا» إشارة إلى نفسه وإلى غيره من الصحابة، وفيه إشارة إلى أنَّ الصواب ما كانوا عليه، وأراد بما ذكر من التوحيد علم أصول التوحيد بالدليل المؤدي إلى اليقين، لأنهم قد عرفوا توحيد الله تعالى، ولقد ذكر أهل التفسير أن عدد آي القرءان ستة آلاف ومئتان وستة وثلاثون، وأن الأحكامية ـ أي آيات الأحكام ـ منها نيف وخمسمائة، والباقي في أدلة التوحيد والأمثال والعبر والقصص والمواعظ، ومناظرات الكفار مع الرسل والأنبياء وحجاج الرسل معهم، حتى بلغوا بهم إلى أن بُهِتوا.

فلما كان ذكر هذا الباب أكثر من أبواب الأحكامية، كان دليلًا على أنَّ هذا الباب أهم فيكون أفضل والله الموفق.

ولقد كره بعض أهل العلم الاشتغال بهذا العلم، ونسب من اشتغل به إلى الإلحاد، وكان يتأول حديث ابن عمر على أنه كان ذلك في ذلك الزمان فأما في زماننا فلا، ولو علم هذا القائل ما في هذا العلم من الفضل لما كرهه، لأنَّ هذا العلم ليس هو إلا معرفة الله بالدليل المؤدي إلى اليقين، ومن لم يعرف الشيء بدليله عسى يقع في ضده، وهل ضلَّ من ضلَّ عن سواء السبيل إلا بالجهل بدليل الحق.

ولو لم يكن لهذا العلم من الفضل إلا معرفة الله سبحانه بالدليل المؤدي إلى اليقين على ما قاله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ

ﭐلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة الأنعام] لكان كافيًا مع ما في الاشتغال بهذا العلم من الإتمار بأمر الله تعالى بالتفكر في أدلة العقول التي نصبها الله عزَّ وجلَّ داعية إلى الحق والترقي إلى درجات أكرم الله بها عباده العالمين.

كما روى سفيان عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من العلوم علمًا كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لا ينكرهُ إلَّا أهلُ الغرّة بالله، وأنَّ الله جامع العلماء يوم القيامة فيقول: معاشر العلماء إنِّي ما أودعتكم علمي وأريد أنْ أعذبكم، قوموا مغفورًا لكم**».

ولقد وقع الاتفاق على أن اسم العالم على الإطلاق إنما يقع على الذي علم الحق بالدليل المؤدي إلى اليقين، فيكون المراد من قوله «العلماء بالله» في هذا الخبر من هذه صفتهم، فيجب تعلم هذا العلم، ليدخل في هذا الجملة ويُتَعلَّم أيضًا تحصينًا لدينه عن اعتراض الشبه المضلَّة، ولمعرفة الخروج عنها لو اعترضت، وحذار عن اعتقاد باطل عند الاستفصال أو عند الاستنصاف عن معرفة الله تعالى، ويُتَعلَّم أيضًا صيانةً لدينه عن طعن الطاعنين الذين لم يعدوا العلم بالشيء علمًا به بغير دليل، والتأويل الذي تأوَّله هذا القائل لحديث ابن عمر فباطل لا يرضاه عاقل، لأنَّ علم التوحيد لا يختصُّ بزمان دون زمان، ولا يعقل ذلك إلا العالمون.

البَابُ الثَّامِن:

نُصرَةُ الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيدِيَّة

ويشتمل على عدة مباحث:

- **المبحث الأول**: طعنُ الوهابية بالأشاعرة والماتريدية وتكفيرهم
- **المبحث الثاني**: الأشاعرة
- **المبحث الثالث**: الماتريدية
- **المبحث الرابع**: الدليلُ على أنَّ الوهابية المجسمة وأسلافهم المشبهة جاؤوا بدين جديد
- **المبحث الخامس**: قواعد مهمة
- **المبحث السادس**: قاعدة متفق عليها عند جميع العلماء
- **المبحث السابع**: دعوى رجوع بعض الأئمة عن العقيدة الأشعرية
- **المبحث الثامن**: الأشاعرة والمنزهون المتوسلون من الحنابلة على عقيدة واحدة
- **المبحث التاسع**: تكفير علماء المذاهب الأربعة للمشبهة المكفرين لأهل السنة الأشاعرة والماتريدية

المبحث الأول:

طعنُ الوهابية بالأشاعرة والماتريدية وتكفيرهم

قد عمد الذهبي المجسم والمشبهة الوهابية إلى ذم الأشاعرة والماتريدية وتكفيرهم متطاولين عليهم متجرئين، وما هذا إلا فضيحة له ولجماعته الذين يتبعونه يظهر منها سوء حالهم وسوء حال من اتبعهم بتعرضهم للأعلام.

فهاكم قول الذهبي مرتبًا مما قد جمعناه في فصل المخالفات وبعض أقوال خلفه من الوهابية المجسمة:

الموضع الأول للذهبي[1]: «من هؤلاء المعطلة من يؤول معنى الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] على الاستيلاء والقهر والغلبة، وهذا القول يذهب إليه كثير من الجهمية، والمعتزلة، والحرورية، وكثير من متأخري الأشاعرة، كسيف الدين الآمدي، والغزالي، والبغدادي، وغيرهم».

الموضع الثاني للذهبي: «وقال ابن تيمية: أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب البصري، وأبو الحسن الأشعري كانا يخالفان المعتزلة ويوافقان أهل السنة في جمل أصول السنة ولكن لتقصيرهما في علم السنة وتسليمهما للمعتزلة أصولًا فاسدة، صار في مواضع من قوليهما مواضع

---

(١) **العرش**، الذهبي، (١/١٩٦).

فيها من قول المعتزلة ما خالفا به السنة، وإن كانا لم يوافقا المعتزلة مطلقًا».

ثم قال: «والذي كان أئمة السنة ينكرونه على ابن كلاب والأشعري بقايا من التجهم والاعتزال، مثل اعتقاد صحة طريقة الأعراض وتركيب الأجسام، وإنكار اتصاف الله بالأفعال القائمة التي يشاؤها ويختارها، وأمثال ذلك».

الموضع الثالث للذهبي ذامًا الأشعري[1]: «ولكن كانت خبرته بالكلام خبرة مفصلة، وخبرته بالسنة خبرة مجملة، فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة واعتقد أنَّه يمكنه الجمع بين تلك الأصول، وبين الانتصار للسنة، كما فعل في مسألة الرؤية والكلام، والصفات الخبرية وغير ذلك».

الموضع الرابع للذهبي[2]: «وعلى طريقة الجويني اعتمد المتأخرون من الأشاعرة، كالغزالي وابن الخطيب الرازي وخلطوا مع المادة الاعتزالية التي أدخلها الجويني مادة فلسفية، وبذلك ازدادت الأشعرية بعدًا وانحرافًا.

فالغزالي مادته الكلامية من كلام شيخه الجويني في «الإرشاد» و«الشامل» ونحوهما مضمومًا إلى ما تلقاه من القاضي أبي بكر الباقلاني. ومادته الفلسفية من كلام ابن سينا، ولهذا يقال أبو حامد أمرضه «الشفا»،

---

(١) **العرش**، الذهبي، (١/١٩٦).

(٢) **العرش**، الذهبي، (١/٦٢).

ومن كلام أصحاب رسائل إخوان الصفا ورسائل أبي حيان التوحيدي ونحو ذلك».

ثم قال: «وأما الرازي فمادته الكلامية من كلام أبي المعالي والشهرستاني فإن الشهرستاني أخذه عن الأنصاري النيسابوري عن أبي المعالي، وله مادة اعتزالية قوية من كلام أبي الحسين البصري، وفي الفلسفة مادته من كلام ابن سينا والشهرستاني ونحوهما، والأشعرية الأغلب عليهم أنهم مرجئة في باب الأسماء والأحكام وجبرية في باب القدر، وأما الصفات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوع من التجهم، ولا يرون الخروج على الأئمة بالسيف موافقة لأهل الحديث وهم في الجملة أقرب المتكلمين إلى أهل السنة والحديث».

والموضع الرابع للذهبي[1]: «والأشاعرة يخالفون أهل السنة[2] في الكثير من مسائل الاعتقاد». ثم ذكر عدة مقالات ينسبهم فيه للجبر ونفي الصفات والتناقض بزعمه وأمور عندنا هي صحيحة أتى لينقضها بأصولهم الواهية الركيكة.

الموضع الخامس للذهبي في ذم الماتريدية[3]: «والماتريدية تنسب إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود بن محمد الماتريدي المتوفى سنة

(١) **العرش**، الذهبي، (٦٦/١).

(٢) يعني هو المجسمة الذين يتبعهم ويدعي أنهم أهل السنة.

(٣) **العرش**، الذهبي، (٦٩/١).

(٣٣٣هـ) كان معدودًا في فقهاء الحنفية، وكان صاحب جدل وكلام ولم يكن له دراية بالسنن والآثار، وقد نهج منهجًا كلاميًا في تقرير العقيدة يشابه إلى حد كبير منهج متأخري الأشاعرة، وعداده في أهل الكلام من الصفاتية من أمثال ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري وأمثالهما. وقد تابع الماتريدي ابن كلاب في مسائل متعددة من مسائل الصفات وما يتعلق بها».

الموضع السادس للذهبي[١]: «وهذا القول لمتأخري الأشاعرة إنما تلقوه عن المعتزلة، لما مالوا إلى نوع التجهم، بل الفلسفة، وفارقوا قول الأشعري وأئمة أصحابه، الذين لم يكونوا يقرون بمخالفة النقل للعقل، بل انتصبوا لإقامة أدلة عقلية توافق السمع».

الموضع السادس للمدعو صالح بن عبد العزيز آل الشيخ[٢]: في كتابه المسمّى «هذه مفاهيمنا» عند كلامه على أتباع الإمام الأشعريّ ما نصّه: «ولكن المنتسبين إليه[٣] بقوا على مذهبه المخالف لمذهب السّلف في باب الصفات والقدر وغيره، ولم يكونوا على مذهبه الأخير الذي استقرّ عليه، بل بقوا على مذهبه الذي رجع عنه والذي هو ضلال وخروج عن منهج السّلف، فكيف يقال إنّ تضليل الأشاعرة تمزيق لوحدة أهل

(١) **العرش**، الذهبي، (١/١٠٥).

(٢) المسمى **هذه مفاهيمنا**، صالح آل الشيخ، (١/٢٤٦).

(٣) يعني الأشعريّ.

السنة؟! بل نقول إنّ الدفاع عن مذهب الأشاعرة - وهو مذهب باطل - هو التمزيق لوحدة أهل السنة حيث حسب على أهل السنة من ليس منهم ليحلّ مذهبهم الباطل على مذهبهم الحق ويدسّ في صفوفهم من ليس منهم» انتهى كلام صالح آل الشيخ الوهابيّ.

الموضع السابع من كلام شيخ الوهابيّة صالح بن فوزان الفوزان(١): في كتابه المسمّى «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» ما نصّه: «فأهل السنّة والجماعة يؤمنون بأسماء الله وصفاته التي سمّى الله تعالى بها نفسه، أو سمّاه بها رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يؤمنون بها ويثبتون معانيها وما تدلّ عليه، ولكنّ كيفيّتها لا يعلمها إلّا الله سبحانه وتعالى. أما الفرق الضالّة من الجهميّة والمعتزلة والأشاعرة ومشتقّات هؤلاء فإنّهم يجحدونها».

الموضع الثامن من كلام المدعو بشير محمد عيون(٢): في حاشيته وتعليقه على كتاب ابن عبد الوهّاب المسمّى «كتاب التوحيد» ما نصّه: «فالرحمن اسمه وصفته، فالرحمة وصفه القائم به، فإذا كان المشركون جحدوا اسمًا من أسمائه الذي دلّ على كماله تعالى فجحود معناه كجحود لفظه، فإنّ الجهمية يزعمون أنها لا تدلّ على صفة قائمة بالله تعالى،

---

(١) المسمى **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**، صالح بن فوزان، (١٤٢/٢).

(٢) المسمى **كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين**، عبد الرحمن بن عبد الوهاب، (ص٢٠٠).

وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة فلهذا كفّرهم كثير من أهل السنة».

وقال في الكتاب نفسه[1]: «هذا الحديث ونحوه مما احتج به أهل السنة على الجهمية والأشاعرة والكلابية وغيرهم من أهل البدع ممن ألحد بالتعطيل في أسماء الله وصفاته».

الموضع التاسع من كلام عبد الوهّاب بن الحنبلي: (ت ٥٣٦هـ) من كتابه المسمّى «الرسالة الوافرة في الردّ على الأشاعرة» نصّه: «فقد خالفت الأشاعرة ببدعتهم نصّ الكتاب وصريح السّنّة وأدلّة المعقول وإجماع أهل الملل من اليهود والنّصارى والزيادة على كفّار قريش في تكذيب القرآن» اهـ، وقد أخرج هذه الرسالة مطبوعة بحواش المدعو علي بن عبد العزيز الشبل من الوهّابيّة وأثنى على ابن الحنبلي هذا ووصفه بأنّه كان على معتقد الإمام أحمد بن حنبل ونحو ذلك من الكلام الذي يردّدونه تبريرًا لما هم عليه من الأصول الفاسدة.

الموضع العاشر من كلام محمد بن عبد الوهاب في ذم المذاهب الأربعة وهذا يؤكد أنّهم ليسوا من أهل السنة قال[2]: «كذلك أهل المذاهب

(١) المسمى **كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين**، عبد الرحمن بن عبد الوهاب، (١/٩٣).

(٢) **مسائل لخصها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من كلام بن تيمية**، محمد بن عبد الوهاب (ص١٢٩، ١٣٠).

الأربعة وغيرها، لا سيما وكثير منهم قد تلبس ببعض المقالات الأصولية، وخلط هذا بهذا، فالحنبلي والشافعي والمالكي يخلط بمذهب مالك والشافعي وأحمد شيئا من أصول الأشعرية والسالمية وغير ذلك ويضيفه إلى مذهب مالك والشافعي وأحمد، وكذلك الحنفي يخلط بمذهب أبي حنيفة شيئا من أصول المعتزلة والكرامية والكلابية، ويضيفه إلى مذهب أبي حنيفة، وهذا من جنس الرفض والتشيع».

ثم قال في حق أهل المذاهب الأربعة: «وهذه حال أهل الأهواء كلهم لا يختلفون إلا من بعد أن يظهر الحق ويجيئهم، ثم كل يبغي على الآخر فيكذب بما معه من الحق مع علمه بأنه حق، ويصدق بما مع نفسه من الباطل مع العلم بأنه باطل، ولهذا كان أهل الاختلاف المطلق كلهم مذمومون، فإنه ما منهم إلا من خالف حقًا واتبع باطلًا».

وقال أيضًا ذامًا المذاهب الأربعة(١): «قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ٣١﴾ [سورة التوبة] فقد فسرها رسول الله ﷺ والأئمة بعده(٢)، بهذا الذي تسمونه: الفقه، وهو الذي سماه الله: شركًا،

(١) **الرسائل الشخصية**، محمد بن عبد الوهاب، (ص٢٧٧).

(٢) وهذا كذب على رسول الله وعلى الأئمة لأن معنى قوله أن النبي والأئمة كفروا مئات الملايين من المسلمين بلا سبب وبغير حق إلا لأنهم اتبعوا أئمة الاجتهاد المعتبرين وابن عبد الوهاب هذا يريد أن يكذب على الرسول وعلى الأئمة ولا يعرف كيف يكذب.

واتخاذهم أربابًا، لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافًا، والحاصل: أن من رزقه الله العلم يعرف أن هذه المكاتيب التي أتتكم، وفرحتم بها وقرأتموها على العامة، من عند هؤلاء الذين تظنون أنهم علماء، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴿١١٢﴾﴾ [سورة الأنعام]».

ويؤكد كلامه فيقول[١]: «تغير الأحوال إلى هذه الغاية صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين».

الموضع الحادي عشر من كلام القِنَّوجي المجسم ذامًا تقليد المذاهب: في كتابه المسمى «الدين الخالص» ما نصه[٢]: «تقليد المذاهب الأربعة من الشرك»، وفي الكتاب نفسه يقول في السيدة حواء[٣]: «الصحيح أن الشرك إنما وقع من حواء فقط دون آدم». وبهذا تكون الوهابية جعلت البشر كلهم أولاد زنى.

الموضع الثاني عشر من كلام الوهابي محمد سلطان المعصومي الخجندي مكفرًا متبع المذاهب كذلك قال: في كتابه «هل المسلم ملزم

---

(١) المسمى **كتاب التوحيد**، محمد بن عبد الوهاب، (ص١٠٣).

(٢) المسمى **الدين الخالص**، القنوجي الهندي، (١/١٤٠).

(٣) المسمى **الدين الخالص**، القنوجي الهندي، (١/١٦٠).

باتباع مذهب معين»[1]: «ليس فقط الجهال والأميين ولكن أيضًا كثير من العلماء الذين يتخيلون أنفسهم مثقفين جدًا هم برأيهم أن كل مسلم عليه أن يتبع إمام، إما الإمام أبي حنيفة أو الإمام الشافعي أو الإمام مالك أو الإمام ابن حنبل، هذه ليست فقط فكرة خاطئة بل هي دليل على الجهل في معرفة أساسيات الإسلام».

ويقول[2]: «هو مؤكد أن ليس عليه (أي المسلم) أن يتبع أي من المذاهب مثل الحنفي، الشافعي، المالكي، أو الحنبلي، إن فعل هذا يكون من الناحية الشرعية غلط وتعصب ويكون شخص عاصي وسيعامل ضمن الذين فرقوا دين الإسلام إلى عدة طوائف».

وقال[3]: «أي شخص يوجب الاتباع الأعمى لمذهب معين يستتاب ليترك هذا وإن كان غير مستعد يقتل، لأنه اتخذ هذا الإمام الذي يتبعه شريكًا مع الله لأنه يشرع له دينًا غير دين الله».

الموضع الثالث عشر من كلام محمد بن عبد الوهاب مادحًا الذهبي وابن القيم وابن كثير من المجسمة[4]: «وسادتهم وأئمتهم وأعلمهم وأعبدهم وأزهدهم، مثل ابن القيم والحافظ الذهبي والحافظ العماد ابن

---

(١) **هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين**، محمد سلطان المعصومي، (ص ١٢).

(٢) **هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين**، محمد سلطان المعصومي، (ص ١٦).

(٣) **هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين**، محمد سلطان المعصومي، (ص ٣٢).

(٤) **الرسائل الشخصية**، محمد بن عبد الوهاب، (ص٢٥٤).

كثير، قد اشتد نكيرهم على أهل عصرهم الذين هم خير من ابن حجر وصاحب الإقناع بالإجماع؛ فإذا استدل عليهم أهل زمانهم بكثرتهم وإطباق الناس على طريقتهم، قالوا: هذا من أكبر الأدلة على أنه باطل».

الموضع الرابع عشر من كلام ابن عبد الوهاب في إثبات أنه جاء بدين جديد لم يسبق إليه ويوصل إلى تكفير مسلمي أهل الأرض جميعًا قال[1]:

«وأنا أخبركم عن نفسي، والله الذي لا إله إلا هو، لقد طلبت العلم، واعتقدَ من عرفني أن لي معرفة، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى «لا إله إلا الله»، ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي مَنَّ الله به، وكذلك مشايخي، ما منهم رجل عرف ذلك، فمن زعم من علماء الأرض أنه عرف معنى «لا اله إلا الله»، أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت، أو زعم عن مشايخه أن أحدًا عرف ذلك، فقد كذب وافترى، ولبس على الناس، ومدح نفسه بما ليس فيه، وشاهد هذا أن عبد الله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد ولا علماء الأرض ولا غيره أجلّ منه».

ومما يتعجب منه ما ذكره شيخهم ركن المجسمة أحمد بن تيمية الحرّاني في «مجموع الفتاوى»[2] نقلًا عمّن يسميه «الفقيه أبا محمّد» ما نصّه: «قال: وأما لعن العلماء لأئمة الأشعرية فمن لعنهم عزر وعادت اللعنة عليه، فمن لعن من ليس أهلًا للعنه وقعت اللعنة عليه، والعلماء

---

(١) **الرسائل الشخصية**، محمد بن عبد الوهاب، (١٨٦/١).

(٢) **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، (١٦/٤).

أنصار فروع الدين والأشعرية أنصار أصول الدين»، فتمسّك بعض الوهّابية في ردهم الكلام إلى «أبي محمّد» المذكور وزعمهم أنّ ابن تيمية إنما قال ذلك ولم يقرّه ولا وافق عليه. قلت: ويعكر عليهم أنّ ابن تيمية نفسه قال أوّل الكلام: «وكذلك رأيت في فتاوى الفقيه أبي محمد فتوى طويلةً فيها أشياء حسنة قد سئل بها عن مسائل متعددة قال فيها الخ» حتى إنّ المدعو صالح بن عبد العزيز آل الشيخ تخبّط في كتابه المسمّى «هذه مفاهيمنا» تخطّبًا شديدًا فقال: «فعلم بهذا أنّ شيخ الإسلام[1] ما أطلق بأنّ الأشاعرة أنصار الدين بل إنه ردّ على أبي محمد إطلاقه ذلك القول، لأنهم إنما يمدحون بما وافقوا فيه الكتاب والسّنّة ويذمّون بما خالفوا فيه القرءان والحديث، فالأشاعرة نصروا الدين في مسائل نقضوا بها على المعتزلة وأحسنوا، ولكنهم لم يتّبعوا القرءان والحديث في مسائل معروفة من الأصول فلذا إنما نصروا جانبًا وعظمت الفتنة بهم فيما ضلّوا فيه عن القرءان المجيد والحديث».

فقد وضح جليًّا خزي الوهّابية وتضليلهم للأشاعرة لأنهم لا يوافقون أهواء المجسّمة في وأصولهم الفاسدة الخارجة عن نهج السّلف والخلف ولم يجدوا لأنفسهم دعايةً كاذبة سوى تسميتهم أنفسهم «السّلفيّة»

---

(١) يعني ابن تيمية المجسم وهذا الإطلاق عليه ممنوع، وقد أفتى الشيخ علاء الدين البخاريّ الحنفيّ أنّ من أطلق هذا اللّفظ على ابن تيمية وهو يعلم بكفره فقد خرج من الإسلام.

للتمويه على النّاس أنّه على نهج السّلف الصالح أهل القرون الهجرية الثلاثة الأولى، وهيهات هيهات، فلا هم سلف حقيقة ولا منهجًا بل هم كما صحّ عن النبيّ ﷺ أنّه قال[1]: «**لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[2].

المبحث الثاني:

الأشاعرة

رأسهم الإمام أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ وإمامنا الأشعري سلفي ولد سنة ستين ومائتين بالبصرة، وقيل ولد سنة سبعين ومائتين، وأبو موسى هو عبد الله بن قيس من ولد الجماهر ابن الأشعر بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الذي أثنى النبي ﷺ عليهم ـ على أبي موسى والأشعريين ـ بقوله ﷺ: «**إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا**

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، (٤/٢٠٠)، رقم الحديث: ٣٦١٠.

(٢) وقوله ﷺ هذا كان في الخوارج وهو ينطبق عليهم في المعنى لأنهم خوارج العصر في تكفير الأمة.

مِنْهُمْ»[1]، وقد خصّهم النّبيّ ﷺ بأن جعل لهم قسمًا من غنائم خيبر دون أن يشهدوا فتحها، فعن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «قدمنا على النّبي ﷺ بعد أن افتتح خيبر فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا»[2].

وإضافة على هذا إشارة من النبي على فضل أبي الحسن الأشعري فقد روى الطّبرانيّ في «المعجم الكبير» والحاكم في «المستدرك» من حديث شعبة عن سماك بن حرب عن عياض الأشعريّ قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة]، قال رسول الله ﷺ: «**هم قوم هذا**»[3] وأومأ رسول الله ﷺ بيده إلى أبي موسى الأشعري، قال أبو عبد الله الحاكم واللّفظ له: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

قال الإمام البيهقيّ رحمه الله عقب ذكر الحديث: وذلك لما وجد فيه من الفضيلة الجليلة والمرتبة الشريفة للإمام أبي الحسن الأشعريّ رضي الله عنه، فهو من قوم أبي موسى وأولاده الذين أوتوا العلم ورزقوا الفهم مخصوصًا من بينهم بتقوية السّنّة وقمع البدعة بإظهار الحجّة ورد الشّبهة، والأشبه أن يكون رسول الله ﷺ إنّما جعل قوم أبي موسى من قوم يحبّهم

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، (١٣٨/٣)، رقم الحديث: ٢٤٨٦.

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، (١٣٨/٥)، رقم الحديث: ٤٢٣٣.

(٣) **المعجم الكبير**، الطبراني، (٣٧١/١٧)، رقم الحديث: ١٠١٦.

الله ويحبّونه لما علم من صحّة دينهم وعرف من قوّة يقينهم، فمن نحا في علم الأصول نحوهم وتبع في نفي التّشبيه مع ملازمة الكتاب والسّنّة قولهم جعل من جملتهم وعدّ من حسابهم بمشيئة الله وإذنه(١)، أعاننا الله تعالى على ذلك بمنه وختم لنا بالسّعادة والشّهادة بجوده.

وليعلم المنصف من أصحابنا صنع الله تعالى في تقديم هذا الأصل الشّريف لما ذخر لعباده من هذا الفرع المنيف الّذي أحيا به السّنّة وأمات به البدعة وجعله خلف حق لسلف صدق بل وغيره كثير ممن أثنى عليه كابن عساكر وتقي الدين السبكي والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني والشيخ أبو عبد الله المايرقيّ من فقهاء المالكيّة، أما طريقته في ترتيب الأدلة السمعية والعقلية فمشهورة وقد بسطها بسطًا رائعًا في كتبه يستمتع به أصحاب الفن ويفرح به طلاب العلم لأن كلامه يوافق القرءان والسنة والعقل فكان رحمه الله يتوقد ذكاء وكان منزهًا ولم يكن معطلًا ولا جهميًا ولا معتزليًا بل هو علم من أعلام الأمة وقد وفقه الله بالحجج النيرات الباهرات والبراهين القاطعة فبزغت طوائف تحاربه مخالفة له لأنها أتت بدين جديد وهو فضحهم وكسرهم ولا يريدون للناس إلا أن يكونوا في دينهم الذي يشبه دين اليهود وهو التشبيه والتجسيم ولم تحاربه فقط بل حاربت أتباعه.

(١) أي حسب عليهم ونسب إليهم.

واعلم أنَّ تاج الدين السبكي قد قال فيه[1]: «اعلم أن أبا الحسن لم يبدع رأيًا ولم ينش مذهبًا وإنما هو مقرر لمذاهب السلف مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله ﷺ فالانتساب إليه إنَّما هو باعتبار أنَّه عقد على طريق السلف نطاقًا وتمسَّك به وأقام الحجج والبراهين عليه فصار المقتدى به فى ذلك السالك سبيله فى الدلائل يسمى أشعريًا ولقد قلت مرة للشيخ الإمام رحمه الله أنا أعجب من الحافظ ابن عساكر فى عدة طوائف من أتباع الشيخ ولم يذكر إلا نزرًا يسيرًا وعددًا قليلًا ولو وفى الاستيعاب حقه لاستوعب غالب علماء المذاهب الأربعة فإنهم برأي أبي الحسن يدينون الله تعالى فقال إنما ذكر من اشتهر بالمناضلة عن أبي الحسن وإلا فالأمر على ما ذكرت من أن غالب علماء المذاهب معه.

وقد ذكر الشيخ شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام أن عقيدته اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية فى زمانه أبو عمرو بن الحاجب وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيري».

---

(١) **طبقات الشافعية**، تاج الدين السبكي، (٣/٣٦٥).

المبحث الثالث:

الماتريدية

فهم ينتسبون إلى إمامها ومؤسسها أبو منصور الماتريدي وهو من السلف، الذي ينتهي نسبه إلى الصحابي أبي أيوب الأنصاري، هي مدرسة إسلامية سنية، ظهرت في عهد السلف في سمرقند في بلاد فارس من بلاد ما وراء النهر دعت الناس إلى الحق بالحجج والقرءان والسنة ولم تأت بجديد بل كانت على ما كان عليه الرسول والصحابة وجاء قامعًا للبدع رادًا على البدعيين والمخالفين، فطنًا قائدًا من قادات الأمة في العلم والهدى حتى قيل فيه إمام الهدى ورئيس أهل السنة وإمام المتكلمين لقوته في علم الكلام ولم يذمه إلا المشبهة المجسمة أهل البدع وبعض الغلاة وقد أثنى عليه العلماء قال ابن حجر الهيتمي في «الزواجر عن اقتراف الكبائر»(١): «المراد بالسنة ما عليه إماما أهل السنة والجماعة الشيخ أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي»، وقال المحدث محمد زاهد الكوثري: «فالأشعري والماتريدي هما إماما أهل السنة والجماعة في مشارق الأرض ومغاربها، لهم كتب لا تحصى، وغالب ما وقع بين هذين الإمامين من الخلاف من قبيل الخلاف اللفظي»، والشيخ الدردير والسفاريني وغيرهم العدد الكبير أثنوا لأن العلماء كلهم في أقطار الدنيا مشرقها ومغربها يرجعون إليهما زد على هذا قد جاء إشارة أخرى في حق

---

(١) **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، ابن حجر الهيتمي، (١/١٦٥).

الماتريدي من الرسول الأكرم وسيد الناس أجمعين **محمد** عليه أفضل الصلاة والسلام حين مدح السلطان **محمد** الفاتح ومن كان معه في جيشه من الأشاعرة والماتريدية وكان السلطان ماتريديًا سنيًا حيث قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ**»، رواه الإمام أحمد بسند صحيح[1] والحاكم والسيوطي.

المبحث الرابع:
الدليلُ على أنَّ الوهابية المجسمة وأسلافهم المشبهة جاؤوا بدين جديد

هو إنكارهم وتسفيههم لأئمة أهل السنة بل بتكفيرهم للأشعري والماتريدي وأتباعهما قد حكموا على الأمة بالكفر، **والحافظ مرتضى الزبيدي** رحمه الله يقول في شرح إحياء علوم الدين: «الفصل الثاني: **إذا اطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية**» وقال الفقيه الحنفي ابن عابدين في حاشيته المسماة «رد المحتار على الدر المختار»[2]:

---

(١) **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل، (٢٨٧/٣١)، رقم الحديث: ١٨٩٥٧.

(٢) **رد المحتار على الدر المختار**، ابن عابدين، (٤٩/١).

«**أهل السنة والجماعة وهم الأشاعرة والماتريدية**» فبعد هذا من بقي من علماء أهل السنة لم يتعرضوا له فنقول لهم:

أولًا: إن سفهتم وجهلتم وضعفتم يا ذهبي ويا مشبهة هؤلاء فقد سفهتم وجهلتم وضعفتم أهل السنة كلهم أجمعين فبذمكم لهؤلاء قد ذممتم الأعلام من أشعرية وماتريدية بتعرضكم لإمامهم فنذكر بعض أسماء هذه الأعلام من شتى البلاد وشتى الأزمان بادئين بالأشاعرة ثم بالماتريدية ثم بمشايخ السلطنة العثمانية الذين كانوا ماتريدية وهم:

أعلام الأشاعرة:

١. أبو بكر الباقلاني
٢. أبو بكر بن فورك
٣. أبو حامد الإسفراييني
٤. أبو إسحاق الإسفراييني
٥. عبد القاهر البغدادي
٦. أبو الحسن بن بطّال
٧. أبو القاسم الإسفراييني
٨. أبو بكر البيهقي
٩. الخطيب البغدادي
١٠. أبو القاسم القشيري

١١. أبو المظفر الإسفراييني

١٢. أبو إسحاق الشيرازي

١٣. أبو المعالي الجويني

١٤. أبو سعد المتوّلي

١٥. أبو المحاسن الرّوياني

١٦. أبو حامد الغزالي

١٧. القفّال الشاشي الكبير

١٨. أبو القاسم الأنصاري

١٩. محيي السّنّة البغوي

٢٠. ابن رشد الجدّ

٢١. أبو بكر الطّرطوشي

٢٢. ابن تومرت المهدي

٢٣. محمد بن علي المازريّ

٢٤. أبو بكر بن العربي

٢٥. القاضي عياض

٢٦. ابن عطية الأندلسي

٢٧. أبو الفتح الشهرستاني

٢٨. السّلطان نور الدين الشهيد زنكي

٢٩. أبو القاسم بن عساكر

٣٠. السيّد أحمد الرفاعي الكبير

٣١. أبو القاسم السّهيلي
٣٢. السلطان صلاح الدين الأيوبي
٣٣. فخر الدين الرازي
٣٤. أبو القاسم الرافعي
٣٥. أبو الحسن بن القطّان
٣٦. سيف الدين الآمدي
٣٧. أبو عمرو بن الصلاح
٣٨. أبو عمرو بن الحاجب
٣٩. أبو العباس القرطبي
٤٠. العز بن عبد السلام
٤١. شمس الدين القرطبي
٤٢. محيي الدين النووي
٤٣. ابن المنير السّكندريّ
٤٤. أبو العباس القرافي
٤٥. عبد الله بن أبي جمرة
٤٦. ابن دقيق العيد
٤٧. ابن عطاء السّكندريّ
٤٨. العلاء بن العطّار
٤٩. كمال الدين بن الزملكاني
٥٠. بدر الدين بن جماعة

٥١. جلال الدين القزويني
٥٢. ابن جزيّ الكلبي
٥٣. جمال الدين المزي
٥٤. أبو حيان الأندلسي
٥٥. السّمين الحلبي
٥٦. عضد الدين الإيجي
٥٧. تقي الدين السبكي
٥٨. أبو سعيد العلائي
٥٩. تاج الدين السبكي
٦٠. جمال الدين الإسنوي
٦١. القاضي ابن بطوطة
٦٢. شمس الدين الكرماني
٦٣. سعد الدين التفتازاني
٦٤. بدر الدين الزركشي
٦٥. البرهان بن فرحون
٦٦. عمر بن الملقن
٦٧. سراج الدين البلقيني
٦٨. زين الدين العراقي
٦٩. نور الدين الهيثمي
٧٠. الشريف الجرجاني

٧١. مجد الدين الفيروزآبادي
٧٢. جلال الدين البلقيني
٧٣. ولي الدين العراقي
٧٤. محمد بن خليفة الأبّي
٧٥. تقي الدين الحصني
٧٦. محمد بن محمد بن الجزري
٧٧. ابن قاضي شهبة
٧٨. ابن حجر العسقلاني
٧٩. جلال الدين المحلي
٨٠. محمد بن يوسف السّنوسي
٨١. شمس الدين السخاوي
٨٢. جلال الدين السيوطي
٨٣. أبو العباس الونشريسي
٨٤. جلال الدين الدّوّاني
٨٥. شهاب الدين القسطلاني
٨٦. محمد الصالحي الدمشقي
٨٧. محمد الرّعيني الحطّاب
٨٨. عبد الوهاب الشعراني
٨٩. شمس الدين الرملي
٩٠. محمد عبد الرؤوف المناوي

٩١. أحمد المقّري التلمساني
٩٢. البراهين إبراهيم اللّقّاني
٩٣. محمد بن علّان البكريّ
٩٤. نجم الدين محمد الغزي
٩٥. الشهاب أحمد الخفاجي
٩٦. محمد ميّارة الفاسي
٩٧. عمر بن محمد البيقوني
٩٨. محمد عبد الباقي الزرقاني
٩٩. أحمد بن غنيم النفراوي
١٠٠. الشاه بن عبد الرحيم الدهلويّ
١٠١. أحمد بن أحمد الدّردير
١٠٢. عبد الله بن علوي الحداد
١٠٣. أحمد بن عبد الفتاح الملّوي
١٠٤. محمد المرتضي الزّبيدي
١٠٥. سليمان بن عبد الوهاب
١٠٦. محمد بن عرفة الدّسوقي
١٠٧. محمد الأمير الكبير
١٠٨. أبو محمد عبد الوهاب البغدادي
١٠٩. محمد بن علي السنوسي
١١٠. عبد الله بن الصديق الغماري

١١١. مفتي بيروت عبد الباسط الفاخوري
١١٢. محمد عبد الكبير الكتّاني
١١٣. مفتي بيروت مصطفى نجا
١١٤. محمد بدر الدين الحسني
١١٥. أبو المحاسن القاوقجي
١١٦. الشيخ المشهور نُقطة البيكار
١١٧. الشيخ الصالح حسين الجسر
١١٨. الشيخ عبد المجيد المغربي
١١٩. الأدهمي والشيخ محمد رشدي الميقاتي
١٢٠. الشيخ زكريا الأنصاري
١٢١. الشيخ عبد الفتاح الزعبي
١٢٢. والشيخ علي الدقر الدمشقي
١٢٣. الشيخ رجب محمد جمال الدين
١٢٤. الشيخ محمد كامل البابا
١٢٥. الشيخ إبراهيم الحسيني
١٢٦. الشيخ عبد القادر الشلبي
١٢٧. حسن بن محمد العطّار
١٢٨. القطب الغوث السيد أحمد البدوي
١٢٩. أبو الحسن الشاذلي
١٣٠. الشيخ عمر محمد الأنسي

١٣١. والشيخ المحدث محمد بن درويش الحوت

١٣٢. القطب الغوث السيد عبد القادر الجيلاني الحسني

١٣٣. عبد السلام بن مشيش

١٣٤. عبد السلام الأسمر

١٣٥. القاضي الجليل ابن فرحون المالكي

١٣٦. الشيخ عبد الكريم عويضة

١٣٧. الولي الكبير أحمد الحارون

١٣٨. مفتي سوريا أبو اليسر عابدين

١٣٩. عبد الله بن محمد الهرري

أعلام مشايخ الإسلام الماتريدية في العهد العثماني

١٤٠. ملا شمس الدين فناري

١٤١. ملا يگن

١٤٢. ملا فخر الدين عجمي

١٤٣. ملا خسرو

١٤٤. ملا گورانى

١٤٥. ملا عبد الكريم

١٤٦. علاء الدين چلبي

١٤٧. أفضل‌زاده حميد الدين

١٤٨. زنبيللي علي أفندي
١٤٩. كمالپاشازاده أحمد شمس الدين أفندي
١٥٠. سعد الله سعدي أفندي
١٥١. چيڤيزاده محيي الدين محمد أفندي
١٥٢. حميدي عبد القادر أفندي
١٥٣. فناريزاده محيي الدين أفندي
١٥٤. أبو السعود أفندي
١٥٥. قاضيزاده أحمد شمس الدين أفندي
١٥٦. معلولزاده محمد أفندي
١٥٧. چيڤيزاده حاجي محمد أفندي
١٥٨. حامد محمود أفندي
١٥٩. مؤيدزاده عبد القادر أفندي
١٦٠. بستانزاده محمد أفندي
١٦١. بيرامزاده حاجي زكريا أفندي
١٦٢. بستانزاده محمد أفندي
١٦٣. خوجة سعد الدين أفندي
١٦٤. حاجى مصطفى صنع الله أفندي
١٦٥. أحمد مختار ملا بك أفندي
١٦٦. أبو الميامين مصطفى أفندي
١٦٧. خوجة سعد الدين محمد چلبي أفندي

١٦٨. خواجه سعد الدين زاده محمد أسعد
١٦٩. زكريا زاده يحي أفندي
١٧٠. آهى زاده حسين أفندى
١٧١. أسعد پاشا زاده أبو سعيد محمد أفندي
١٧٢. معيد احمد أفندى حاجي عبد الرحيم أفندي
١٧٣. محمد أفندي بهائي
١٧٤. قره چله بى عبد العزيز زاده أفندى
١٧٥. أسعد أفندي زاده أبو سعيد محمد أفندي
١٧٦. محمد أفندي بهائي
١٧٧. حسام زاده عبد الرحمن أفندي
١٧٨. مميك زاده مصطفى أفندى
١٧٩. خوجةزاده مسعود أفندي
١٨٠. حنفي محمد أفندي
١٨١. بالى زاده مصطفى أفندى
١٨٢. يكچشم حسين أفندى
١٨٣. اسيرى محمد أفندى
١٨٤. مينقارى زاده يحي أفندى
١٨٥. سنيزاده سعيد محمد أمين أفندي
١٨٦. چاطالجالى علي أفندى
١٨٧. دباغزاده محمد أفندي

١٨٨. حيدريزاده ابراهيم أفندي

١٨٩. دباغزاده محمد أفندي

١٩٠. أبو سعيد زاده فيض الله فيضي أفندي

١٩١. صادق محمد أفندي

١٩٢. إمام محمد أفندي

١٩٣. حاجي فيض الله أفندي

١٩٤. پشمقچيزاده سعيد علي أفندي

١٩٥. بوله وى مصطفى أفندى

١٩٦. إمام محمد أفندي

١٩٧. پشمقچيزاده سعيد علي أفندي

١٩٨. صادق محمد أفندي

١٩٩. أبه زاده عبد الله أفندى

٢٠٠. محمد عطاء الله أفندي

٢٠١. إمام محمود أفندي

٢٠٢. ميرزا مصطفى أفندي

٢٠٣. منتش زاده عبدالرّحمن أفندى

٢٠٤. أبو اسحاق إسماعيل نعيم أفندى

٢٠٥. يكى شهرلى عبدالله أفندى

٢٠٦. ميرزا زاده شيخ محمد أفندى

٢٠٧. پاشماقجى زاده عبدالله أفندى

٢٠٨. داماد زاده أبو الخير احمد أفندى

٢٠٩. أبو إسحاق زاده إسحاق أفندي

٢١٠. دوري محمد أفندى

٢١١. سيد مصطفى أفندي

٢١٢. پيرى زاده محمد صاحب أفندى

٢١٣. حياتى زاده محمد امين أفندى

٢١٤. سيد محمد زين العابدين أفندي

٢١٥. أبو إسحاق زاده محمد أسعد أفندي

٢١٦. محمد سعيد أفندي

٢١٧. سيد مرتضى أفندي

٢١٨. عبد الله وصاف أفندي

٢١٩. داماد زاده فيض الله أفندى

٢٢٠. چله بى زاده إسماعيل عاصم أفندي

٢٢١. تيره وي احمد أفندى

٢٢٢. دوري زاده مصطفى أفندى

٢٢٣. پيرى زاده محمد صاحب أفندى

٢٢٤. شريف زاده سيد محمد شريف أفندي

٢٢٥. پيري زاده عثمان صاحب أفندى

٢٢٦. ميرزا زاده سيد محمد سعيد أفندي

٢٢٧. محمد صالح أفندي
٢٢٨. حاجي ولي الدين أفندي
٢٢٩. عوض باشا زاده إبراهيم بك أفندي
٢٣٠. صالح زاده محمد أمين أفندي
٢٣١. وصاف زاده محمد أسعد أفندي
٢٣٢. محمد شريف أفندي
٢٣٣. سيد إبراهيم أفندي
٢٣٤. دوري زاده سيد محمد آطه
٢٣٥. مكي محمد أفندي
٢٣٦. عرب زاده أحمد آطه
٢٣٧. دوري زاده سيد محمد عارف أفندي
٢٣٨. مفتي زاده أحمد أفندي مكي محمد
٢٣٩. سيد محمد كامل أفندي
٢٤٠. محمد شريف أفندي
٢٤١. عمر خلوصي أفندي
٢٤٢. حميد زاده مصطفى أفندي
٢٤٣. سيد يحيي توفيق أفندي
٢٤٤. ياسينجي زاده عبد الوهاب أفندي
٢٤٥. صالح زاده أحمد أسعد أفندي
٢٤٦. شريف زاده محمد عطاء الله أفندي

٢٤٧. عرب زاده محمد عارف أفندي
٢٤٨. صالح زاده أحمد أسعد أفندي
٢٤٩. دوري زاده سيد عبد الله أفندي
٢٥٠. محمد زين العابدين أفندي

٢٥١. مصطفى عاصم أفندي مكي‌زاده
٢٥٢. حاجي خليل أفندي
٢٥٣. الحاج قره خليل أفندي
٢٥٤. صدقي زاده أحمد رشيد أفندي
٢٥٥. مصطفى عاصم أفندي مكي‌زاده
٢٥٦. قاضي زاده محمد طاهر أفندي
٢٥٧. ياسينجي زاده عبد الوهاب أفندي
٢٥٨. مصطفى عاصم أفندي مكي‌زاده
٢٥٩. أحمد عارف حكمت أفندي
٢٦٠. حمد عارف أفندي مشرپ‌زاده
٢٦١. مسيد محمد سعد الدين أفندي
٢٦٢. عاطف زاده عمر حسام الدين أفندي
٢٦٣. حاجي محمد رفيق أفندي
٢٦٤. حسن فهمي أفندي
٢٦٥. حسن خير الله أفندي

٢٦٦. محمد أسعد أفندي

٢٦٧. طورشجوى زاده أحمد مختار أفندي

٢٦٨. أحمد مختار منلا أفندي

٢٦٩. عرياني زاده أحمد أسعد أفندي

٢٧٠. الحاج عمر لطفي أفندي

٢٧١. محمد جمال الدين أفندي

٢٧٢. محمد زياد الدين أفندي

٢٧٣. محمد صاحب ملا باي أفندي

٢٧٤. چله بى زاده حسين حوسني أفندي

٢٧٥. موسى كاظم أفندي

٢٧٦. عبد الرحمن نسيب أفندي

٢٧٧. محمد جمال الدين أفندي

٢٧٨. دريزاده عبد الله أفندي

٢٧٩. مدني محمد نوري أفندي

أعلام الماتريدية:

٢٨٠. أبو الليث السمرقندي

٢٨١. الحكيم السمرقندي

٢٨٢. علاء الدين السمرقندي

٢٨٣. أبو اليسر البزدوي

٢٨٤. علي بن أبي طالب البلخي

٢٨٥. أبو المعين النسفي

٢٨٦. نجم الدين عمر النسفي

٢٨٧. العلاء الأسمندي

٢٨٨. جمال الدين الغزنوي

٢٨٩. برهان الدين النسفي

٢٩٠. نور الدين الصابوني

٢٩١. بكبرس بن يلنقلج

٢٩٢. سبط ابن الجوزي

٢٩٣. شجاع الدين التركستاني

٢٩٤. شهاب الدين التوربشتي

٢٩٥. ابن التركماني

٢٩٦. حافظ الدين أبو البركات النسفي

٢٩٧. حسام الدين السغناقي

٢٩٨. شمس الدين القونوي

٢٩٩. سعد الدين التفتازاني

٣٠٠. جمال الدين القونوي

٣٠١. علاء الدين البخاري

٣٠٢. محيي الدين الكافيج

٣٠٣. الكمال بن الهمام
٣٠٤. ابن قطلوبغا
٣٠٥. خضر بك
٣٠٦. عبد الرحمن الجامي
٣٠٧. ابن الغرس
٣٠٨. السلطان محمد الفاتح
٣٠٩. شمس الدين الخيالي
٣١٠. مصلح الدين القسطلاني
٣١١. الكرماستي
٣١٢. محي الدين النكساري
٣١٣. ابن نجيم
٣١٤. سيف الدين الدهلوي
٣١٥. عصام الدين الإسفراييني
٣١٦. الملا علي القاري
٣١٧. شمس الدين السيالكوتي
٣١٨. أورنكزيب
٣١٩. كمال الدين البياضي
٣٢٠. عبد العزيز الدهلوي
٣٢١. ابن عابدين

بالإجمال الأشاعرة والماتريدية بمئات الملايين وهم السواد الأعظم وهو أهل السنة والجماعة ومن يحصي عدد النجوم وأوراق الشجر وقطرات الماء وحبات الرمال إلا الله سبحانه وتعالى، فبعد هذا ماذا تقولون **أتقولون إنَّ هذه الأعلام وكل من تبع الأشعري والماتريدي هم ضلال** ـ وقد قلتم[1] ـ وكفرتم الأشعرية وضللتم الماتريدية وجعلتم أنفسكم أهل السنة **ودينكم لا يرجع إلى السلف ولا إلى الخلف من أهل الحق** بل تتسترون بإيرادكم لأسماء علماء وتحرفون وتداهنون وتدعون وتفترون إفكًا وتجترئون على ذم أهل السنة.

ثانيًا: ذمكم لهؤلاء ـ الأشاعرة والماتريدية ـ هو تسفيهكم لأنفسكم **لأنكم متى ما قلتم عن هذه الأعلام معطلة وجهمية وجهال لم يبق لكم سند تلقٍ لا في القرءان ولا في الحديث ولا في العربية ولا بفن من الفنون كلها لأنَّ هذه الفنون كلها نقلت إلينا عبر هذه الأعلام التي لا جرم هي إمَّا أشعرية وإما ماتريدية في العقيدة لا ثالث لهما** وها أنتم تقولون قال النووي الشافعي وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ثم شيخكم ابن عثيمين في كتابه «لقاء الباب المفتوح» يقول عنهما ليسا

(١) كما هو ثابت عن الذهبي وابن تيمية وابن القيم وأتباعهم من الوهابية كتبهم مليئة بذم وتكفير وتبديع وتضليل أهل السنة والجماعة الأشاعرة و الماتريدية، ومن شاء فلينظر كتابنا «السقوط الكبير المدوي للمجسم ابن تيمية الحراني» فإن فيه ما كفى وشفى من فضايح ابن تيمية والذهبي وابن قيم ومحمد بن عبد الوهاب والوهابية.

من أهل السنة فيا لفضيحتكم!! وتذمون إمامهما الأشعري؟؟! ما هذا التخبط!! فوالله إنِّي لأتعجب من حالكم!! السلاطين والحكام ينتسبون إليهم أعني الأشاعرة والماتريدية، أئمة القراءة ينتسبون إليهم الإمام ابن الجزري كان شافعيًا أشعريًا وكذا علماء السنة وشارحي كتب السنة كالقسطلاني وملا علي القاري كانوا ماتريدية وكذا صاحب الفنون الباهرة السيوطي كان أشعريًا فمن أنتم حتى تذموهم وتنقصوهم وتنقصوا قدرهم **أنتم جئتم بدين جديد وعند الله تلتقي الخصوم.**

المبحث الخامس:

قواعد مهمة

- **من كفر الأشعري وكفر الماتريدي فليس من أهل السنة.**
- **من كفر الأشعري والماتريدي فقد كفر الأمة جمعاء.**
- **من كفر الأمة فقد جاء بدين جديد.**
- **من كفر الأمة فهو كافر بإجماع المسلمين.**
- **الذي كفر الأمة لا ينظر إلى كلامه ولا تطالع كتبه ولا يعتمد على نقله.**
- **يجب الحذر ممن يدعي أنه سني وهو مشبه محض.**
- **الأشعري والماتريدي ليسوا بفلاسفة ولا بمعتزلة ولا جهمية ومن نسبهم لذلك فهو كذَّاب مفتر.**

المبحث السادس:
قاعدة متفق عليها عند جميع العلماء

اتفق جميع العلماء على أنَّ من قال قولًا يتوصلُ به إلى تضليل أمة محمد فهو مقطوعٌ بكفرِه.

وهذه القاعدة الذهبية ذكرها:

- النووي[١] في «روضة الطالبين».
- القاضي عياض المالكي[٢] في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى».
- ابن حجر العسقلاني[٣] «فتح الباري».
- ابن حجر الهيتمي[٤] في «الإعلام بقواطع الإسلام».

---

(١) **روضة الطالبين**، النووي، (٧٠/١٠).

(٢) **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض، (٢٨٦/٢).

(٣) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، (٣٠٠/١٢).

(٤) **الإعلام بقواطع الإسلام**، ابن حجر الهيتمي، (١٦٤/١).

المبحث السابع:
دعوى رجوع بعض الأئمة عن العقيدة الأشعرية

قريب من هذا الّذي نسب إلى إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى هو أيضًا ما ينسب إلى بعض مشاهير متكلمي الأشاعرة كالجويني والغزاليّ والرّازيّ أنّهم رجعوا عن معتقد الأشاعرة وتبرأوا منه، ومن يروج لهذه الدعوى يريد أن يقول: «إنّ هذا المعتقد الذي رجع عنه هؤلاء العلماء لو كان حقًّا ما تركوه ولا هجروه».

فنقول: إمّا أن يكون اعتقاد الأشاعرة هذا الذي ينسب إلى هؤلاء المتكلمين الرّجوع عنه حقًّا في ذاته أو باطلًا.

- فإن كان حقًّا فماذا يضيره أو يضير من تمسّك به حتى لو تبرأ منه هؤلاء المتكلمون على فرض صحة ذلك عنهم؟!.

- أم أنه صار حقًّا حين قالوا به، فلمّا تركوه انقلب الحق إلى باطل؟!.

- وإن كان ما رجعوا عنه باطلًا فواهًا ثم واهًا على أمّة الإسلام وقد تبنّت طيلة هذه القرون الماضية باطلًا ثم لم يكتشف بطلان ذلك إلا ثلاثة أو أربعة منهم!!.

كلّا، ليس الأمر هكذا، فعلماء الإسلام ليسوا حفنةً من مقلدة العوام تغدو بهم كلمة وتروح بهم أخرى دون تبصّر ولا برهان، ولكنّهم لمّا رأوا هذين الإمامين الجليلين أبا الحسن الأشعريّ وأبا منصور الماتريديّ رحمهما الله قد انتصبا دليلين على طريق السّلف الصالح ينافحان عن

معتقداتهم ويذبّان عن الكتاب والسّنّة هرعوا لنصرتهم وانتهضوا لتأييدهم ونشر طريقتهم في إثبات عقيدة السّلف الصالح، ولهذا فقط نسبوا إلى هذين الإمامين، وليس كما يظنّ البعض أنّهم يقلدونهما فيما ذهبا إليه. فلو فرضنا صحّة رجوع هؤلاء الأئمّة عن معتقد الأشاعرة، بل لو فرضنا رجوع عشرات غيرهم عن الأشعريّة ما كان هذا سيغير من الحقيقة التي أطبقت عليها الأمّة شيئًا، وغاية ما يقال حينها أنّ هؤلاء المتكلمين قد أخطأوا في ذلك .

على أن هؤلاء المتكلمين لم يرجعوا عن اعتقاد الأشاعرة ولا تبرّأوا منه، كيف وهو الامتداد الطّبيعيّ لما كان عليه السّلف، بل المنقول عن بعضهم أنّه رجع عن طريق التأويل في ظواهر المتشابه الذي كانوا يقولون به قبل إلى طريق التّفويض الذي هو طريق جمهور السّلف الصالح بعد تنزيه الله تعالى عما توهمه هذه الظواهر من سمات المخلوقين، وكلا الطّريقين التفويض والتأويل بشرطه ثابت عن سلف الأمّة، وكلا المسلكين صحيح لا غبار عليه عند أهل الحقّ، أمّا الذي يأباه العقل والنّقل فهو نسبة حقائق هذه الألفاظ اللّغويّة «كاليد والعين والوجه» لله تعالى وحمل هذه الظواهر على ما يعهده الخلق من عوالمهم، وهذا قطعًا لم يقل به أحد من متكلمي أهل السّنّة ألبتة، بل ونصوص المتكلمين المدّعى رجوعهم واضحة وصريحة في الردّ على من يقول ذلك.

فهذا الإمام الجوينيّ الذي ينسبون له الرجوع عن معتقد الأشاعرة في رسالته «النِظاميّة»[1] يصّرح في نفس هذه الرسالة بإطباق أهل الحقّ على تنزيه الله تعالى عن ظواهر نصوص المتشابه بقوله: «وامتنع على أهل الحق اعتقاد فحواها وإجراؤها على موجب ما تبتدره أفهام أرباب اللسان منها».

أضف إلى ذلك أنّ «الرسالة النظاميّة» صنّفها الإمام الجويني رحمه الله للوزير نظام الملك ولهذا سمّاها بالنظامية نسبةً إليه، ولا يخفى أنّ الوزير نظام الملك أشعريّ المعتقد قال عنه الذّهبيّ بعد أن أثنى عليه ثناءً عاطرًا في «سير أعلام النّبلاء»: «وكان شافعيًّا أشعريًّا».

فهل كان الجوينيّ ليهدي الوزير نظام الملك كتابًا في نقض اعتقاده؟!

ثم نقول: ليس في «الرسالة النظاميّة» ما يناقض اعتقاد الأشاعرة في شيء، والذي ذكره الإمام الجوينيّ من ترجيح التفويض على التأويل هو أحد مسلكي الأشاعرة في نصوص المتشابه، وهو ثابت أيضًا عن أئمّة من السّلف الصالح كما نقله عنهم العلماء، فقد قال ابن السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى»: «ثم أقول: للأشاعرة قولان مشهوران في إثبات الصفات، هل تمرّ على ظاهرها مع اعتقاد التنزيه أو تؤوّل، والقول بالإمرار مع اعتقاد التنزيه هو المعزوّ إلى السّلف، وهو اختيار الإمام ـ يعني الجوينيّ ـ في «الرسالة النظاميّة» وفي مواضع من كلامه، فرجوعه معناه الرّجوع عن التأويل إلى التّفويض، ولا إنكار في ذلك ولا في مقابله ـ يعني التأويل ـ

(١) الرسالة النِّظامية، الجويني، (ص٣٢).

فإنها مسألة اجتهاديّة، أعني مسألة التأويل والتفويض مع اعتقاد التّنزيه، إنما المصيبة الكبرى والداهية الدّهياء الإمرار على الظاهر والاعتقاد أنه المراد وأنه لا يستحيل على الباريُ».

ومن يطالع «الرسالة النظاميّة» يعلم موافقتها لاعتقاد أهل السنة الأشاعرة، فمن أمثلة ذلك تنزيه الإمام الجويني لله تعالى عن الجهة والمكان والحيّز والحرف والصوت وظواهر المتشابه، وتشديده على القائلين بحوادث لا أوّل لها في الماضي، إلى غير ذلك من المسائل التي تدلّ دلالةً قاطعةً على تمسّك الإمام باعتقاد السادّة الأشاعرة.

زد على هذا كلام تاج الدين السبكي الأشعري[١] في الرد على من نسب ذم الكلام للجويني حيث قال في طبقاته ما نصه: «وذكر ابن السمعاني أيضًا أنه سمع أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يذكر عن محمد بن طاهر المقدسي الحافظ قال: سمعت أبا الحسن القيرواني الأديب بنيسابور وكان ممن يختلف إلى درس إمام الحرمين أنه قال: سمعت أبا المعالي يقول: لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به».

قلت أنا: يشبه أن تكون هذه الحكاية مكذوبة، وابن طاهر عنده تحامل على إمام الحرمين، والقيرواني المشار إليه رجل مجهول، ثم هذا الإمام العظيم الذي ملأت تلامذته الأرض لا ينقل هذه الحكاية عنه غير

---

(١) **طبقات الشافعية الكبرى**، تاج الدين السبكي، (١٨٦/٥، ١٨٧).

رجل مجهول، ولا تعرف من غير طريق ابن طاهر، إن هذا لعجيب! وأغلب ظني أنها كذبة افتعلها من لا يستحي، وما الذي بلغ به رضي الله تعالى عنه علم الكلام؟ أليس قد أعزَّ الله به الحق وأظهر به السنة وأمات به البدعة؟». انتهى كلام السبكي.

وكذلك أبو حامد الغزاليّ فكتابه «إلجام العوامّ» الذي ينسب إليه الرجوع فيه هو في حقيقة الأمر تأصيل لمسلك السادة الأشاعرة من حيث تنزيه الله تعالى عن سمات الحوادث مثل الجهة والمكان والحروف والأصوات وظواهر المتشابه، بل هو قائل بالتأويل في مواضع من الكتاب وذلك في شرح الوظيفة الخامسة من الوظائف السّبع التي يجب على العوامّ مراعاتها عند سماع شيء من نصوص المتشابه، ومن يطالع الكتاب يعلم أنّ الغزالي لم يترك مذهب الأشاعرة ولا رجع عنه، وإنما رجّح مسلك التفويض على مسلك التأويل، وهو ترجيح منه ليس على إطلاقه كما أنه لا يفهم منه تضليل للقائلين بالتأويل، فإنّ الغزاليّ لا شكّ يعلم أنّ كلا المسلكين صحيح وإن كان الأرجح عنده والأفضل ـ عند عدم الحاجة ـ هو مسلك التّفويض الذي هو مسلك جمهور السّلف، أمّا إذا خاض النّاس في المتشابهات فلا بدّ حينئذٍ من البيان، ومن أساليب البيان التّأويل.

ثمّ إنّ كتاب «الإلجام» نفسه دليل على عدم رجوع الغزاليّ عن مذهب الأشاعرة وذلك أنّه آخر كتبه تصنيفًا، فقد قال البدر الزّركشيّ في «البرهان في علوم القرءان» عند كلامه على التأويل ما نصّه: «قال الشيخ أبو عمرو

ابن الصلاح: وعلى هذه الطريقة مضى صدر الأمّة وسادتها وإيّاها اختار أئمّة الفقهاء وقادتها، وإليها دعا أئمّة الحديث وأعلامه، ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأباها، وأفصح الغزاليّ عنهم في غير موضع بتهجين ما سواها حتّى ألجم ءاخرًا في إلجامه كلّ عالم أو عامي عمّا عداها، قال: وهو كتاب «إلجام العوام عن علم الكلام» ءاخر تصانيف الغزاليّ مطلقًا ءاخر تصانيفه في أصول الدين، حثّ فيه على مذاهب السّلف ومن تبعهم».

وكذلك ما ينقل عن الفخر الرّازيّ لا يخرج عمّا ذكرناه سابقًا، بل إن الرّازيّ كان يوصي ءاخر حياته بكتبه التي صنّفها قبل، فجاء في وصيّته التي أملاها على أحد تلاميذه وهو على فراش الموت كما في «عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء»(١): «وأما الكتب العلمية التي صنّفتها واستكثرت من إيراد السؤالات على المتقدمين فيها، فمن نظر في شىء منها فإن طابت له تلك السؤالات فليذكرني في صالح دعائه على سبيل التّفضّل والإنعام، وإلّا فليحذف القول السّيئ فإني ما أردت إلا تكثير البحث وتشحيذ الخاطر».

بهذا يتضح أن رؤوس المتكلمين في الأشاعرة أبعد من أن تنقاد في مسائل أصول الدين بلا تبصّر، حتى وإن كان إمام أهل السنة والجماعة أبا الحسن الأشعري، فإنّ اتباع الأمة له رحمه الله اهتداءً لا تقليدًا، لذا

---

(١) **عيون الأنباء**، ابن أبي أصيبعة، (ص٤٦٨).

فإنّ أيّ محاولة للتشكيك في معتقد الأشاعرة بادعاء رجوع الإمام أبي الحسن أو رجوع أحد من الأئمة لن تجدي مأربًا للمشككين ولن تغير من الحقّ الذي أطبقت عليه الأمّة بعلمائها شيئًا، فإنّ غاية ما يقال في أي دعوى من هذا القبيل: إذا صحّت عن أحد من مشاهير المتكلمين فقد أخطأ فيما ذهب إليه ولا يقلّد في ذلك، وكلّ يؤخذ منه ويردّ عليه إلا المعصوم رسول الله ﷺ.

المبحث الثامن:

الأشاعرة والمنزهون المتوسلون من الحنابلة على عقيدة واحدة

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في «تبيين كذب المفتري»[(١)]:

«فتأمّلوا رحمكم الله هذا الاعتقاد ما أوضحه وأبينه، واعترفوا بفضل هذا الإمام العالم الذي شرحه وبيّنه، وانظروا سهولة لفظه فما أفصحه وأحسنه، وكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الزّمر] وتبيّنوا فضل أبي الحسن واعرفوا إنصافه واسمعوا وصفه لأحمد بالفضل واعترافه لتعلموا أنّهما كانا في الاعتقاد متّفقين وفي أصول الدين ومذهب السّنّة غير مفترقين، ولم تزل الحنابلة ببغداد في قديم الدّهر على ممر الأوقات تعتضد بالأشعرية على أصحاب البدع لأنهم المتكلمون من أهل الإثبات، فمن تكلّم منهم في الرّد على

---

(١) **تبيين كذب المفتري**، ابن عساكر، (١/١٦٣).

مبتدع فبلسان الأشعريّة يتكلّم، ومن حقّق منهم في الأصول في مسألة فمنهم يتعلّم، فلم يزالوا كذلك حتى حدث الاختلاف في زمن أبي نصر القشيري ووزارة النظام ـ يعني نظام المُلك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي ـ، ووقع بينهم الانحراف من بعضهم عن بعض لانحلال النظام، وعلى الجملة فلم يزل في الحنابلة طائفة تغلو في السّنّة وتدخل فيما لا يعنيها حبّا للخفوف في الفتنة، ولا عار على أحمد رحمه الله من صنيعهم».

وقال التّاج السّبكيّ في «الطّبقات»[1] ما نصّه: «قلت أنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة لا أستثني أحدًا والشافعية غالبهم أشاعرة لا أستثني إلا من لحق منهم بتجسيم أو اعتزال ممن لا يعبأ الله به والحنفية أكثرهم أشاعرة أعني يعتقدون عقد الأشعري لا يخرج منهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة والحنابلة أكثر فضلاء متقدميهم أشاعرة لم يخرج منهم عن عقيدة الأشعريّ إلا من لحق بأهل التجسيم وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم».

---

(١) **طبقات الشافعية الكبرى**، تاج الدين السبكي، (٣/٣٧٨).

المبحث التاسع:

تكفير علماء المذاهب الأربعة للمشبهة المكفرين لأهل السنة الأشاعرة والماتريدية

لمّا كانت المجسّمة المشبهة الوهّابية ومن شاكلهم قديمًا وحديثًا يكفرون الأشاعرة والماتريديّة وينسبونهم إلى التعطيل ونفي الصفات كانت المشبهة هي أحرى بالتكفير من وجهين: لنسبتهم التجسيم أو لوازمه لله تعالى وتشبيههم له بخلقه، ولتكفيرهم المسلمين الأشاعرة والماتريدية بغير حق.

فأمّا كفر المجسمة بسبب تكفيرهم المسلمين بغير حق فهو معلوم مفهوم من كلام النبيّ ﷺ: «**أيّما رجلٍ مسلمٍ أكْفَر رجلًا مسلمًا فإن كان كافرًا وإلّا كان هو الكافر**»[1]، روي بألفاظ كثيرة متّفقة المعنى واللفظ هنا لأبي داود في سننه. وأمّا كفر المجسمة بسبب نسبتهم الجسم أو بعض لوازمه لله، كنسبتهم الحدّ والتحيّز وغير ذلك له، فهو حكم مجمع عليه عند الأمّة ومفهوم من النّصوص الشرعية الثّابتة. وقد أفردنا هذا الفصل لسرد نقول لعلماء أهل السنّة من علماء المذاهب الأربعة الذين نقلوا إجماع الأمّة على تكفير المجسم، إذ لا خلاف في تكفيره:

---

(١) **سنن أبي داود**، أبو داود، (٢٢١/٤)، رقم الحديث: ٤٦٨٧.

١) قال الحافظ النووي في كتاب «روضة الطالبين»[١] وابن حجر الهيتميّ في كتابه «الإعلام بقواطع الإسلام»[٢] ما نصه: «وأنَّ من دافع[٣] نصّ الكتاب أو السّنّة المقطوع بها المحمول على ظاهره **فهو كافر بالإجماع**»[٤].

والمجسم قد كذّب قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص] وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى] وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٠﴾ [سورة النحل] تكذيبًا صريحًا **فهو كافر بالإجماع بنص الحافظ النوويّ هذا.**

٢) قال الفقيه أبو العباس نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة الشافعيّ في كتابه «كفاية النّبيه شرح التنبيه»[٥] ما نصه: «ولا تجوز الصلاة خلف كافر لأنه لا صلاة له، فكيف يقتدى به، **وهذا ينظم من كفره مجمع عليه** ومن كفّرناه من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرءان وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها، ومن لا يؤمن بالقدر **وكذا من**

---

(١) **روضة الطالبين**، النووي، (١٠/٧٠).

(٢) **الإعلام بقواطع الإسلام**، ابن حجر الهيتمي، (ص١٦٤).

(٣) أي عارض وناقض.

(٤) وهذا ما ذكره محمد عليش المالكي وعلاء الدين بن العطار والقاضي عياض وغيرهم.

(٥) **كفاية النبيه شرح التنبيه**، ابن الرفعة، (٤/٢٤).

يعتقد أنّ الله جالس على العرش، كما حكاه القاضي حسين هنا عن نصّ الشافعي».

فانظر إلى قول ابن الرفعة «من كفره مجمع عليه» وذكر فيهم المجسمة والمعتزلة، وأكّد أنّ تكفير المجسم هو نصّ الشافعي كما نقله عنه القاضي حسين رحمه الله تعالى.

٣) قال الإمام الأستاذ عبد القاهر بن طاهر أبو منصور البغدادي التميمي في كتابه «تفسير الأسماء والصفات»[1]: «فأما أصحابنا فإنهم وإن **أجمعوا على تكفير المعتزلة والغلاة من الخوارج والنّجّارية والجهمية والمشبهة** فقد أجازوا لعامّة المسلمين معاملتهم في عقود البياعات والإجارات».

وهذا إجماع صريح على تكفير المشبهة، والمجسمة مشبهة بلا شكّ، ومراده بأصحابنا جمهور الشافعية والأشاعرة لأنه رحمه الله كان رأسًا مشهورًا فيهم.

٤) وقال الإمام الأستاذ الفقيه المؤرخ الخبير بالفرق والنحل الذي كان رأسًا في الأشاعرة الشافعية أبو منصور البغداديّ رحمه الله في كتابه «تفسير الأسماء والصفات»[2]: «**إجماع الأمة على إكفار** من أنكر النبوات أو شكّ في عقائد الأنبياء، وإذا كان شكّه في صفات بعض الناس يورثه

---

(١) **تفسير الأسماء والصفات** (مخطوط)، أبو منصور البغدادي، (ص٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) **تفسير الأسماء والصفات** (مخطوط)، أبو منصور البغدادي، (ص٤٦).

الكفر **فشكّه في صفة لازمة لله عز وجل أو جهله بها أولى بأن يوجب تكفيره**».

فهذا نقل البغدادي الإجماع على كفر من جهل صفةً ثابتةً لله تعالى، **ولا شك أن المجسّم جهل الله** وليس مجرّد جهل بصفة ثابتة له فقط، **فيكون كافرًا بالإجماع**.

٥) قال إمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري رحمه الله[١]:«فكذلك اعتقاد من اعتقد أن البارئ تعالى أجزاء متصلة وأبعاض متلاصقة **كفر به وجهل**»، وقال رحمه الله: «**والجهل بصفة لله تعالى كفر**».

ومعناه أنّ إنكار صفة من صفات الله الثلاث عشرة أو الشّكّ فيها أو في واحدة منها **كفر وخروج من الإسلام. وهذا إجماع على كفر المجسم والجهوي الذي يثبت الجهة لله**، لأنه بذلك أنكر صفة المخالفة للحوادث التي هي ثابتة لله عز وجلّ، وجعله جسمًا يفتقر إلى موجد، وجعله محتاجًا إلى المكان وإلى مخصص يخصصه بذلك.

٦) قال الفقيه أبو بكر تقي الدين الحصني الشافعي في كتابه «دفع شبه من شبّه وتمرّد ونسب ذلك إلى السيّد الجليل الإمام أحمد»[٢] ما نصه:

---

(١) **مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري**، ابن فورك، (ص٢٢٨).

(٢) **دفع شبه من شبّه وتمرّد ونسب ذلك إلى السيّد الجليل الإمام أحمد**، تقي الدين الحصني، (ص١٨).

«لأنّ الكيف من صفات الحدث، وكلّ ما مكان من صفات الحدث فالله عزّ وجلّ منزّه عنه، فإثباته له سبحانه **كفر محقّق عند جميع أهل السّنّة والجماعة**».

وهذا **إجماع صريح على كفر المجسمة** لأنهم وصفوا الله بصفات الحوادث التي هي الجسميّة.

٧) وقال الحصنيّ أيضًا في كتابه «كفاية الأخيار في حلّ غاية الاختصار» ما نصه[1]: «إلّا أنّ النووي جزم في صفة الصلاة من شرح المهذب بتكفير المجسمة. قلت **وهو الصواب الذي لا محيد عنه إذ فيه مخالفة صريح القرءان**، قاتل الله المجسمة والمعطلة ما أجرأهم على مخالفة من ليس كمثله شىء وهو السّميع البصير، وفي هذه الآية ردّ على الفريقين».

فانظر إلى قوله: «**وهو الصواب الذي لا محيد عنه إذ فيه مخالفة صريح القرءان**»، وتكذيب القرءان كفر بإجماع الأمة، فالمجسم كافر بإجماع الأمة.

٨) وقال الحصنيّ أيضًا: «**خرج** ـ أي ابن تيمية ـ **عن الاتباع إلى الابتداع وشذّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع** وقال بما يقتضي الجسميّة والتركيب في الذات المقدس».

---

(١) **كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار**، تقي الدين الحصني، (ص٣٨٢).

٩) قال الملّا عليّ بن سلطان محمد القاري الحنفي في كتابه «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»[١] ما نصه: «قال النوويّ في شرح مسلم في هذا الحديث وشبهه من أحاديث الصفات وءاياتها مذهبان مشهوران: فمذهب جمهور السّلف وبعض المتكلمين الإيمان بحقيقتها على ما يليق به تعالى وأنّ ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله سبحانه عن سائر سمات الحدوث. والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السّلف، وهو محكيّ عن مالك والأوزاعي، إنما يتأوّل على ما يليق بها بحسب بواطنها[٢]، فعليه الخبر مؤوّل بتأويلين أي المذكورين بكلامه وبكلام الشّيخ الرّبّاني أبي إسحاق الشيرازي وإمام الحرمين والغزاليّ وغيرهم من أئمّتنا وغيرهم يعلم أنّ المذهبين متّفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصّورة والشّخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرّحمة والاستواء على العرش والكون في السّماء وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعيّة البطلان **تستلزم أشياء يحكم بكفرها بالإجماع** فاضطرّ ذلك جميع الخلف والسّلف إلى صرف اللّفظ عن ظاهره».

---

(١) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ملا علي القاري، (٣/٩٢٣، ٩٢٤).

(٢) قال الملّا عليّ القاري: «ولو فتح باب تأويل كل كلام ظاهره الكفر لم يكن في الأرض كافر»، نقل ذلك عن بعض شيوخه الّذين قال عنهم «هم حجّة بيني وبين الله».

وانظر هنا إلى قوله «**يحكم بكفرها بالإجماع**»، فإذا كان من يصف الله تعالى بظاهر هذه الأشياء المذكورة هنا كافر بالإجماع، فكيف بالمجسم؟! فهو داخل في هؤلاء الذين ينسبون لله المكان ويصفه بظواهر الآيات والأحاديث المتشابهة، فلا خلاف في كفره!!

١٠) قال الإمام الحافظ الفقيه أحمد بن سلامة أبو جعفر الورّاق الطحاوي المصري في عقيدته المشهورة بالعقيدة الطحاوية: «ومن وصف الله بمعنًى من معاني البشر **فقد كفر**».

وهذه العقيدة تلقتها الأمة سلفًا وخلفًا بالقبول والفرح والسرور، فأقبلوا عليها حفظًا ودرسًا وشرحًا وتعلّمًا وتعليمًا واستحسانًا بلا نكير ولا خلاف.

ويقول الطحاوي رحمه الله إنّ هذه الرسالة هي ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة على حسب ما قرره أبو حنيفة وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم وأبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني أي من حيث سبك العبارات أضع هذه الرسالة على أسلوب هؤلاء الأئمة الثلاثة، أما من حيث المعنى «**فهو مذهب أهل الحقّ أهل السنة والجماعة كلهم بلا استثناء**». وأهل السنة والجماعة هم الصحابة ومن تبعهم في المعتقد[1].

وانظر إلى قوله: «**فهو مذهب أهل الحق، أهل السنة والجماعة كلهم بلا استثناء**»، أي هذا إجماع، وقد سبقت عبارة الطحاوي: «ومن وصف الله

---

(١) **إظهار العقيدة السنية**، عبد الله الهرري، (ص٣١).

بمعنى من معاني البشر فقد كفر»، **إذًا هو إجماع صريح ظاهر على كفر المشبهة المجسمة.**

١١) قال الإمام الحافظ المجتهد المجدد الشيخ عبد الله بن محمد بن يوسف الهرري المعروف بالحبشي رضي الله عنه وأرضاه في كتابه «التعاون»[١]: «**والمجسم كافر بإجماع الأئمة الأربعة وغيرهم**، لأنّ من جسّم الله تعالى كذّب قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ١١﴾ [سورة الشورى] فإنه جعل لله أمثالًا كثيرةً لا تحصى»، وقال بعد ذلك: «وقد **اتّفق الأئمة الأربعة وغيرهم على أنّ المجسم كافر**».

١٢) وقال رضي الله عنه في نفس الكتاب[٢]: «وأما الوهابية فهم مجسمون وهم كفار **لأن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال: المجسم كافر**[٣]، والإمام أحمد قال: «**من قال: الله جسم لا كالأجسام كفر**»[٤]، **وكذلك الإمام مالك رضي الله عنه كفّر المجسم**».

وهذا تصريح من إمام أهل السنة في عصرنا بوجود الإجماع على كفر المجسم.

---

(١) **التعاون على النهي عن المنكر**، عبد الله الهرري، (ص٥٩).

(٢) **التعاون على النهي عن المنكر**، عبد الله الهرري، (ص٣٤).

(٣) **الأشباه والنظائر**، السيوطي، (ص٤٨٨).

(٤) ذكره صاحب الخصال وهو من مشاهير الحنابلة.

١٣) وقال الإمام الهرريّ أيضًا في كتابه «التحذير الشرعي الواجب»[١]: «**فقد نقل الإمام أبو منصور البغدادي إجماعهم على تكفير المجسم**، وثبت **عن الإمام أبي الحسن الأشعري أنه قال**: **المجسم غير عارف بالله فهو كافر به**، كذلك في المعتزلة وغيرهم، **فدفع التكفير عنهم يؤدي إلى إبطال الشريعة**».

١٤) وقال ابن حجر الهيتمي في كتابه «المنهج القويم شرح المقدمة الحضرمية»: «واعلم أنّ القرافيّ وغيره **حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم وهم حقيقون بذلك**».

١٥) وقد تفطّن الطّبريّ رحمه الله لهذه الطائفة الخبيثة التي جوزت أن يكون ذاته تعالى محلًّا للخلق والتّغيّر بالانتقال والزّوال من مكان إلى مكان فصرّح بكفرها في معرض بيان عقيدة أهل السنة في صفة الكلام لله وكونها صفةً وجوديّةً قديمة ثابتةً تعالى، وأنّ كلام الله ليس حروفًا وأصواتًا يخلقها الله تعالى ويوجدها في ذاته بإرادته واختياره كما يصرح التيمية والوهابية ويثبتون حلول الصفات الحادثة بذات الله تعالى ويسمون ذلك قيام الصفات الاختيارية به، وقد ردّ الإمام الطبري كل ذلك قائلًا: من أبى ما قلنا في ذلك قيل له[٢]: أخبرنا عن الكلام الذي وصفت

---

(١) **التحذير الشرعي الواجب**، عبد الله الهرري، (ص١٣٤).

(٢) **التبصير في معالم الدين**، الطبري، (ص٢٠٢).

أن القديم به متكلم مخلوق، أخلقه إذ كان عندك مخلوقًا في ذاته، أم في غيره، أم قائم بنفسه؟ فإن زعم خلقه في ذاته، فقد أوجب أن تكون ذاته محلًّا للخلق، **وذلك عند الجميع كفر**. والطبريّ نصّ على أنّ الفوقيّة مصروفة عن ظاهرها حيث إن الله عز وجل منزه عن الفوقية المكانية لقول الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ [سورة الشورى]، فمن اعتقد أن لله تعالى مكانًا فقد **كفر بإجماع العقلاء**[1].

١٦) قال القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي ما نصه[2]: «واعلم أنّ الوصف له تعالى بالاستواء اتّباع للنّصّ وتسليم للشرع وتصديق لما وصف به نفسه تعالى به، ولا يجوز أن يثبت له الكيفية لأنّ الشرع لم يرد بذلك ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء ولا سألته الصحابة ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيّز والافتقار إلى الأماكن وذلك يؤول إلى التجسيم وإلى قدم الأجسام **وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام**».

وأقرّه عليه الأستاذ الدكتور الشيخ أحمد محمد نور سيف مدير عام دار البحوث ورئيس مجلس الأوقاف والشؤون الإسلامية دبي[3].

---

(١) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص١١٥).

(٢) **شرح عقيدة الإمام مالك الصغير**، عبد الوهاب البغدادي، (ص٢٨).

(٣) **سلسلة الدراسات العقدية**، أحمد محمد نور سيف، (ص٦٨).

١٧) وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ما نصه[١]: «فمن اعتقد أنّ الله عزّ وجلّ متّصف بالاستقرار على العرش أو التّمكّن فيه **فهو كافر بالإجماع**».

١٨) وقال الشيخ أبو بكر محمد بن سابق الصقلّي ما نصه[٢]: «ومن قال: إنّ الله عز وجل يحدث فيه الحرف بعد الحرف فقد جعل ربّه محلًّا للحوادث وشبّهه بمخلوقاته وشبّه مخلوقاته به، **وهذا كفر بإجماع، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا**».

١٩) وقال أبو حامد الغزالي في كتابه المسمى «إلجام العوامّ عن علم الكلام» ما نصه[٣]: «الوظيفة الأولى: التقديس ومعناه أنه إذا سمع اليد والإصبع في قوله ﷺ «**إنّ الله خمّر طينة ءادم بيده**» و«**إنّ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمـٰن**»، فينبغي أن يعلم أن اليد تطلق لمعنيين أحدهما هو الوضع الأصلي وهو عضو مركّب من لحم وعظم وعصب واللّحم والعظم والعصب جسم مخصوص بصفات مخصوصة والجسم عبارة عن مقدار له طول وعرض وعمق يمنع غيره من أن يوجد بحيث هو إلا بأن يتنحى عن ذلك المكان، وقد يستعار هذا اللفظ أعني اليد لمعنى ءاخر ليس ذلك المعنى بجسم أصلًا كما يقال: البلدة في يد الأمير فإن

(١) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص ٥٠).

(٢) **كتاب الحدود الكلامية والفقهية على رأي أهل السنة الأشعرية**، الصقلي، (ص٢١٥).

(٣) **إلجام العوام عن علم الكلام**، الغزالي، (ص/٢٠٩).

ذلك مفهوم وإن كان الأمير مقطوع اليد مثلًا فعلى العامي وغير العامي أن يتحقق قطعًا ويقينًا أن الرسول ﷺ لم يرد بذلك جسمًا هو عضو مركب من لحم ودم وعظم، وأن ذلك على الله تعالى محال وهو عنه مقدس، فإن خطر بباله أن الله جسم مركب من أعضاء فهو عابد صنم فإن كل جسم هو مخلوق، وعبادة المخلوق كفر وعبادة الصنم كفر لأنه مخلوق، وكان مخلوقًا لأنه جسم فمن عبد جسمًا **فهو كافر بإجماع الأمة السلف منهم والخلف**».

٢٠) ونقل القرافي **اتفاق الأئمة الأربعة على تكفير المجسم** كما نقل ذلك عنه ابن حجر الهيتمي قال: «وهم حقيقون بذلك».

٢١) وقال أبو عبد الله القرطبي ما نصه[١]: «**وإن إثبات الجهة لله تعالى كفر عند الأئمة الأربعة** كما نقل عنهم العراقي على ما في شرح المشكاة لعليّ القاري».

٢٢) وقال الشيخ محمود خطاب السبكي ما نصه[٢]: «سألني بعض الراغبين في معرفة عقائد الدين والوقوف على مذهب السلف والخلف في المتشابه من الآيات والأحاديث بما نصه: ما قول السادة العلماء حفظهم الله تعالى فيمن يعتقد أن الله عز وجل له جهة وأنه جالس على العرش في مكان مخصوص ويقول ذلك هو عقيدة السلف ويحمل الناس على أن

---

(١) **التذكار في أفضل الأذكار**، القرطبي، (ص٢٠٨).

(٢) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص٣، ٤).

يعتقدوا هذا الاعتقاد، ويقول لهم: من لم يعتقد ذلك يكون كافرًا مستدلًّا بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]، وقوله عز وجل: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ۝١٦﴾ [سورة الملك]، أهذا الاعتقاد صحيح أم باطل؟ وعلى كونه باطلًا أيكفر ذلك القائل باعتقاده المذكور ويبطل كل عمله من صلاة وصيام وغير ذلك من الأعمال الدينية وتبين منه زوجه، وإن مات على هذه الحالة قبل أن يتوب لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وهل من صدّقه في ذلك الاعتقاد يكون كافرًا مثله؟ فأجبت بعون الله تعالى فقلت: بسم الله الرحمـٰن الرحيم الحمد لله الهادي إلى الصواب، والصلاة والسلام على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى ءاله وأصحابه الذين هداهم الله ورزقهم التوفيق والسداد. أما بعد: فالحكم أن هذا الاعتقاد **باطل ومعتقده كافر بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين**، والدليل العقلي على ذلك قدم الله تعالى ومخالفته للحوادث، والنقلي قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ۝١١﴾[سورة الشورى]، فكلّ من اعتقد أنه تعالى حلّ في مكان أو اتصل به أو بشيء من الحوادث كالعرش أو الكرسي أو السماء أو الأرض أو غير ذلك فهو كافر قطعًا، ويبطل جميع عمله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك وتبين منه زوجه ووجب عليه أن يتوب فورًا، وإذا مات على هذا الاعتقاد والعياذ بالله تعالى

لا يغسل[1] ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين[2]، ومثله في ذلك كله من صدّقه في اعتقاده أعاذنا الله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. وأما حمله الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد المكفر، وقوله لهم: من لم يعتقد ذلك يكون كافرًا، **فهو كفر وبهتان عظيم**».

ونقل رحمه الله[3] عن الإمام عماد الدين الكندي أنه نص على أن الله تعالى يستحيل عليه الحلول في الأماكن أو اتصاله بالأجسام أو مقابلته لها أو تحيزه في جهة لأن ذلك كله من صفات الحوادث، فمن اعتقد أنه تعالى حل في عرش أو سماء أو حاذى شيئًا من مخلوقاته أو حلّ في أي جهة من الجهات الست **كفر بإجماع العاقلين**.

٢٣) ويقول علاء الدين البخاري بعد كلام عن مسألة لازم المذهب[4]: «فإذًا يكون القول بأنّ الله متمكن على العرش متحيز فيه، وأنّه في جهة الفوق قولًا بأنّه جسم لأن الجسمية من اللّوازم العقلية للمتحيز ولذي الجهة، ومن قال بأنّ الله جسم فهو كافر إجماعًا. ولهذا قال إمام الحرمين في الإرشاد: إثبات الجهة لله كفر صراح».

---

(١) أي لا يجب غسله.

(٢) أي لا تجوز الصّلاة عليه ولا يجوز دفنه في مقابر المسلمين.

(٣) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص١٢٥).

(٤) **ملجمة المجسمة**، علاء الدين البخاري، (ص٦١).

٢٤) قال الشيخ الكوثري ما نصه(١): «إنّ القول بإثبات الجهة له تعالى **كفر عند الأئمة الأربعة هداة الأمة** كما نقل عنهم العراقي على ما في «شرح المشكاة» لعلي القاري».

٢٥) قال الشيخ أحمد بالعيت الوقراوي **محتجًّا** بكلام السبكي ما نصه(٢): «فتوى شيخ الأزهر السبكي: الحمد لله رب العالمين المنزه عن صفات المخلوقين كالجهة والجسمية والمكان والفوقية، والصلاة والسلام على سيدنا **محمد** الذي جاء بمحو الشرك والإلحاد وأمرنا بتنزيه الله تعالى عن صفات العباد والمنزل عليه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص] وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى] وعلى ءاله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. أما بعد، فيقول **محمود** بن **محمد** بن أحمد السبكي: قد سألني بعض الراغبين في معرفة ـ عقيدة ـ الدين، والوقوف على مذهب السلف والخلف في المتشابه من الآيات والأحاديث بما نصه: «ما قول السادة العلماء حفظهم الله تعالى فيمن يعتقد أن الله عز وجل له جهة وأنه جالس على العرش في مكان **مخصوص**. فأجبت بعون الله تعالى. **فالحكم أنَّ هذا الاعتقاد باطل ومعتقده كافر بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين**. والدليل العقلي على ذلك: قدم الله تعالى **ومخالفته**

---

(١) **مقالات الكوثري**، الكوثري، (ص٣٢١).

(٢) **مختصر التيسير في تحكيم أهل التفسير**، أحمد الوقراوي، (ص٢٩،٣٢).

للحوادث. والنقلي قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ [سورة الشورى] فكل من اعتقد أنه تعالى حلّ في مكان أو اتصل به أو بشيء من الحوادث كالعرش أو الكرسي أو السماء أو الأرض أو غير ذلك فهو كافر قطعًا ويبطل جميع عمله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك، وتبين منه زوجته ووجب أن يتوب فورًا ـ بنطقه بالشهادتين للدخول في دين الإسلام ـ وإذا مات على هذا الاعتقاد لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ومثله من صدقه في اعتقاده أعاذنا الله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا».

خاتمة الكتاب

بالعلمِ تنكشف الحقائق، بالعلم تعرف المحق من المبطل، بالعلم تعرف من هم أهل السنَّة ومن ليسوا من أهل السنة، بالعلم ونعني به القرءان والحديث وإجماع العلماء الفضلاءِ علماءِ أهل السنة الصادقين الأشاعرةِ والماتريدية، فها هو هنا كتابنا يرد على من سبق ذكرهم بالعلم والحجج السمعية والعقلية ولم نأتِ بجديد ولم نأتِ بحكمٍ أو قولٍ خارجٍ عن الدين، ولم نغيِّر ولم نحرِّف كما فعلت المشبهة الذين بدلوا في الدين وغيَّروا بل نقلنا ما ورد في الدين ودعونا إلى الفلاح والنجاح فكما أنك بالعلم تعرف كيف تطبق العبادات من صلاة وصيامٍ وزكاة كذلك بالعلم تعرف كيف تواجه أعداء الدين وترد عليهم، والعلمُ هو سبيلُ التقوى ومن رزقه الله العلم فليحمد الله على هذا فهو من أعظمِ النعم التي ينعمها الله على الإنسان، بالعلم الصحيح المتين تجد لذة فهو مشدود لا تعارض ولا تناقض فيه، بهذا العلم تعرف التوحيد الذي فيه نجاتك في الآخرة لأنه لا فلاح ولا نجاة لمن لم يعرف التوحيد لمن لم يعرف الله ورسوله وآمن بكل ما جاء به النبي عن الله، فعلم التوحيد أجل العلوم ألم تسمع بالعنوان الذي عنون به البخاري في صحيحه فقال «باب: العلم قبل القول والعمل» فالعلم يسبق القول والعلم يسبق العمل والعلم حياة القلوب بدون العلم لا حياة للقلوب، وكما قال إمامنا الهرري: «علم الدين حياة الإسلامِ» علم الدين هو السبيل إلى المعالي والمكارمِ، علم الدين هو

الذي ينفع في الدنيا والآخرة، وفي الختام أنصح نفسي وإياكم إخواني القرَّاء الأعزَّاءِ بالمداومة على حضور مجالس علمِ الدين عند علماء أهل السنة والجماعة وأهل السنة هم بمئات الملايين ولله الحمد، زادنا الله وإياكم علمًا وفقّهًا في الدين فإنَّ الفقه والعلمَ في الدين هو النور الذي تنكشف به الحقائق.

بيان أهمية علم التوحيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد طه الأمين وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضدَّ ولا ندَّ ولا زوجة ولا ولد له، ولا شبيه ولا مثيل له، ولا جسم ولا حجم ولا جسد ولا جثة له، ولا صورة ولا أعضاء ولا كيفية ولا كمية له، ولا أين ولا جهة ولا حيز ولا مكان له، كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ ٧٤﴾ ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ ٦٠﴾ تنزه ربي عن الجلوس والقعود، وعن الحركة والسكون، وعن الاتصال والانفصال، لا يحل فيه شيء، ولا ينحل منه شيء، ولا يحل هو في شيء لأنه ليس كمثله شيء، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر. وأشهد أنَّ حبيبنا وعظيمنا وقائدنا وقرة أعيننا محمّدًا عبده ورسوله، ونبيه وصفيه وحبيبه وخليله ﷺ وعلى كلِّ رسول أرسله. الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا حبيب الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا عظيم الجاه، ضاقت حيلتنا وأنت وسيلتنا، أدركنا وأغثنا وأنقذنا بإذن الله يا رسول الله، أما بعد عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله في السرِّ والعلن، ألا فاتقوه وخافوه، يقول الله عزَّ وجلَّ في القرءان الكريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ ويقول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ

﴿٢٥﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴿١٦٣﴾﴾ وقال تقدست أسماؤه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ وقد بوَّب البخاري رحمه الله تعالى وعنوَنَ في صحيحه لهذه الآية فقال: باب العلم قبل العلم والعمل، وفي هذه الآية قدَّم القرءانُ الأصلَ على الفرع، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿١٩﴾﴾ فالإيمان والتوحيد أصل وأساس وهو الحصن الحصين والركن الركين الذي بدونه لا يقبل العمل الصالح، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال إيمانٌ بالله ورسوله**»، وهذه الأفضلية المطلقة، فأفضل الأعمال على الإطلاق الإيمان بالله ورسوله، فهو أفضل من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وأفضل من قراءة القرءان والصدقات والذكر، وذلك لأنَّ الإيمان شرطٌ أساسٌ لا بدّ منه لقبول الأعمال الصالحة، وقد قال ربنا في القرءان الكريم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٢٧٧﴾﴾ فالإيمان أولًا، وفي ءايةٍ أخرى قال ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ ﴿٩﴾﴾ وقال ﷺ: «**أفضل الأعمال إيمانٌ لا شكَّ فيه**»، فإذا دخل عليه الشكُّ أفسده وأبطله، فلا يعود ولا يبقى الإنسان مؤمنًا إن شكَّ في وجود الله تعالى أو في صدق الرسول ﷺ أو في حَقِّيَّة الإسلام، أو شكَّ في تنزيه الله، فهذا لا يكون من المسلمين، لذلك قال ربنا في صفة المؤمنين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴿١٥﴾﴾ أي لم يشكوا لأنَّ الإيمان إذا دخل عليه الشك أفسده؛ من هنا كان الواجب والفرض

اللازم المؤكد الأول الإيمان بالله ورسوله، وهذا منهجٌ نبويٌّ وليس منهجًا مستحدثًا اليوم، وليس فكرةً ابتدعناها من عند أنفسنا وأخرجناها من جيوبنا، إنما هذا هو المنهج الذي جاء به محمد وعلَّمه ﷺ لصحابته وأمته.

وقد ثبتَ في الصحيح أنَّ أهل اليمن جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا له: «يا رسول الله، جئناك لنتفقه في الدين، فأنبئنا عن بدء هذا الأمر ما كان»، فكان سؤالهم عن أول المخلوقات، أي عن أول هذا العالم وجودًا، وهو سؤالٌ مهم، إلا أن رسول الله ﷺ أجابهم عما هو أهم، أجابهم عن الأولى فقال ﷺ: «**كان الله ولم يكن شىء غيره**»، أي في الأزل لم يكن إلا الله، لا سماء ولا أرض ولا هواء ولا ماء ولا عرش ولا فرش، لا خلاء ولا ملاء، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ٣﴾، فعلمهم الرسول ﷺ ذلك وأكده عليهم مع أنهم يعتقدونه لأنهم كانوا من المسلمين ويعرفون التنزيه، مع هذا علَّمَنا المنهج، سألوا عن مهم فأجابهم عن أهم. وقوله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شىء غيره**» يعني أن الله أزلي، أي أن الله لا مكان له فلا يسكن السماء ولا يجلس على العرش، ليس في جهةٍ واحدةٍ ولا في كل الجهات، فهو تعالى لا يحتاج إلى الأماكن أزلًا وأبدًا، هذا هو المنهج النبوي، وهذا تعليم الرسول ﷺ للأمة. ثم قال ﷺ: «**وكان عرشه على الماء**»، أي أنَّ الماء هو أول العالم حدوثًا ووجودًا، ثم بعد ذلك خُلِقَ العرشُ.

وانظر أخي القارئ إلى ما قاله حذيفة رضي الله عنه وأرضاه: «إنا قومٌ أوتينا الإيمان قبل أن نؤتى القرءان»، رواه البيهقي في السنن الكبرى

وسعيد بن منصور في سننه. وقال سيدنا جندب بن عبد الله رضي الله عنه: «كنا غلمان حزاورة مع رسول الله فيعلمنا الإيمان قبل القرءان ثم يعلمنا القرءان فازددنا به إيمانًا»، رواه البخاري في التاريخ الكبير وابن ماجه في سننه والبيهقي في السنن الكبرى والبوصيري في زوائد ابن ماجه وقال: «إسناده صحيح». هذا هو المنهج النبوي الصحيح.

ورُوي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كنا نتعلم التوحيد قبل أن نتعلم القرءان، وأنتم الآن تتعلمون القرءان ثم تتعلمون التوحيد»، وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه هذا كان خطابًا للذين كانوا في زمانه، فكيف بكثير من أهل زماننا اليوم الذين أعرضوا عن تعلم علم التوحيد والعقيدة، وهذا هلاك كبير. وفي قوله رضي الله عنه «كنا» يشير إلى نفسه وإلى غيره من الصحابة، وفيه إشارةٌ إلى أن الصواب هو ما كانوا عليه، فهذا تأكيد منه رضي الله عنه على أهمية علم التوحيد.

وانظر رحمك الله إلى ما صنفه التابعي الجليل الإمام العظيم أبو حنيفة النعمان رضي عنه من رسائل في هذا العلم الشريف، فقد ألَّف في علم التوحيد خمس رسائلَ، وقال في كتابه الفقه الأبسط: «الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام»، يعني أن تتعلم أصول العقيدة أفضل من تعلم الأحكام الفرعية. وهذا الإمام أبو حنيفة بلغ درجة الاجتهاد المطلق، ثم إنه كان تلميذ الصحابة، وأخذ العلمَ عن قريب المائة تابعي، فتأمل.

فهذا ما جاء في القرءان وما جاء في الحديث وما ورد عن الصحابة والتابعين. وقد سلك العلماء بعد التابعين مسلك من قبلهم، فانظر إلى

ما جاء في كتاب «الفتاوى البزازية» أو الجامع الوجيز في مذهب أبي حنيفة للعلامة محمد بن محمد شهاب الدين يوسف الكردي البزازي الذي كان من علماء القرن التاسع الهجري، فقد قال رحمه الله: «تعليم صفة الخالق مولانا جلَّ جلاله للناس وبيان خصائص مذهب أهل السنة والجماعة من أهم الأمور، وعلى الذين تصدروا للوعظ أن يلقنوا الناس في مجالسهم وعلى منابرهم ذلك، هذا الأصل في المجالس وعلى المنابر، هذا الأصل». وانظروا إلى ما قاله الفقيه الشافعي أبو حامد الغزالي في كتابه قواعد العقائد بعد أن تكلم عن مبحث الصفات والعقيدة والتنزيه والتوحيد: «اعلم أنَّ ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم للصبي في أول نشأته ليحفظه حفظًا»، والصبي هو من كان دون البلوغ.

فأين الذين ينتقدون أهل الحق ويعترضون عليهم في تكرارهم لأمور العقيدة من هذا الكلام؟ عمَّ الجهل وطمَّ وانتشر الفساد، وصار أهل السنة والجماعة كاليتيم الذي لا كافل له، فتخيل أخي القارئ يتيمًا لا كافلَ له كيف يكون حاله وأمره.

ومن مسائل علم العقيدة معرفة صفات الله تعالى الواجبة له إجماعًا وهي الصفات الثلاث عشرة التي لطالما تكرَّر ذكرها في مصنفات العلماء، ولما تكرَّر ذكرها في القرءان والحديث ونصوص العلماء قال العلماء: «يجب معرفتها وجوبًا عينيًّا» على كل مكلف، والوجوب في هذه المسألة هو معرفة معناها لا أن تُحفظ عين الألفاظ، وهذا سهل - أي اعتقاد المعنى - فهذا فرضٌ على كل مكلفٍ، وممن ذكر ذلك أبو حنيفة الذي

هو من أئمة السلف وممن بعده السنوسي، وكذلك محمد الفضالي الشافعي وعبد المجيد الشرنوبي المالكي، وكذلك جمال الدين الخوارزمي، ومحيي الدين النووي في كتابه المقاصد، ومفتي لبنان الأسبق الشيخ عبد الباسط بن علي الفاخوري في كتابه الكفاية لذوي العناية وغيرهم من العلماء.

وصفات الله الثلاث عشرة الواجبة له إجماعًا هي:

الوجود: فالله تعالى يستحيل عليه تعالى العدم، موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا جهة ولا مكان، ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ١٠﴾أي لا شكَّ في وجوده سبحانه، ووجوده تعالى أزلي أبدي ليس كوجودنا الحادث، فوجودنا بإيجاد الله لنا.

الوحدانية، أي أنَّ الله تعالى واحدٌ لا شريك له، فهو تعالى واحدٌ في ذاته وصفاته وفعله؛ قال عزَّ من قائل﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾.

القيام بالنفس: أي أنه تعالى مستغنٍ عن كلِّ ماسواه، وكلُّ ما سواه محتاج إليه، فالعالم بما فيه لا يستغني عن الله طرفة عين، قال عزَّ وجلَّ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾

القِدَم: بكسر القاف وفتح الدال، أي الأزلية، أي أنَّ الله تعالى لا ابتداء لوجوده، فيستحيل عليه تعالى الحدوث؛ قال تعالى ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ ٣﴾

البقاء: أي أنَّ الله تعالى لا نهاية لوجوده، لا يفنى ولا يبيد ولا يهلك ولا يزول فيستحيل عليه الفناء، قال جلَّ جلاله ﴿وَٱلۡأٓخِرُ ٣﴾.

القدرة: وهي صفة أزليةٌ أبدية يؤثر الله بها في الممكنات، فيستحيل عليه تعالى العجز، قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾

الإرادة: أي المشيئة، وهي تخصيص الممكن العقلي ببعض ما يجوز عليه دون بعض وبصفةٍ دون أخرى، فيستحيل حصول شيء خلاف مشيئته تعالى، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٩﴾

السمع: فالله تعالى يسمع كلَّ المسموعات بدون أذن ولا ءالةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى الصمم، قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ١١﴾

البصر: فالله تعالى يرى جميع المرئيات بدون حدقةٍ ولا ءالةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى العمى، قال تعالى. ﴿ٱلْبَصِيرُ ١١﴾.

الكلام: أي أنَّ الله متكلم بكلام ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، وما نجده في القرءان من ألفاظٍ عربيةٍ إنما هو عبارةٌ عن كلام الله الذاتي الأزلي وليس عين الصفة القائمة بذاته الكريم، قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ١٦٤﴾

الحياة: فالله تعالى حيٌّ يستحيل عليه تعالى الموت، وحياته ليست بروح ودم وعصب، قال تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ٢٥٥﴾

العلم: أي أنَّ الله تعالى عالمٌ بكل شيء، فهو تعالى يعلم الممكن ممكنًا والمستحيل مستحيلًا والواجب واجبًا، فيستحيل عليه تعالى الجهل، قال عزَّ من قائل ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٢٩﴾. وعلمه تعالى أزليٌّ أبدي لا يزيد ولا ينقص ولا يتجدد.

المخالفة للحوادث: أي أنَّ الله تعالى لا يشبه شيئًا من كلِّ مخلوقاته بالمرة ولا بأي وجهٍ من الوجوه، ولا بأيِّ صفةٍ من الصفات، يقول الله تعالى

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

هذه عقيدة كل المسلمين، عقيدة جميع الأنبياء والرسل، عقيدة الصحابة، وعقيدة السلف والخلف، فمن شكَّ أو توقَّف أو أنكر صفةً من صفات الله فهو كافرٌ بالله تعالى كما ذكر ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه، وقال سيدنا عليٌّ رضي الله عنه: «من زعم أنَّ إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود»، ومن جهل الله كان كافرًا به. وقد قال سيدنا علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري: «الجهل بالله كفر به»، فالذي ينسب لله الحدَّ صغيرًا كان أم كبيرًا أو ينسب لله الكمية أو الجسم أو الشكل أو الصورة أو الهيئة ليس مسلمًا. وقد نقل الإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي أبو منصور في كتابه تفسير الأسماء والصفات الإجماع على كفر المجسمة وعلى كفر القدرية الذين يكذبون بالقدر.

وبعد كلِّ ما نقلناه من ءاياتٍ قرءانية وأحاديث نبويةٍ وأقوالٍ للعلماء كيف يسعنا السكوت عن تعليم الناس أمور دينهم أو أن نقصِّر في نشر علم التوحيد والتنزيه الذي هو الأصل والأساس.

وأختم بما قاله الرازي في كتابه مناقب الشافعي، قال رحمه الله: «من أنكر وذمَّ وأبغض علم الكلام ـ يعني أصول العقيدة ـ فهو كافر»، وهذا نصٌّ صريحٌ من الإمام الرازي في تكفيره، بل وزاد قائلًا: «كافر لا يعرفُ اللهَ ولا يعرف الرسولَ ولا اليوم الآخر، وهو على دين ءازر» أي مشرك

بالله، فهاك ما قاله الرازي فيمن يذم علم التوحيد علم العقيدة والتنزيه، فلا تلتفتوا إلى الغوغاء الأراجيف الذين يهولون الأمر ويقولون: «لا تتكلموا في التوحيد، لا تتكلموا في العقيدة، العلماء ذموا علم الكلام»، قولوا لهم: كذبتم، العلماء ذموا المعتزلة والمجسمة والقدرية والمرجئة وأهل الأهواء، أما علم التوحيد فقد قال فيه الشافعي: «أحكمنا ذلك قبل هذا»، أي أتقن علم التوحيد قبل علم الفقه والفروع. هذا الشافعي وهذا أبو حنيفة وهذا حذيفة وهذا جندب وهذا عبد الله بن عمر وهذه الأحاديث وهذا الإجماع الذي نقله العلماء على أهمية تعلم علمِ العقيدةِ علمِ الكلام الذي اشتغل به علماء أهل السنة والجماعة، فماذا يريد المعارضون بعد ذلك؟

تمكنوا في علم التوحيد، تمكنوا في علم العقيدة، فإنَّ من لم يعرف التنزيه والتوحيد لم يعرف الله، ومن لم يعرف الله ليس من المسلمين، ومن لم يكن مسلمًا لا تصحُّ منه صلاة ولا صيام ولا حج، ومن مات على غير الإسلام فإنه يخلد في النار، اللّٰهُمَّ إنّا نسألك العفو والعافية في الدّين والدّنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على أشرف المرسلين سيدنا محمدٍ ومن اتّبعه بإحسان إلى يوم الدّين.

مِن ءاثارِ الشيخ الدكتور جميل حليم

١. بحر الدلائل والأسرار في التبرك بآثار المصطفى المختار.
٢. أسرار الآثار النبوية، أدلة شرعية وحالات شفائية.
٣. لُباب النُقول في تأويل حديث النزول.
٤. النجوم السارية في اضطراب وبطلان الاحتجاج بحديث الجارية.
٥. عمدة الكلام في أدلة جواز التبرك والتوسل بخير الأنام.
٦. التشرف بذكر أهل التصوف.
٧. فصل الكلام في أن إحراق النفس وإجهاض الجنين الحي وما يسمى بتأجير الأرحام إثم وحرام.
٨. الحجج النيرات في إثبات تصرف النبي والولي بعد الممات.
٩. الفرقان في تصحيح ما حُرّف تفسيره من آيات القرءان الجزء الأول.
١٠. الفرقان في تصحيح ما حُرّف تفسيره من آيات القرءان الجزء الثاني.
١١. القواعد القرءانية في تنزيه الله عن الشكل والصورة والكيفية.
١٢. البرهان المبيّن في ضوابط تكفير المعيّن.

١٣. نقل الإجماع الحاسم في بيان حكم الجهوي والمجسم.
١٤. نيل المرام في بيان الوارد في حكم ما جاء في اللحم والشحم من الأحكام.
١٥. قرة العينين في تربية الأولاد وبر الوالدين.
١٦. لطائف التنبيهات على بعض ما في كتب الحديث من الروايات.
١٧. التعليق المفيد على شرح جوهرة التوحيد.
١٨. القمر الساري لإيضاح غريب صحيح البخاري.
١٩. الشهد المذاب من زهر المحبة بين الآل والأصحاب.
٢٠. الارتواء من أخبار عاشوراء، ودمع العين على استشهاد الإمام الحسين.
٢١. البركان الجارف لشرح المجسم ابن أبي العز التالف.
٢٢. مريم والمسيح في نص القرءان الصريح.
٢٣. جامع الرسائل الإيمانية في بيان العقيدة الإسلامية.
٢٤. طالعة الأقمار من سيرة سيد الأبرار.
٢٥. لآلئ الكنوز في إباحة الرقية وحمل الحروز.
٢٦. حقيقة التصوف الإسلامي.
٢٧. البيان والتوضيح في أن قول النبي في معاوية «لا أشبع الله بطنه» ليس منقبة له ولا فضيلة بل دعاء عليه وذم صريح.
٢٨. جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي.
٢٩. المجد والمعالي في أسانيد الشيخ جميل حليم الغوالي وهو الثبت

الكبير.

٣٠. السهم السديد في ضلالة تقسيم التوحيد.

٣١. الكوكب المنير في جواز الاحتفال بمولد الهادي البشير.

٣٢. زهر الجنان في جواز الاحتفال بليلة النصف من شعبان.

٣٣. إتحاف المسلم بإيضاح متشابهات صحيح مسلم (أربعة أجزاء).

٣٤. الدرر السلطانية والفوائد الإيمانية من فيض بحر السلطان الحبشي خادم السنة النبوية.

٣٥. جواهر الأئمة في تفسير جزء عم.

٣٦. المنهج المبارك في تفسير جزء تبارك.

٣٧. السقوط الكبير المدوي للمجسم ابن تيمية الحراني.

٣٨. المدد القدسي في فضل وتفسير آية الكرسي.

٣٩. قلائد الأمة المرصعة بعقيدة الأئمة الأربعة.

٤٠. تحقيق وتعليق على متن الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان.

٤١. لوامع الأهلة والنجم في جوامع أدلة الرجم.

٤٢. ضياء القمرين في نجاةِ والدَي الرَّسولِ ﷺ الشَّريفيْن.

٤٣. الطريقُ النوراني بشرح عقيدة الحافظ ابن حجر العسقلاني.

٤٤. الصراط المستقيم بشرح عقيدة القشيري عبد الكريم.

٤٥. درب السلامة في فوائد وإرشادات العلّامة أو سمعت الشيخ يقول.

٤٦. إسعاد الأرواح والقلوب بتبرئة نبي الله أيوب.

٤٧. شيخنا القائد الكرّار الشهيد الحلبي نزار.
٤٨. تحقيق وتعليق على مختصر سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه العشرة للمقدسيّ.
٤٩. الفوائد الهررية على العقيدة السنوسية.
٥٠. النجم الأظهر في شرح الفقه الأكبر.
٥١. البحر الجامع لمناقب القطب الرفاعي اللامع.
٥٢. معجم أهل الإيمان في تنزيه الله عن الجسمية والكيفية والمكان.
٥٣. إجماع أهل التنزيل على إثبات حقيَّة التأويل.
٥٤. إجماع أهل الحق والفضيلة على جواز التوسّل والوسيلة.
٥٥. إسعاف فضلاء البشر بأدلة جواز التبرك من الكتاب والسنة والأثر.
٥٦. البوارق الإيمانية في إثبات أدلة الصوفيّة.
٥٧. رسول الله كأنك تنظر إليه وتراه.
٥٨. معجم الأصول الجامع لمتون عقيدة الرسول.
٥٩. الشرح الكبير لعقائد الإسلام المنير.
٦٠. شرح المقدمة الحضرمية المسمّى النفحات المسكية في فقه السادة الشافعية.
٦١. السرور والابتهاج في مزارات المعتمرين والحجاج.
٦٢. النفحات الأشعرية على الخريدة البهية.
٦٣. الشذا العاطر في شرح عقيدة ابن عاشر.

٦٤. نيل البشارة بشرح عقيدة الرسالة رسالة ابن أبي زيد القيرواني.
٦٥. إسعاد النبلاء بمعرفة أحكام وأخبار النساء.
٦٦. تحقيق وتعليق على متن جوهرة التوحيد للفقيه إبراهيم اللقاني.
٦٧. الشرح الفريد لجوهرة التوحيد.
٦٨. تسهيل المعاني إلى جوهرة اللقاني.
٦٩. تحقيق وتعليق على متن الأدب المفرد.
٧٠. الشرح الوافي الأَسَدّ على كتاب الأدب المفرد.
٧١. بدر التمام في فضل أهل البيت الكرام ويليه إحياء الميت بفضائل أهل البيت.
٧٢. الإنفاق في سبيل الله تجارة رابحةٌ.
٧٣. عقيدة المسلمين من رسالة ابن أبي زيد القيرواني ويليه إجابة القاصي والداني بحل ألفاظ عقيدة القيرواني.
٧٤. تحذير الأخيار من التشبه بالكفار والفجار.
٧٥. إضاءة المنارة على صحة أو حسن حديث الزيارة.
٧٦. الأدلة المنيفة في نفي الكفر عن أبي حنيفة.
٧٧. تحفة الأبرار في هجرة المختار.
٧٨. إدراك الأماني بشرح بدء الأمالي.
٧٩. شرح الصدر في إثبات عذاب القبر.
٨٠. الردُّ العلمي على ضلالات محمد راتب النابلسي.
٨١. تحذير الأمة من الطاعنين في النبيِّ والسُّنَّة.

٨٢. إفادة الأنام بشرح عقيدة العوام.

٨٣. التفسير الأسمى لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾.

٨٤. الجداول المرضية في العقائد الإيمانية.

٨٥. تنبيه الأحياء على بعض ما في كتاب الإحياء،

٨٦. الشموس المكلّلة فيما تلقيته من الأحاديث المسلسلة.

٨٧. المورد المعين الجامع لكتب الأربعين.

٨٨. إرشاد الأنام بشرح وصايا أبي حنيفة الإمام.

٨٩. طريق الجنة في شرح إضاءة الدُّجُنَّة.

٩٠. منظومة إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة.

٩١. الإقناع ببيان حُجّية الإجماع.

٩٢. بزوغ الشموس في بطلان حديث الجلوس.

٩٣. تحقيق وتعليق على رسائل مفتي الحبشة العلامة الشيخ محمد سراج الجبرتي الآنّي.

٩٤. تحقيق وتعليق على رسائل المحدِّث محمد سراج الجبرتي الآنّي ابن المفتي.

٩٥. الحواشي الحليميّة في الفقه والمعاني والعقيدة على مُسند الطّيالسيّ.

٩٦. تحقيق وتعليق على رسالة استِحسان الخَوض في عِلم الكلام للإمام الأشعريّ.

٩٧. تحقيق وتعليق على شرح محمَّد السَّكُونيّ على العَقيدة المُرشِدة لابن تُومَرت.

٩٨. تحقيق وتعليق على شرح أحمد زَرُّوق على العَقيدة المُرشِدة.

٩٩. تحقيق وتعليق على شرح ابنِ النَّقّاش على العَقيدة المُرشِدة.

١٠٠. تحقيق وتعليق على شرح عبدِ الغنيّ النابُلسيّ على العَقيدة المُرشِدة.

١٠١. الإبداع في معاني خطبة الوداع.

١٠٢. الرشحاتُ العنبريةُ في فضلِ وعقيدةِ إمام النقشبنديِّة.

١٠٣. السيوف والأسنَّة في الدفعِ عن الأشاعرة أهل السنَّة.

١٠٤. الحقائق السَنِيَّة في معاني اصطلاحات الصوفية.

١٠٥. الأعطار الفائحة في فضل وتفسير سورة الفاتحة.

١٠٦. المقاصد العلية بشرح نظم العقائد النسفي.

١٠٧. الكشف الجلي لحقيقة المشبهة ابن بطة وابن عبد البر والذهبي، وهو هذا الكتاب.

فهرست المصادر والمراجع

- **الإبانة الكبرى**، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، دار الراية، الرياض.
- **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدّين**، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى.
- **إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات ورد شبه الملحدة والمجسمة وما يعتقدونه من المفتريات**، محمود محمد خطاب السبكي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٠هـ.
- الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية، أحمد بن عبد الرحيم العراقي.
- **الأحاديث المرفوعة والموقوفة في كتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدَّمِيري من بداية حرف «التاء» إلى نهاية حرف «الجيم» تخريجا ودراسة (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير)**، إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن المديهش، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣١هـ.
- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد كتاب في علم التوحيد**، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني.
- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري أبو العباس شهاب الدين، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣هـ.

- **الاستذكار،** أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- **الأسماء والصفات،** أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي، مكتبة السوادي، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- **الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية،** جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.
- **إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية،** عبد الله بن محمد الهرري، دار المشاريع، بيروت.
- المسمى **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد،** صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.
- **اعتقاد الإمام المبجل ابن حنبل،** الشيخ عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي.
- **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث،** أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- **الأعلام،** خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

- **الإعلام بقواطع الإسلام**، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، أبو العباس، دار التقوى، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
- **إِكمال المُعْلِمِ بفوائد مسلم**، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **إلجام العوام عن علم الكلام**، أبو حامد الغزالي.
- **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، أبو بكر الباقلاني.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي بدر الدين، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- **الباز الأشهب المنقض على مخالفي المذهب**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن عبد الله بن حماد الجوزي.
- **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- **البرهان في علوم القرآن**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.

- **بهجه النفوس وتحليها بمعرفه مالها وعليها**، ابن أبي جمره عبد الله بن سعد.
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- **تاريخ بغداد وذيوله**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- **تأنيب الخطيب على ماساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب**، محمد زاهد بن حسن الكوثري، دار الكتاب العربي.
- **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- **التبصير في معالم الدين**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- **التحذير الشرعي الواجب**، عبد الله الهرري، دار المشاريع، بيروت، الطبعة الثالقة، ١٤٣٠هـ.
- **التذكار في أفضل الأذكار**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي.

- **التعاون على النهي عن المنكر**، عبد الله الهرري، شركة دار المشاريع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.
- **تفسير الأسماء والصفات**، أبو منصور البغدادي، مكتبة راشد أفندي، أنقرة.
- **تفسير الجلالين**، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى.
- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- **التقرير والتحبير**، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- **تلخيص الأدلة لقواعد أهل السنة**، أبو إسحاق الصفار.
- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

- **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٩ر.
- **تهذيب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
- **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- **التيسير بشرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
- **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- **الجامع لأحكام القرءان** = **تفسير القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.
- **الحاوي للفتاوي**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- **الحدود الكلامية والفقهية على رأي أهل السنة الأشعرية**، أبو بكر محمد ابن سابق الصقلي.

- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ.
- **خلق أفعال العباد**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، دار المعارف السعودية، الرياض.
- **الدرة المضية في الرد على ابن تيمية**، تقي الدين السبكي، مطبعة الترقي، دمشق.
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، دار القلم، دمشق.
- **الدر المنثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.
- **دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه**، عبد الرحمن بن علي الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- **دفع شبه من شبه وتمرد**، تقي الدين أبي بكر الحصني الدمشقي.
- **رد المحتار على الدر المختار**، ابن عابدين محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- **الرسائل الشخصية**، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، جامعة محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- **الرسالة النظامية**، إمام الحرمين ركن الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني.
- **الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات**، عثمان ابن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني.
- **الرفع والتكميل في الجرح والتعديل**، محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي أبو الحسنات، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، عمان، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ.
- **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري أبو العباس، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- **السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير**، الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي.
- **سلسلة الدراسات العقدية عدد ٢**، أحمد نور سيف.
- **السلف والخلف بين التنزيه والتشبيه**، عبد الرحمن المراكبي.
- **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد ابن عمرو الأزدي السَّجِسْتاني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

- **سنن الترمذي،** محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي أبو عيسى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.
- **السنن الصغرى للنسائي،** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- **شرح الإرشاد (مخطوط)،** أبو القاسم سلمان بن ناصر بن عمران النيسابوري الأنصاري.
- **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك،** محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- **شرح السنة،** محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن،** شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

- **شرح عقيدة مالك الصغير**، عبد الوهاب البغدادي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ.
- **الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم**، عبد الله بن محمد الهرري، دار المشاريع، بيروت.
- **شرح لمع الادلة فى قواعد عقائد أهل السنة**، شرف الدين بن التلمساني.
- **شرح معالم أصول الدين**، شرف الدين بن التلمساني.
- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء**، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الفكر، ١٤٠٩هـ.
- **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **طبقات الحنابلة**، أبو الحسين بن أبي يعلى محمد بن محمد، دار المعرفة، بيروت.
- **طبقات الشافعية الكبرى**، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، هجر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

- **طرح التثريب في شرح التقريب**، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، أكمله ابنه أحمد ابن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري أبو زرعة ولي الدين، دار إحياء التراث العربي.
- **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، أبو بكر بن العربي المالكي.
- **العرش**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
- المسمى **العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى ابن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس بن أبي أصيبعة، دار مكتبة الحياة، بيروت.

- **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- **الغنية في أصول الدين**، أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري المتولي، بيروت، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية.
- **الغيث الهامع شرح جمع الجوامع**، ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ر.
- **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، عبد القاهر بن طاهر بن محمد ابن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني أبو منصور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧ر.
- **الفقيه و المتفقه**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
- **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، أحمد شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف ابن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.
- **قواعد العقائد**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
- **كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار**، تقي الدين الحصني، دار الخير، دمشق، ١٩٩٤هـ.
- **كفاية النبيه في شرح التنبيه**، أحمد بن محمد بن علي الأنصاري أبو العباس نجم الدي، المعروف بابن الرفعة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
- المسمى **كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين**، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- **لسان الميزان**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.

- **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة.
- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
- **مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري**، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك.
- **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، محمد بن حبان بن أحمد ابن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.
- **مجموع الفتاوى**، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **مختصر التيسير في تحكيم أهل التفسير**، أحمد محمد بالعيت الوقراوي، مجمع ابن عمر الإسلامي، القضارف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

- المسمى **مختصر العلو للعلي العظيم**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، بنارس الهند، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **مسائل لخصها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من كلام بن تيمية**، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، جامعة محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

- **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ.
- **معجم البلدان**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- **معين السائلين من فضل رب العلمين**، أبو الحسن علي النوري الصفاقصي.
- **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- **مقالات الكوثريّ**، محمّد زاهد بن الحسن بن عليّ الكوثريّ الحنفيّ، دار الأحناف، الرياض.
- **ملجمة المجسمة**، أبو عبد الله علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخاري الحنفي، دار الذخائر، بيروت، لبنان.
- **الملل والنحل**، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي.
- **مناقب الإمام الشافعي**، فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين.

- **مناقب الشافعي**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- **المنهاج القويم**، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري.
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ.
- **النشر في القراءات العشر**، شمس الدين أبو الخير بن الجزري محمد بن محمد بن يوسف، المطبعة التجارية الكبرى.
- **النكت في القرآن الكريم**، علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني أبو الحسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.\
- المسمى **هذه مفاهيمنا**، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي، دار صادر، بيروت.

فهرست الموضوعات

التوطِئة: الميزان في بيانِ عقيدة أهل الإيمان ١
نُبْذَة تعريفِيَّة عن حياةِ الشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم ٧
نَسَبُ الشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ٢٨
تنبيه مهم ٢٩
مقدمة الكتاب ٣٠
البَابُ الأَوَّل: الأَمرُ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيُ عَنِ المُنْكَر ٣٣
المبحث الأول: وجوب التحذير الشرعي........................٣٤
المبحث الثاني: كيفَ يُثنَى على من أضلَّهُ الله؟..................٣٩
البَابُ الثَّانِي: التَّحذِيرُ مِنِ ابنِ بَطَّةَ ٥٠
المبحث الأول: ترجمة ابن بطة................................. ٥١
المبحث الثاني: أقوال أهل السنة في ابن بطّة ٥٢
المبحث الثالث: أقوال المبتدعة في ابن بطَّة ٥٩
المبحث الرابع: مخالفات ابن بطة لعقيدة أهل السنة والجماعة ٦٦
البَابُ الثَّالِث: التَّحذِيرُ مِنِ ابنِ عَبدِ البَرّ...................... ٧٣
المبحث الأول: ترجمة ابن عبد البر ٧٤
المبحث الثاني: أقوال أهل السنة في ابن عبد البر ٧٥

المبحث الثالث: مخالفات ابن عبد البر لعقيدة أهل السنة والجماعة ٧٨
البَابُ الرَّابع: التَّحذِيرُ مِنَ الذَّهَبِيّ ٨٤
المبحث الأول: ترجمة الذهبي ٨٥
المبحث الثاني: أقوال أهل السنة في الذهبي ٨٧
المبحث الثالث: مخالفات الذهبي لعقيدة أهل السنة والجماعة ٩٩
البَابُ الخَامِس: المُحكَمُ والمُتَشَابِه ١١٦
المبحث الأول: المحكم والمتشابه بين التنزيه والتشبيه ١١٧
المبحث الثاني: المحكم لغة واصطلاحًا وأمثلة عنه ١١٨
المبحث الثالث: المتشابه لغة واصطلاحًا وأمثلة عنه..........١٢٤
المبحث الرابع: الإجماع على تكفير من يحمل الآيات المتشابهة على ظواهرها ١٣٠
البَابُ السَّادِس: الرُّدُودُ عَلَى شُبُهَات ١٣٩
المبحث الأول: بيان معنى بعض الآيات التي يستدلون بها لإثبات التجسيم..١٤١
المبحث الثاني: كشف حال حديث الجارية.................... ١٨٢
المبحث الثالث: إبطال شبهتهم الأخرى لإثبات فوقية الرب . ١٨٦

المبحث الرابع: تضعيف حديث العماء ١٨٩
المبحث الخامس: ردُّ ما زاده ابن بطَّة في حديث: «كلَّم الله موسى» ١٩٠
المبحث السادس: الأصول في رد التشبيه عن حديث النزول. ١٩٢
المبحث السابع: كشف التخليط في حديث الأطيط ٢٢٢
المبحث الثامن: خلاصة مهمة في إبطال تجسيمهم ٢٢٧
المبحث التاسع: خلاصة مهمة في نقض شبههم الواهية....... ٢٣٥
المبحث العاشر: نقض استدلال ابن عبد البر بعقيدة فرعون ٢٣٨
المبحث الحادي عشر: ردُّ قول ابن بطة بأنَّ الله عزَّ وجلَّ يقرأ القرءان ٢٤٣
المبحث الثاني عشر: ردُّ قول ابن بطة بأن القرءان بإطلاقيه غير مخلوق... ٢٤٥
المبحث الثالث عشر: دحض ما ادعاه ابن بطة من أن الله يتكلم بكلام يشبه الصواعق.................................... ٢٦٧
المبحث الرابع عشر: شبهة ابن بطة في أن الله يكلم نفسه وإبطالها ٢٧٣
البَابُ السَّابِع: مكانةُ عِلمُ الكَلَام............................. ٢٧٧

المبحث الأول: ماهية علم الكلام ٢٧٩
المبحث الثاني: الغاية من علم الكلام ٢٧٩
المبحث الثالث: فوائد علم الكلام ٢٨٠
المبحث الرابع: ثمرة علم الكلام.............................. ٢٨١
المبحث الخامس: تناول هذا العلم واستمداده............... ٢٨١
المبحث السادس: أقسام هذا العلم...........................٢٨٦
المبحث السابع: إماما علم الكلام.............................٢٨٧
المبحث الثامن: المصنفون فيه والمتكلمون فيه ٢٨٧
المبحث التاسع: حكم تعلّم علم التّوحيد والاشتغال بنصب أدلّته ٢٩٣
المبحث العاشر: تكفير العلماء لمن ذم وأبغض علم الكلام الذي اشتغل به أهل السنَّة سلفًا وخلفًا ٣٠٠
المبحث الحادي عشر: إجماع أهل السنة على الاشتغال بعلم الكلام ٣٠٥
البَابُ الثَّامِن: **نُصرَةُ الأَشَاعِرَة والمَاتُرِيدِيَّة** ٣٠٩
المبحث الأول: طعنُ الوهابية بالأشاعرة والماتريدية وتكفيرهم ٣١٠

المبحث الثاني: الأشاعرة ٣٢١
المبحث الثالث: الماتريدية ٣٢٥
المبحث الرابع: الدليلُ على أنَّ الوهابية المجسمة وأسلافهم المشبهة جاؤوا بدين جديد ٣٢٦
المبحث الخامس: قواعد مهمة ٣٤٥
المبحث السادس: قاعدة متفق عليها عند جميع العلماء ٣٤٦
المبحث السابع: دعوى رجوع بعض الأئمة عن العقيدة الأشعرية ٣٤٧
المبحث الثامن: الأشاعرة والمنزهون المتوسلون من الحنابلة على عقيدة واحدة ٣٥٣
المبحث التاسع: تكفير علماء المذاهب الأربعة للمشبهة المكفرين لأهل السنة الأشاعرة والماتريدية ٣٥٥
خاتمة الكتاب ٣٧١
بيان أهمية علم التوحيد ٣٧٣
مِن ءاثارِ الشيخ الدكتور جميل حليم ٣٨٢
فهرست المصادر والمراجع ٣٨٩